الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي في الطور الثالث, التأهيل الجامعي, البحث العلمي
و التكوين العالي فيما بعد التدرج
Vice-rectorat de la formation de troisième cycle, l'habilitation universitaire,
la recherche scientifique et la formation supérieure de post-graduation

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اللغة الوظيفيموسومة بـــــ:

# الأدوات البلاغية ووظائفها في تفسير البيضاوي
# – دراسة تحليلية –

إعداد الباحث:
محمد بلهواري

إشراف الأستاذ الدكتور:
أحمد مطهري

أعضاء لجنة المناقشة

–الأستاذة الدكتورة. سعاد بسناسي(جامعة وهران1).........................رئيسة

–الأستاذ الدكتور. أحمد مطهري (جامعة وهران1)................... مشرفا ومقررا

–الأستاذ الدكتور. الطيب دخير(جامعة وهران1)...........................مناقشا

–الأستاذ الدكتور. عبد القادر سلامي (جامعة تلمسان).......................مناقشا

–الأستاذ الدكتور. عبد القادر شارف(جامعة الشلف).........................مناقشا

–الأستاذة الدكتورة. أمينة طيبي (جامعة سيدي بلعباس).......................مناقشة

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرّحمن الرّحيم

# مقدمة

**مقدمة:**

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح من نطق العربية؛ سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار وعلى من سار على دربهم واقتفى أثرهم إلى يوم القرار، وبعد:

فإن القرآن الكريم قد اختص بأنه معجزة بالغة تحدى الإنس والجن في كل زمان ومكان، وقد أفادتنا الدراسات المتعددة التي قام بها أئمة البيان على مرّ العصور أن إعجاز القرآن لا يقتصر على مقياس فني معيّن في عصر من العصور، وأن أي عصر مهما تقدّم في الدراسات لا يحيط بإعجاز القرآن.

وحازت علوم اللغة العربية من بين سائر اللغات منزلة شامخة ومرتبة ساحقة، وكفاها فخرا أن شرّفها الله سبحانه وتعالى بنزول القرآن بها.

هذا؛ وإن أرفع علوم اللغة العربية شأنا؛ علم البلاغة، لأنّ مدار البحث فيه يبرز وجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم الذي هو محط رحال علماء الإعجاز القرآني؛ فإنّ نظرة العلماء تنوعت في استكناه حقيقة الإعجاز؛ فبعضهم يميل إلى الإعجاز في الإخبار عن الغيوب، وآخرون يجنحون إلى أنه معجز بالصرفة، وكثير من المعاصرين يقولون بالإعجاز العلمي، إلا أنّ الجميع متفق على أنّ إعجاز القرآن في لغته وبيانه هو أولى هذه الوجوه التي ينبغي صرف الهمم إليها.

ولمّا كانت البلاغة بهذه المنزلة؛ نجد أنّ بدايات التصنيف في علم البلاغة، إنّما هي محاولة للبحث والكشف عن وجوه البيان والإعجاز في القرآن الكريم، ومحاولة تفهّمه وتدبّره.

لذلك فقد اعتنى العلماء بهذا الكتاب فقاموا على تفسيره، واستخراج الأدوات العلمية التي تعين على فهمه، ومن بين هؤلاء الأعلام؛ قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن محمد البيضاوي، صاحب التفسير المشهور المسمّى بـ: "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**".

الذي أعمل فيه عقله، فضمّنه نكتا بارعة، ولطائف رائعة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وقد جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية.

وقد لمسنا من خلال تفسيره أنّ العلاقة بين علم البلاغة وعلم التفسير تبادليّة؛ لأن بذور علم البلاغة نشأت في أحضان المفسرين وفي رحاب القرآن الكريم، واللغة العربية والبلاغة هما الأداتان الأساسيتان في تذوق النص القرآني، والإلمام بفحوى خطابه، ومعرفة وظيفته وأسرار

بيانه، فالقرآن نزل بلغة عربية ميّزتها البلاغة الربانيّة، فهُما كالروح والجسد لا ينفصلان، تظل البلاغة تضفي عليه جمالها الفني والروحي.

واستنادا إلى هذا؛ تناولنا هذا الموضوع بالبحث ووسمناه بـ "**الأدوات البلاغية ووظائفها في تفسير البيضاوي – دراسة تحليلية–**"، حيث وجدنا الرغبة الملحة في دراسة هذا الموضوع.

**ولقد كان لهذا الاختيار أسباب، من أهمها:**

**أولا**: يعدّ كتاب (أنوار التنزيل وأسرا ر التأويل) للبيضاوي واحدا من كتب التفسير التي تستحق الدراسة من الناحية البلاغية، فقد ظهرت جهوده الجليّة في مجال تطبيق الدرس البلاغي.

**ثانيا**: اعتقادنا بأن في دراسة المفسرين للقرآن الكريم ممّا يضيف جديدا للبلاغة العربية، فإنّنا نجد في كتب التفسير بلاغة لا نجدها في كتب البلاغة؛ لأن التفسير تحليل وفهم وذوق.

**ثالثا**: أن البحث في الأدوات البلاغية والكشف عن أسرارها ووظائفها هو مكمن إعجاز القرآن اللّغوي.

**رابعا**: الرغبة في تعلّم البلاغة العربية من خلال كتاب الله عز وجل، وعن طريق أحد الكتب المشهورة، إيمانا منّا بأهمية البلاغة في تفسير القرآن.

**خامسا**: يساعد هذا البحث على إثراء المكتبة العربية من الناحية البلاغية في مجال تطبيق الدرس البلاغي.

**سادسا**: اهتمامنا بالقرآن الكريم وعلوم اللغة العربية، ورغبتنا في البحث في هذا المجال.

**سابعا**: الفائدة العلمية التي يكتسبها الدّارس خلال استخراجه للمسائل البلاغية من الكتاب وتحديد مصطلحاتها.

**أهمية الموضوع:**

**أولا**: ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

**ثانيا**: يعتبر البيضاوي واحدا من أبرز المفسرين الذين وجهوا عنايتهم لكشف أسرار البلاغة ووجوه الإعجاز القرآني، وبيان وظيفته البلاغية والجمالية بالتحليل والتعليل، وفقا لمقتضيات علوم اللغة والبلاغة منها بخاصة، سالكا درب الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة)، والإمام جار الله الزمخشري في (الكشاف).

**ثالثا:** إبراز جهود البيضاوي ومساهمته اللغوية، والبلاغية على وجه الخصوص، من خلال تحليلاته وغوصه في أعماق النصوص القرآنية.

**إشكالية الموضوع:**

تسعى هذه الدراسة جاهدة إلى إبراز الجانب البلاغي عند البيضاوي، كما تحاول أن تجيب على تساؤلات عدّة منها:

- على أي نحو يتناول البيضاوي أدوات البلاغة في تفسيره؟
- ما الأهميّة التي أولاها البيضاوي للدراسة البلاغية؟
- ما أبرز الوظائف البلاغية التي كشف عنها، وما مصادره فيها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على مجموعة من المراجع القديمة والحديثة، التي يأتي في مقدمتها المدوّنات التفسيرية على مختلف مناهجها، وأهمها: (الكشاف) للزمخشري، و(التفسير الكبير) للرازي، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور، وغيرها، واعتمدنا كذلك في دراستنا على كتب البلاغة التي أغنت البحث، وأعانتنا في تحليلاته، يأتي في مقدمتها كتب (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة)، و(الطراز)، و(مفتاح العلوم)، وغيرها من الكتب، أمّا الكتب الحديثة فمنها كتاب محمد أبو موسى (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية) الذي جمع فيه كل ما يتصل بالدّرس البلاغي، وبذل جهودا محمودة تشهد له بالسبق في هذا الميدان. وكتب فاضل السامرائي، وغيرها، وكتب لسانية مساعدة أفادتنا كثيرا في إضاءات جوانب من بحثنا؛ فمنها ما أخذنا منها، ومنها ما اكتفينا بقراءتها، والاستئناس بها.

**منهجية البحث:**

تقوم هذه الدراسة على الوصف والتحليل، ولـمّا كانت الغاية الرئيسية لهذه الدراسة الكشف عن الوظائف البلاغية في تفسير البيضاوي، كان المنهج التحليلي هو السبيل لتحقيق هذه الغاية وذلك للكشف عن أثر الفن البلاغي في جمال العبارة، وفي ثراء الدلالة، وكان على شقّين:

**الشّق الأول:** في الدراسة النظرية أوائل الفصول والمباحث، وذلك في الكشف عن مدلولات المصطلحات البلاغية، وشرحها، ومناقشة تفصيلاتها.

**الشّق الثاني**: في الجانب التطبيقي، وذلك بعرض الآيات القرآنية، ومحل الشاهد منها، والاستدلال على ذلك، وذكر خلاف العلماء إن وجد، ثم مناقشة ذلك، مما يستدعي مقارنة جهود البيضاوي بجهود السابقين له واللاحقين بعده، ومن ثم نخلص إلى الترجيح بين كلامهم أو الجمع بينه وبينهم إن أمكن، حسب ما تقتضيه القواعد العلمية الترجيحية.

كما جعلنا التطبيق وذكر الأمثلة للتأصيل النظري ضمن البحث دون فصله بقسم مستقل، لما في ذلك من إيضاح للمسائل النظرية بشكل أكبر، وتجنبا للتكرار. وفي سبيل بلوغ هذه الغاية، فقد احتوت هذه الدراسة على مدخل وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس للمحتويات.

أما المدخل فتناولنا فيه الدرس البلاغي بين اللغة والتفسير، حيث تعرضنا باختصار إلى البلاغة في العصر الإسلامي، وفي العصر العباسي، وإلى أوائل اللغويين الذين بحثوا وكتبوا أمورا تتعلق بالبلاغة مثل الإمام أبي عبيدة معمر بن المثنى البصري(ت208هـ)، وأبي عثمان بن بحر الجاحظ(ت255هـ)، والعالم الجليل ابن قتيبة(ت276هـ)، ثم ذكرنا بعض الأدوات التي تناولها المفسرون كأمثال الزمخشري(ت538هـ)، وختمنا المدخل بنبذة مختصرة عن الإمام البيضاوي ومنهجه في التفسير.

وخصصنا الفصل الأول لأدوات علم المعاني ووظائفها في تفسير البيضاوي، وقد جاءت في ستة مباحث:

تحدثنا في المبحث الأول عن مفهوم الخبر عند البلاغيين، وأضرب الخبر، ووظائف الخبر، وقيمتهما البلاغية في تفسير البيضاوي.

واشتمل المبحث الثاني على مفهوم الإنشاء وقسميه الطلبي وغير الطلبي، ثم تحدثنا عن الإنشاء الطلبي وذكرنا أنواعه الخمسة: (الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء)، وظيفتهما في تفسير البيضاوي.

وفي المبحث الثالث تمحورت الدراسة حول مفهومي التقديم والتأخير وقيمتهما البلاغية في تفسير البيضاوي، أما المبحث الرابع فخصّصناه للحذف ووظيفته البلاغية عند البيضاوي. وفيما يخص المبحث الخامس فكان تركيزنا على مفهومي أداة التعريف والتنكير وقيمتهما الجمالية

والبلاغية في تفسير البيضاوي، ثم تطرقنا في المبحث السادس إلى مفهوم الالتفات ووظيفته البلاغية عند البيضاوي.

وخصصنا الفصل الثاني لأدوات علم البيان ووظائفها في تفسير البيضاوي، وقد جاءت في خمسة مباحث. درسنا في المبحث الأول مفهوم التشبيه وأنواعه ووظائفه في تفسير البيضاوي، ثم تحدثنا في المبحث الثاني عن مفهوم المجاز وأقسامه (العقلي، والمرسل)، وأهم العلاقات التي تناولها البيضاوي في تفسيره، وحاولنا الوقوف على وظائفها البلاغية.

أما المبحث الثالث فتحدثنا عن مفهوم الاستعارة وأنواعها، وحاولنا الوقوف على أهم الوظائف التي تعرّض لها البيضاوي، وفي المبحث الرابع تمحورت الدراسة حول مفهوم الكناية وأقسامها، أما المبحث الخامس فخصصناه للتعريض وأهم الوظائف التي وقف عندها البيضاوي.

أما الفصل الثالث فتناولنا أدوات علم البديع ووظائفها في تفسير البيضاوي. وقد قسمناه إلى مبحثين؛ المبحث الأول عنوناه بالمحسنات البديعية المعنوية (الطباق، المقابلة، التجريد). والمبحث الثاني عنوناه بالمحسنات البديعية اللفظية التي لم نتناول فيها إلا السجع.

وفي الأخير ختمنا بحثنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، مع ذكر بعض التوصيات التي نراها ذات قيمة لغوية للاستمرار في خدمة الدرس البلاغي.

وفي الأخير نحمد الله سبحانه عز وجل، وعملا بالحديث الشريف: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)، فإنه لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بجزيل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل للأستاذ الدكتور أحمد مطهري الذي أشرف على هذا البحث، فلم يأل جهدا بالنصح والتوجيه، والحث والتشجيع، والتقييم والتقويم، ولم يبخل علينا بتوجيهاته السديدة، وآرائه النيرة التي أضاءت لنا الطريق، وكان لها الأثر الواضح في إنجاح هذا العمل، فجزاه الله عنا كل خير. كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع طاقم أساتذة كلية الآداب والفنون عامة، وقسم اللغة العربية خاصة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصل اللهم وسلم على نبينا محمد، آمين.

**الباحث. محمد بلهواري**

**وهران في: 2018/10/20.**

# مدخل

# مدخل: الدرس البلاغي بين اللغة والتفسير

## توطئة:

نزل القرآن الكريم على أمة لا تكتب ولا تحسب، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعل منهم أمة واحدة لم يلبثوا أن بنوا حضارة كانت وما زالت مضرب المثل وحديث العلماء والمفكرين.

وارتبطت أكثر العلوم الإسلامية بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا، فظهر علم النحو لما بدأ بعض الناس يلحنون في القرآن، وظهر علم الكلام للرد على طعنات الشعوبيين في بعض الآيات القرآنية، كما نشأت باقي العلوم اللغوية والدينية في ظلال القرآن، ولكن علما واحدا من علوم اللغة ارتبط بالقرآن ارتباطا لم ينفك منه منذ نشأته إلى حين استوائه ونضوجه، وهو علم البلاغة.

فالقرآن الكريم هو المصدر الأساسي للبحث البلاغي عند العرب؛ منه يُصدرون وإليه يردون، يدفعهم حبّهم لهذا الكتاب العظيم إلى التعلّق به واستخراج الأدوات البلاغية منه؛ هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد.

## -إسهامات القدماء في الدرس البلاغي:

لقد بادر العلماء إلى الدرس البلاغي، وصار النحوي والبلاغي يشتركان في خدمة العربية، فالنحوي يعلّم قواعد الإعراب ودلالة الألفاظ على المعاني، والبلاغي يعلّم أسرار اللغة وتمييز أساليبها. وفي عمل النحوي والبلاغي يقول ابن الأثير: "والبلاغي والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء الإعراب"[1]، والمقصود هنا، أنّ البلاغي يهتمّ بأسرار اللغة وتمييز أساليبها، خلافا للنحوي الذي ينظر في دلالة الألفاظ.

ومنذ زمن بعيد اشتهر العرب بالبلاغة والفصاحة وحسن البيان، وعُرف عنهم أيضا أنهم كانوا أهل بداهة وارتجال، وكان ذلك اعتزاز فخرهم، وقد أكّد الجاحظ (ت255هـ) هذا الميل

[1]- المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، مكتبة نهضة القاهرة1960م، ج1 ص39.

عندهم فقال: "العرب أشد فخرا ببيانها وطول ألسنتها، وتصريف كلامها وشدة اقتدارها"[1]، ويعني ذلك أنهم أصحاب الفصاحة والبيان.

وقد أسهمت فئات عديدة من الناس في إنشاء علم البلاغة، فمنهم المتكلمون، والمفسرون، واللغويون، والنحاة، والشعراء، والكتاب، وغيرهم؛ ولقد اهتم المتكلمون بالبلاغة لأسباب أهمها[2]:

- قضية الإعجاز القرآني؛ فقد كانت هذه القضية من أهم القضايا التي عني بها علم الكلام لارتباطها بالبلاغة.
- إن علم البلاغة من الوسائل التي يفيد منها علماء الكلام في شرح آرائهم، وبسط عقائدهم.
- إيمان المعتزلة بأن الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها.

وممن أسهم في نشأة الدرس البلاغي من هؤلاء المتكلمين: عمرو بن عبيد (ت144هـ)، والجاحظ (ت255هـ)، وقد عده كثير من الباحثين مؤسس البلاغة العربية، والباقلاني (ت403هـ).

ومما يرويه الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" عن عمرو بن عبيد أنه سئل: ما البلاغة؟ وقد أجاب إجابة عن معنى البلاغة في وجوه متعددة، وكان السائل يرد عمرا عن كل وجه بقوله: "ليس هذا أريد حتى قال عمرو: فكأنك إنما تريد تخيّر اللفظ في حسن الإفهام، فقال السائل: نعم. وبذلك استمر عمرو في القول فقال: إنّك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم، بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب، واستجبت على جزيل الثواب"[3]، والمقصود هنا أن وظيفة البلاغة وكيفيّة إنهاء المعنى إلى قلب المستمع ممّا يؤدّي إلى فهمه بسهولة.

---

[1]- يراجع البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ط1985/5م، ج4 ص27، 28.

[2]- يراجع علم المعاني، قصي سالم علوان، مطبعة جامعة البصرة1985م، ص25، 26.

[3]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1 ص114.

وقد علّق شوقي ضيف في كتابه على قول عمرو بقوله: "لعل هذه أول مرة عند العرب تستخدم فيها كلمة بلاغة بمعناها الدقيق"[1]، وهو الوصول والانتهاء إلى الشيء.

وظهر الخلاف بين المتكلمين حول مسألة كلام الله، وهل هو من صفاة الذات أو من صفات الأفعال، وكيف يتجلى للبشر، وخلافهم بوجه خاص في قدم القرآن وحدوثه، وقد انعكس ذلك بقوة على دراسة لغة القرآن وبيانه، وظهرت آثاره بارزة في تصور علماء الإعجاز للنظم القرآني.

فكان فريقا منهم وهم المعتزلة يتصور النظم في صورة تأليف الألفاظ وصياغتها وسبكها في عبارة منسجمة متآلفة، وفريقا ثانيا (الأشاعرة) يتصور النظم في صورة تأليف للمعاني، على هيئتها التي تقوم بها في النفس، وتأتي الألفاظ مصوغة في تركيب لغوي على حسب صورة تلك المعاني النفسية[2].

وبناء على ذلك، فكلام الله تعالى في نظر المعتزلة، ليس صفة ذاتية قائمة بذاته تعالى، ولا صفة أزلية قديمة... ومن أجل ذلك فكلام الله عندهم من صفات الأفعال، وحقيقة المتكلم هو من فعل الكلام لا من قام به الكلام[3]، وحقيقة الكلام عندهم هو الحروف المنظومة والأصوات المقطعة.

بينما ينظر الأشاعرة لكلام الله تعالى بأنه صفة قائمة بذاته تعالى، وهو قديم لا يتعدد ولا يتجزأ، وهو معنى قائم بالله تعالى، وليس بصوت ولا بحرف، ولا يطلق الكلام عندهم على العبارات المشتملة على الألفاظ، مكتوبة أو مسموعة أو مقروءة إلا على سبيل المجاز[4].

وعلى هذا وقع الخلاف بين الفريقين في نظرتهم إلى النظم اللغوي القرآني، فنظرة الفريق الأول –أي المعتزلة– "تقوم على أنه نظم للألفاظ يتجلى في الصياغة والسبك، والذي يتحقق به التلاؤم وجمال التعبير وحسن البيان، كل ذلك مع وضوح الدلالة والإيجاز وإعطاء المعاني حقها،

---

[1]– النقد، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ط5، ص46.

[2]– يراجع مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، دار الأمان الرباط ط1989/1م، ص14، 15.

[3]– يراجع المرجع نفسه، ص21، 22.

[4]– يراجع المرجع نفسه ، ص23، 24.

بينما ينظر الأشاعرة إلى النظم نظرة مخالفة بل مناقضة، إذ النظم عندهم ليس نظما للألفاظ وإنما هو نظم للمعاني، فالمعاني هي الأصل والألفاظ تابعة لها، تترتب المعاني في النفس، ثم تأتي الألفاظ مترتبة في المنطق على حسب الصورة التي تشكلت بها المعاني في النفس"[1].

وقد اتجه الأشاعرة إلى العناية بالمعاني النحوية وبخصائص التراكيب مع الاستهانة بالألفاظ وفنون البديع، وكل ما يدخل تحتها[2].

أمّا المعتزلة فقد دفعتهم اختياراتهم الكلامية إلى العناية بالنواحي الصوتية، وما يتعلق بانسجامها وتلاؤمها، وبخفت الألفاظ وسهولتها وعذوبتها، وحسن وقعها في الأسماع، وبفنون التعبير التي تدخل تحت مصطلح (البديع) وبجماليات الصياغة اللفظية ووضوح الدلالة وحسن البيان[3]، لأنّهم كانوا يهتمون بالأصوات وما يتعلّق بها من إيقاع ونبر وتنغيم.

وقد أسهم من اللغويين والنحاة في الدرس البلاغي، الخليل بن أحمد (ت175هـ)، وسيبويه (ت180هـ) وقطرب (ت206هـ) وأبو عبيدة (208هـ) والأصمعي (ت216هـ) والمبرد (ت285هـ).

ومن الكتاب والنقاد فعبد الله بن المقفع (ت142هـ) والجاحظ (ت255هـ) والآمدي (ت370هـ).

ومن المفسرين، أبو عبيدة، والفراء، وابن قتيبة، والراغب الأصفهاني (ت592هـ)، والزمخشري (ت538هـ)، وفخر الدين الرازي (ت606هـ).

وفي ضوء ما سبق، أن البلاغة قد حظيت بكثير من الحفاوة والدرس الجاد، ذلك أنها كانت تحمل منذ نشأتها بذور العبقرية العربية في جلالها وقدرتها على استكشاف بواطن النفس الإنسانية حين تقول فتجيد، وحين تتلقى فتحسن التلقي، وحين تكتب فتحسن الأداء وقد فهم العلماء قيمة البلاغة ووظيفتها من حيث تأثيرها في المتلقي وقدرة الكلمات على صوغ الأفكار وترجمتها من سلوك فكري داخلي إلى سلوك عمل مثمر.

---

[1]- يراجع مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، ص20.

[2]- يراجع المرجع نفسه، ص53.

[3]- المرجع نفسه، ص54.

قال ابن تيمية: "البلاغة بلوغ غاية المطلوب أو غاية الممكن من المعاني بأتم ما يكون من البيان"[1]. فنجده يفرق بين ما استقر في النفس المعاني، وبين إخراجها من حيز المكنون إلى حيز البيان والظهور، فيجب على البليغ أن غاية مراده وأقصى ما يستطيعه لإيصال معانيه التي يحجبها الضمير، ولا يكون هذا الإيصال والإبلاغ اعتباطيا أو كيفما اتفق، بل يجب أن يتوفر فيه جلاء الصور وإشراقها وهو ما عبر عنه بالبيان التام.

فكان تعريف البلاغة لديهم يدور حول المعاني التالية:

- بلاغة المعاني التي يطرحها المتكلم ويريد ابلاغها.
- الصورة اللفظية التي تبرز فيها تلك المعاني، ويشترط فيها تمام البيان.
- الاهتمام بالمتلقي، وأن وظيفة البلاغة هي القدرة على التأثير فيه عقليا وعاطفيا.

ويجمع هذه الوظائف قول المحقق رشيد رضا في مقدمته: "أن البلاغة هي أن يبلغ المتكلم ما يريد من نفس المخاطب، بإصابة مواقع الاقتناع من العقل والتأثير من القلب"[2]، أي: وظيفتها الإقناع والتأثير في المتلقي.

وإذا انتقلنا إلى التصنيف في التفسير، وجدنا أنّ العصر العباسي يزخر بمصنفات كثيرة تستمد مما أثِر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والتابعين، فقد كان التفسير يعد بابا من الأبواب التي اشتمل عليها علم الحديث، ومن أشهر المفسرين في هذا العصر سفيان بن عيينة، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم[3]، من الذين ساهموا في إثراء الدّرس البلاغي.

وهذه الطبقة من المفسرين نجد عندها بذور التفسير بالرأي والاجتهاد، والاحتكام إلى لغة العرب في ألفاظها ومعانيها وأساليبها، ونلمس في تفاسيرهم للكثير من الآيات يعتمدون على الأدوات البلاغية.

وفيما يلي نستعرض من له إسهام ملحوظ في الدرس البلاغي، وهم:

---

[1]- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق رشاد سالم، ج8 ص54.

[2]- دلائل الإعجاز، عبد القادر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت ط/(1402هـ-1981م)، ص ط من المقدمة.

[3]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط4/(1394هـ-1974م)، ج2 ص190.

**أولا: الفراء (ت207هـ):**

يعد الفراء أحد علماء النحو واللغة بل من أشهر علماء النحو واللغة وإمام مدرسة الكوفة فيها.

بل يعدّ أوّل المفسرين في العصر العباسي، جامع لكل آيات القرآن الكريم مرتبا على وفق ترتيب المصحف[1]. وشهد له (أبو العباس ثعلب) بالفضل والسبق فقال عنه: "لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه"[2]، ولذا فإنّ هذا التفسير كثرت فيه الأدوات البلاغية، فهناك إشارات إلى التشبيه والاستعارة والكناية والتقديم والتأخير.

ومن الأدوات البلاغية التي نثرها في كتابه(معاني القرآن)، مايلي:

**1- التشبيه:** يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**﴾[3]، "أراد بالوردة الفرس، الوردة تكون في الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه"[4]، والمعنى أنّها تذوب كما تذوب الفضة في السبك، وتتلوّن كما تتلوّن الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وتارة صفراء وتارة زرقاء وتارة خضراء، وذلك من شدّة الأمر وهول يوم القيامة العظيم.

ويقول الفراء في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[5]، ضربه مثلا لمن اتخذ من دون الله وليا أنه لا ينفعه ولا يضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا"[6]، وهذا تشبيه تمثيلي.

---

[1]- ضحى الإسلام، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة1933م، ج2 ص141.

[2]- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم، تحقيق ابراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت لبنان ط2/(1417هـ-1997م)، ص99.

[3]- سورة الرحمن الآية37.

[4]- معاني القرآن، الفراء، تحقيق محمد علي النجار، أحمد يوسف النجاتي، دار الكتب المصرية ط1955/1م، ج3 ص117.

[5]- سورة العنكبوت الآية29.

[6]- معاني القرآن، الفراء، ج2 ص244.

**2- المجاز المرسل:** يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾[1]، أي: "سنسمه سمة أهل النار، أي: سنسود وجهه، فهو وإن كان الخرطوم قد خص بالسمة فإنه في مذهب الوجه، لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض"[2]. والمراد هنا المجاز في قوله الخرطوم وهو الأنف وأراد الكل وهو الوجه.

**3- الكناية:** يعتبر الفراء من الأوائل العلماء الذين ذكروا الكناية، يقول الفراء في هذه الآية: قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾[3]، أي: "ما يطول من عمر، ولا ينقص من عمره، يريد آخر غير الأول، ثم كنى عنه بالهاء كأنه الأول، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه يعني نصف آخر، فجاز أن يكنى عنه بالهاء، لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول، فكنى عنه ككناية الأول"[4]، وهو لفظ أطلق وأريد به لازم معناه.

**4- الإيجاز:** يقول الفرّاء في قوله تعالى: ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[5]، أي: "يقال إنّه ضرب بالفخذ اليمنى، وبعضهم يقول: ضرب بالذنب. ثم قال الله عز وجل: ﴿**كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى**﴾، معناه والله أعلم: اضربوه ببعضها -فيحيا- (كذلك يحي الله الموتى). أي اعتبروا ولا تجحدوا بالبعث، وأضمر فيحيا. كما قال: ﴿**أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ**﴾[6]، والمعنى والله أعلم: فضرب البحر فانفلق"[7]، أي أنّ الله قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه. وهذا ما عُرف عند البلاغيين فيما بعد باسم إيجاز الحذف.

---

[1]- سورة القلم الآية16.
[2]- معاني القرآن، الفراء، ج3 ص174.
[3]- سورة فاطر الآية35.
[4]- معاني القرآن، الفراء، ج2 ص368.
[5]- سورة البقرة الآية73.
[6]- سورة الشعراء الآية63.
[7]- معاني القرآن، الفراء، ج1 ص202.

**5- الاستفهام:** أشار الفراء إلى قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1]، فقال: "وهو استفهام ومعناه أمر"[2]، ويشير هنا أنّ الاستفهام قد خرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة أخرى وهي الأمر. ومثله قول الله: ﴿**وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾[3]، استفهام وتأويله انتهوا"[4]، يستشف من كلامه أن الاستفهام خرج عن وظيفته الحقيقية إلى الأمر.

**6- المشاكلة:** يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿**فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[5]، "فرفع لأن النية فيه الاستئناف لا العطف على ما قبله... فإذا رأيت الفعل منصوبا وبعده فعل قد نسق عليه (بواو) أو (فاء) أو (ثم) أو (أو) فإن كان يشاكل معنى الفعل الذي قبله نسقته عليه، وإن رأيته غير مشاكل لمعناه استأنفته فرفعته... وتقول: آتيتك أن تأتيني وأكرمك فترد (أكرمك) على الفعل الأول لأنه مشاكل له وتقول: آتيتك أن تأتيني وتحسن إلي فتجعل و(تحسن) مردودا على ما شاكلها ويقاس على هذا"[6]، والمشاكلة أداة من أدوات علم البديع.

**7- التقديم والتأخير:** أشار الفراء إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[7]، "وقوله: (**نَبْتَلِيهِ**) والمعنى والله أعلم: جعلناه سميعا بصيرا نبتليه، فهذه مقدمة معناه التأخير"[8]، ومعناه خلقناه وجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، أي لنختبره.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾[9]، يقول الفراء: "يقال إن هذا مقدم ومؤخر، والمعنى فيه: إني رافعك إلي ومطهرك من

---

[1]- سورة آل عمران الآية20.

[2]- معاني القرآن، الفراء، ج1 ص202.

[3]- سورة المائدة الآية91.

[4]- معاني القرآن، الفراء، ج1 ص202.

[5]- سورة إبراهيم الآية4.

[6]- معاني القرآن، الفراء، ج2 ص68.

[7]- سورة الإنسان الآية2.

[8]- معاني القرآن، الفراء، ج3 ص409.

[9]- سورة آل عمران الآية54.

الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا فهذا وجه، وقد يكون الكلام غير مقدم ولا مؤخر، فيكون معنى متوفيك: قابضك"[1]، يستشف من هذا النص أن في الكلام تقديم وتأخير وتقديره: إني رافعك ومطهرك من الذين كفرو ومتوفيك بعد إنزالك من السماء.

**8- الأمر**: أشار الفراء في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[2]، "أمرهم ثم نهاهم، وفيه طرف من الجزاء وإن كان نهيا، ومثله قوله: ﴿**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[3]، إذ أمرهم ثم نهاهم، وفيه تأويل الجزاء"[4]، يشير الفراء في هذه الآية الكريمة إلى خروج الأمر عن وظيفته الحقيقية إلى النهي، والأمر نوع من الإنشاء الطلبي.

**9- التعريض**: قد تناول الفراء فن التعريض في مواضع متفرقة من كتابه معاني القرآن، ونتبين من حديثه أن التعريض نوع من الخفاء وتغطية الكلام، وفيه قصد إلى الغرض بأسلوب أحسن من أسلوب التصريح المباشر، الذي يصل إلى الغرض مباشرة، دون مراعاة لقواعد الذوق، أو الحفاظ على الآخرين، بخلاف التعريض الذي يتسلل في رفق إلى الهدف، وينفذ إلى الغرض دون أن يصطدم بقواعد الذوق، أو يطغى على الكرامة الإنسان.

يقول الفراء في قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[5]، والمعنى في قوله: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ**﴾: "إنا لضالون أو مهتدون، وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أنّ رسوله المهتدى، وأن غيره الضال: فأنت تقول في الكلام للرجل إن أحدنا لكاذب، فكذبته تكذيبا غير مكشوف. وهو في القرآن وفي كلام العرب كثير: أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف، كقولك: والله لقد قدم فلان، وهو كاذب، فيقول العالم: قل إن شاء الله، أو قل في ما أظن، فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب"[6]، وعلى هذا يمكننا القول أن الفراء قد

---

[1]- معاني القرآن، الفراء، ج1 ص219.

[2]- سورة الأنفال الآية8.

[3]- سورة النمل الآية18.

[4]- معاني القرآن، الفراء، ج2 ص380.

[5]- سورة سبأ الآية24.

[6]- معاني القرآن، الفراء، ج2 ص219.

تحدث عن أدوات بلاغية كثيرة منها: أغراض الخبر، وصور خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر كالالتفات والتعبير عن الماضي بلفظ المستقبل وعاكسه واستعمال لفظ الجمع في معنى الواحد، وتحدث عن التقديم والتأخير، وعن الحذف بأنواعه، والفصل والوصل، والتشبيه، والاستعارة، والمجاز، والمشاكلة والفواصل.

ومهما يكن من شيء فإن كتاب معاني القرآن للفراء، كان له أثر عظيم على كثير من العلماء، وخاصة المفسرين الذين اغترفوا من بحر علمه وفضله، كما كان له أثر بارز في كثير من أبواب البلاغة.

## ثانيا: أبو عبيدة(ت210هـ):

لا شك أن الدرس القرآني ارتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، فمنه انطلق وإليه يعود، ولهذا كان الدرس البلاغي عند المتقدمين خاصة، مرتبطا بدراستهم للقرآن الكريم، واظهارهم موافقتهم لطرائق العرب في تعابيرهم، وفي هذا الإطار ألف أبو عبيدة كتاب مهم وهو (مجاز القرآن)، ويروى أن أبا عبيد قال في سبب تأليفه هذا الكتاب ما يأتي: "ارسل إليّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه، فقدمت عليه، فلما استأذنت عليه، أذن لي، وهو في مجلس له طويل عريض، فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقي إليها إلا على كرسي، وهو جالس عليها، فسلمت عليه بالوزارة، فرد وضحك، واستدناني حتى جلست إليه على فرشة، ثم سألني وألطفني وباسطني وقال: أنشدني، فأنشدته، فطرب وضحك وزاد نشاطه، ثم دخل رجل في زي الكتاب، له هيئة، فأجلسه إلى جانب وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال هذا أبو عبيدة، علامة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا، قال لي: إني كنت إليك مشتاقا، وقد سألت عن مسألة أفتأذن أن أعرفك إياها، فقلت: هات. قال: قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[1]، وإنما

[1]- سورة الصافات الآية65.

يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف. فقلت: إنما كلّم الله العرب على قدر كلامهم. أما سمعت قول أمرئ القيس[1]:

**أَتَقتُلُنِي والمَشْرَفيُّ مُضاجِعِي * ومُسْتَنَّةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوالِ**

وهم لم يروا الغول قط، ولكنّهم لما كان أمر الغول يهولهم. فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل، واعتقدت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه. فلما رجعت إلى البصرة، علمت كتابي الذي أسميته (المجاز).

وسألت عن الرجل، فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه، وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب"[2]، وهذا التشبيه لا يشترط أن يكون معروفا في الخارج، بل يكفي كونه مركوزا في الذّهن والخيال.

يتضح مما سبق أن تأليف كتاب المجاز كان سبب مسألة بلاغية في القرآن، تتعلق بالتشبيه كقوله تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[3]، فلا غرابة أن نجد أنّ أبا عبيدة يهتم بإيضاح المسائل البيانية الموجودة في القرآن، ويجد لها ما يماثلها في كلام العرب وأساليبهم في التعبير وقد صارت هذه المسائل في البيان العربي[4].

ومن الأدوات البلاغية التي توضّح اهتمام أبي عبيدة في كتابه، وتُبيِّن مدى وضوح هذه المسائل ونضجها في هذا الكتاب، نذكر منها:

**1- المجاز:** كلمة المجاز عند أبي عبيدة لا تعني ما اصطلح عليه أهل البلاغة من اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

---

[1]- ديوان امرئ القيس، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت ط5/(1425هـ-2004م)، ص125.

[2]- يراجع وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ج4 ص323، 324.

[3]- سورة الصافات الآية65.

[4]- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي دمشق، ص14.

فكلمة المجاز التي جاءت في عنوان كتابه أوسع دلالة وأرحب أفقا ممّا حدّدها به البلاغيون فيما بعد، فهي عنده الطريق التي سلكها القرآن في التعبير عن المراد، لا على مستوى الأسلوب فحسب، بل على مستوى المفردات أيضا[1].

وبناء على ما سبق فالمجاز عنده الانتقال في التعبير من وجه لآخر، أو الانتقال من تعبير قريب إلى تعبير بعيد غير معهود لغير العربي الأصيل، أو الرخصة في التعبير بمعنى التجاوز، أو الانتقال من المعنى القريب، أو التركيب المعهود للألفاظ أو العبارات، إلى معان وتراكيب أخرى، اقتضاها الكلام.

**2- المجاز العقلي:** تعرّض له من غير تسمية، يقول أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿**وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[2]: "مجازه مجاز ما كان العمل فيه لغيره، أي: يبصر فيه، ألا ترى أن البصر إنما هو في النهار، والنهار لا يبصر، كما أن النوم في الليل، ولا ينام الليل فإذا نيم فيه قالوا: ليله نائم ونهاره صائم"[3]، فأضاف (الإبصار) إلى (النّهار)، وإنّما يُبصَر فيه، ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم.

**3- الالتفات:** يقول أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[4]: "(**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) حدث عن مخاطبة غائب، ثم رجع فخاطب شاهدا فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا﴾[5]، ويشير في هذه الآية أنّ هناك انتقال من الغائب إلى المخاطَب. ويكرّر التنبيه إلى هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ**﴾[6]، فيقول: "ومن مخاطَبته مخاطبة

---

[1]- يراجع البحث البلاغي عند العرب، شفيع السيد، ص19.

[2]- سورة النمل الآية86.

[3]- مجاز القرآن، معمر بن المثنى أبو عبيدة ، تحقيق محمد فؤاد، مكتبة الخانجي القاهرة1381هـ، ج2 ص96.

[4]- سورة الفاتحة الآية4، 5، 6.

[5]- مجاز القرآن، معمر بن المثنى أبو عبيدة، ج1 ص23.

[6]- سورة يونس الآية22.

الشاهد، حتى تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قول الله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ**﴾[1].

والنص الآتي يُبيّن نظرة أبي عبيدة إلى مجاز القرآن. قال: "ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف ومجاز ما كف عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد إذا أشرك بينه وبين أخر مفرد، ومجاز المكرّر للتوكيد، ومجاز المجمل استغناء عن كثرة التكرير، ومجاز المقدم والمؤخر، ومجاز ما يحول من خبره إلى خبر غيره بعد أن يكون من سببه، فجعل خبره للذي من سببه ويتركه هو"[2].

يتضح من هذا النص أنّ أبا عبيدة يشير إلى عدد من الأدوات البلاغية بمفهومها عند البلاغيين، وإن كان لا يذكر أسماءها. فنجده يشير إلى التقديم والتأخير،كما يشير إلى بعض أقسام الإنشاء الطلبي كالاستفهام والأمر، ويشير إلى الإيجاز[3] وإلى المجاز العقلي[4] والمجاز المرسل[5]، والاستعارة والالتفات وغيرها من أدوات البلاغة التي تُسهم في الدّرس البلاغي.

هذه هي اللّبنات الأولى التي وضعها أبو عبيدة في صرح البلاغة العربية، وهي خالية من التحديدات، والتعليلات والتقسيمات البلاغية المعروفة، ولكن يكفيه فخرا أنه وجه الدارسين لدراسة القرآن الكريم، والشعر العربي، والتمرّس بهما، ولعله كان يعتقد أنّ ذلك يؤدي إلى تكوين الذوق الأدبي السليم.

## ثالثا: الجاحظ أبو عمرو بن بحر (ت255هـ):

يعتبر الجاحظ أول من وضع للمعتزلة الأسس البيانية التي تقوم عليها نظرية النظم وأول من حدد معالم المذهب الاعتزالي في إعجاز القرآن، وذلك بما قام به من الرد على النظّام

---

[1]- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ج1 ص11.

[2]- يراجع المصدر نفسه، ج1 ص18، 19.

[3]- يراجع المصدر نفسه، ج1 ص47، 100، 110.

[4]- يراجع المصدر نفسه، ج1 ص279، 182.

[5]- يراجع المصدر نفسه، ج1 ص91، 186، 218.

وأنصاره[1]، وما قام به كذلك من الردّ على أصحاب المعاني الذين يقيسون جمال الشعر بمعانيه، ثم بما أظهره من القيم الفنية التي تعود إلى جمال الصياغة اللفظية والتلازم اللفظي والانسجام الصوتي والبديع.

والواقع أنّ الجاحظ قد ساهم في رسم الخطوط الهامة لمسار الدّرس البلاغي، وأشار إلى كثير من مباحثه وقضاياه التي أفاد منها دارسوا البلاغة، والنقد، والأدب[2]، في العصور التي تلت من بعده.

والجاحظ يُعدّ بحق مؤسس علم البلاغة العربية، فهو أوّل من توسّع في دراسة هذا العلم وأعطاه الكثير من نشاطه الأدبي والفكري، وهو أوّل من جمع ما يتّصل به من كلام سابقيه ومعاصريه، وشرحه، وأضاف إليه أفكاره وآراءه الخاصة[3]، وكل ما اهتدى إليه من حقائق بلاغية كانت لها أثر كبير واضح في تاريخ البلاغة.

وقد تحدّث الجاحظ عن البلاغة والبيان والبديع، وهي مصطلحات استقرت وأخذت دلالتها بعد عهده، لذا حين ننظر في الفروق عنده لا نكاد نجدها، وكأنّه يريد بها وبالفصاحة حسن التعبير ووضوحه وبيانه، ولذلك لا يجد الباحث في بلاغته فاصلا بين علومها الثلاثة؛ لأن هذا الفصل لم يكن معروفا في عهده أيضا، وبذلك تكون البلاغة عند الجاحظ "فن القول" أو الأسلوب الذي يعبّر به الأديب.

وينطوي تحت ذلك مصطلحات (البلاغة) و(الفصاحة) و(البيان) و(البديع)، التي تتفرّع إلى موضوعات عالج الجاحظ الكثير منها[4]، وهذا من خلال تعرّضه لبعض المسائل التي كان لها أثر بالغ في الدّرس البلاغي.

والبيان عند الجاحظ هو الكشف والإيضاح والفهم، قال: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم

---

[1]- يراجع مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، ص53، 54.

[2]- يراجع الإعجاز في دراسات السابقين-دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعايرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي بيروت ط1974/1م، ص174.

[3]- في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت، ص51.

[4]- البلاغة عند الجاحظ، أحمد مطلوب، ص74.

على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر، والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم، والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[1]، والمقصود هنا، أنّ الوظيفة الأساسية للبيان هي الفهم والإفهام.

وقد وقف عند: الخبر، الإيجاز، والحذف، والإطناب، والتكرار، والمساواة، والوصل، والتشبيه، والمجاز، والاستعارة، والمثل، والكناية، والتعريض، والإشارة، والاحتراس، والسجع، والمقابلة، وحسن التقسيم، والهزل الذي يراد به الجد، والاقتباس، وحسن الابتداء والانتهاء، وغيرها[2]، من الأدوات البلاغية التي تُسهم في الدّرس البلاغي.

ومن الأدوات البلاغية التي ذكرها الجاحظ نورد بعضا منها باختصار:

**1- مراعاة مقتضى الحال:** أشار الجاحظ إلى مراعاة مقتضى الحال في خطابه للعرب وأهل الكتاب، يقول: "ورأينا الله تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطا وزاد في الكلام، فأصوب العمل اتباع آثار العلماء، والاحتذاء على مثال القدماء، والأخذ بما عليه الجماعة"[3]، ويفهم من كلامه أنّ الوظيفة الأساسية في البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال.

**2- الإيجاز:** تحدّث عن الإيجاز في القرآن الكريم، فقال: "ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن، لتعرف بها فصل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول، فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿**لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ**﴾[4]، وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع العيوب خمر أهل الدنيا.

---

[1]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1 ص56.

[2]- يراجع البلاغة عند الجاحظ، أحمد مطلوب، ص74، 75

[3]- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي بيروت ط3/(1388هـ-1969م)، ج1 ص94.

[4]- سورة الواقعة الآية19.

ومنه قوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة، فقال تعالى: ﴿**لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ**﴾[1]، جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. ويقول: "وهذا كثير قد دلّلتك عليه، فإن أردته فموضعه مشهور"[2].

وعرّفه بنوعيه: **إيجاز الحذف، وإيجاز القصر**، أمّا إيجاز الحذف فقد فتح له بابا في كتابه (البيان والتبيين) بعنوان (باب من كلام محذوف)، وذكر له أمثلة كثيرة منها: "إن المهاجرين قالوا: يا رسول الله إنّ الأنصار قد فضّلونا بأنّهم أووا ونصروا، وفعلوا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أتعرفون ذلك لهم. قالوا: نعم، قال: فإن ذاك ليس في الحديث غير هذا. يريد: إن ذاك شكر ومكافأة"[3]، يريد هذا المعنى؛ وهذا اختصار من كلام العرب وهو من أفصح كلامهم؛ فاكتفى منه بالضمير لأنه قد علم معناه.

وأمّا إيجاز القصر فقد تعرّض له من غير تسمية، فقد علّق على قول الإمام علي –رضي الله عنه– قيمة كل امرئ ما يحسن بقوله: "فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره"[4].

**3– الإطناب:** يرى الجاحظ أن الإطناب مواضعه كما للإيجاز مواضعه، ويحدد العلاقة بين الإطناب والإطالة، موضحا متى يكون الإطناب ليس بإطالة ومتى يكون إطالة، يقول: "وقد بقيت –أبقاك الله– أبواب توجب الإطالة، وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عند منتهى البغية، وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردة، البائنة بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقل مما تحتاجه إليه المعاني المشتركة، والجهات المتلبسة، ولو جهد جميع اهل البلاغة أن يخبروا من دونهم عن هذه المعاني، بكلام وجيز يغني عن التفسير باللسان، والإشارة

[1]– سورة الواقعة الآية33.
[2]– الحيوان، الجاحظ، ج3 ص86.
[3]– البيان والتبيين، الجاحظ، ج2 ص278.
[4]– المصدر نفسه، ج1 ص83.

باليد والرأس لما قدروا عليه"[1]، ويفهم من كلامه أنّ بعض المسائل توجب الإطالة، والغرض منها للإقناع والتأثير.

كما بيّن له وظيفته البلاغية وهي الحال والمقام الذي يستدعيه، فيقول: "وجملة القول في الترداد أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله عز وجل ردّد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود. وكذلك ذكر الجنة والنار، وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب"[2]، ومعناه أنّ لكلّ مقام مقال.

**4- التشبيه:** يرى الجاحظ أن التشبيه وسيلة هامة من وسائل التعبير عند العرب، فهم يلجؤون إليه إذا أرادوا إجلاء المعاني وتوضيحها وتثبيتها في الأذهان.

ومن هنا وجدناه يعرض له في مواطن كثيرة من كتبه، وكان يركّز في حديثه عن قضايا التشبيه ومسائله على أجناس المشبه به في الشعر العربي وكلام العرب.

وأشار إلى طريقة أهل العلم والأدب في التشبيه، فقال: "وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء: الإنسان بالشمس والقمر، وبالأسد والسيف، وبالحية وبالنجم، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حد الإنسان. وإذا ذموا قالوا: هو الكلب والخنزير، وهو القرد والحمار، وهو الثور، وهو التيس، وهو الذئب، وهو الجُعَل، وهو القرنْبى، ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أسمائهم، ولا يخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء. وسموا الجارية غزالا، وسموها أيضا خِشفا، ومهرة، وفاختة، وحمامة، وزهرة، وقضيبا، وخيزرانا، على ذلك المعنى، وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب، فذكروا الأسد والثور، والحمل والجدي، والعقرب والحوت، وسموها بالقوس والسنبلة والميزان"[3].

ويرى أيضا أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم منه في المشبه، وأن يكون المشبه به أشهر بوجه الشبه من المشبه يقول: "هذا والحمار هو الذي ضرب به القرآن المثل في بعد الصوت،

[1]- الحيوان، الجاحظ، ج6 ص7، 8.
[2]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1 ص105.
[3]- الحيوان، الجاحظ، ص212.

وضرب به المثل في الجهل، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1]، فلو كان شيء من الحيوان أجهل بما في بطون الأسفار من الحمار، لضرب الله به المثل"[2]، ويشير هنا، إلى أنّ الحيوان يحمل كتبا لا يدري ما فيها ولا يعقلها، والوظيفة البلاغية من التشبيه بهذه الصّور إنّما هي للتخويف والتفزيع.

والحقيقة أن الجاحظ على كثرة ما كتب في البلاغة، لم يكن يُعنى بوضع المصطلحات، أو صياغة التعريفات والحدود، وإنما كان أديبا بليغا بطبعه وعقله وذوقه، فكان يقف أمام النصوص ليشرحها، أو يعلق عليها، أو يدل على ما فيها من مواطن الجمال أو حسن البيان، مستعينا على ذلك بشواهد كثيرة يمدّه بها محفوظ وافر من القرآن الكريم وكلام العرب.

يقول شوقي ضيف: "إن الجاحظ قد ألمّ في كتاباته بالصور البيانية المختلفة، وبكثير من فنون البديع غير أنه لم يسق ذلك في تعريفاته وتحديداته، فقد كان مشغولا بإيراد النماذج البلاغية، وقلّما عني بتوضيح دلالة المثال على القاعدة البلاغية التي يقررها"[3]، وهذا مقارنة بالعصر الذي كان يعيشه.

## رابعا: ابن قتيبة (ت276هـ):

فقد وقف ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) عند كثير من آي القرآن الكريم يجلي ما فيها من بيان مما كان له أثر عند علماء البلاغة والإعجاز فيما بعد بالموضوعات القرآنية المتعددة.

كانت المعركة محتدمة بين أهل السنة وسائر الفرق الإسلامية، بالإضافة إلى فرق أخرى تَتستّر بالإسلام كالباطنية والشعوبية، فتصدّى للردّ على الطاعنين في القرآن لِما خفي عليهم ما فيه من فنون القول وأساليب الكلام، فأراد أن يبيّن أنّ القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز[4]، والاختصار، والإطالة، والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي.

---

[1]- سورة الجمعة الآية5.

[2]- الحيوان، الجاحظ، ص255.

[3]- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة1965م، ص56.

[4]- يراجع البيان العربي، بدوي طبانة، ص33.

وذكر في كتابه مسائل كثيرة يدخل معظمها تحت باب المجاز، فتحدّث عن المقام وما يقتضيه من الكلام على حسب الحال، ومن بين هذه الأدوات، ما يلي:

**1- فائدة الخبر:** يصف ابن قتيبة القوم الذين طعنوا في القرآن بقصور العلم وسوء النظر، لأنهم نفوا الفائدة عن بعض الأخبار التي وردت فيه، منها قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**﴾[1]، فقالوا: وما في هذا الكلام من فائدة؟ وما في الشمس إذا مالت بالغداة والعشي عن الكهف من الخبر؟، وأي معنى ألطف مما أودع الله هذا الكلام؟، وإنما أراد الله عز وجل أن يعرفنا لطفه للفتية وحفظه إياهم في المهجع واختياره لهم أصلح المواضع للرقود، فأعلمنا أنه بوأهم كهفا في مقنأة الجبل-أي لا تصيبه الشمس- لأنها تزور عن مكانهم وتستديره طالعة وجارية وغاربة، ولا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها، وتلفحهم بسمومها، وتبلى ثيابهم"[2]، وفائدة الخبر من الوظائف الأساسيّة للخبر.

**2- المجاز المرسل:** يقول ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾[3]، أي: "ذكرا حسنا، فاللسان في الآية يراد به الذكر الحسن من باب إطلاق اسم المحل على الحال، وقد يكون من باب تسمية الشيء باسم آلته، لأن اللسان هو آلة الكلام"[4].

**3- الاستعارة:** أشار ابن قتيبة إلى قوله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُواحَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾[5]، أي: مزدرع لكم كما تزرع الأرض، ومنه قوله تعالى: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ**﴾[6]، "لأن المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان في ثوب واحد، ويتضامان، فيكون كل واحد منهما للأخر بمنزلة اللباس"[7].

---

[1]- سورة الكهف الآية17.

[2]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية بيروت، ص21، 20.

[3]- سورة الشعراء الآية84.

[4]- يراجع تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص146، 147.

[5]- سورة البقرة الآية223.

[6]- سورة البقرة الآية187.

[7]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص141.

فالاستعارة عند ابن قتيبة جزء من المجاز، بل هو أكثره، يقول: "ونبدأ بباب الاستعارة، لأن أكثر المجاز يقع فيه"[1]، وتشمل الاستعارة عند ابن قتيبة أيضا ما يسميه البلاغيون الكناية، يقول: "ويقولون: لقيت من فلان عرق القربة، أي شدة ومشقة، وأصل هذا أن حامل القربة يتعب في نقلها، حين يعرق جبينه، فاستعير عرقها في موضع الشدة"[2]، والاستعارة هنا من المجاز اللغوي.

**4- الاستفهام:** يقول ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾[3]: "استفهام تقريري، والاستفهام التعجبي مستشهدا بقوله تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾[4]، والاستفهام التوبيخي نحو قوله تعالى: ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾[5]. المنصفين"[6]. ولذلك فإنّ الجهود البلاغية التي بذلها ابن قتيبة في مصنفاته، من حيث جمع شتات المسائل البلاغية المبعثرة، وتبويبها وتصنيفها والتعليق عليها، ثم نضمها في عقد واحد، لتعدّ عملا جليلا، وأثرا بارزا من آثاره العلمية المتعددة التي أسهمت في الدّرس البلاغي.

## خامسا: الزمخشري (ت538هـ):

لا يزال كتاب الزمخشري إلى اليوم التفسير الوحيد الذي يعرض لبلاغة القرآن على نطاق واسع، كما يعتبر أحد علماء البلاغة واللغة والتفسير من خلال مؤلفاته المعروفة وأشهرها كتاب (الكشاف) في التفسير والذي طبق فيه آراء عبد القاهر تطبيقا مستقصيا بديعا، وقد وصل هذا التطبيق بكثير من آرائه التي تدل على تعمقه وبعد غوره وفطنته في تصوير الدلالة البلاغية وإحاطته بخواص العبارات، بل أخص الخاص من مفرداتها وتراكيبها.

---

[1]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص134.

[2]- المصدر نفسه، ص136.

[3]- سورة طه الآية17.

[4]- سورة النبأ الآية2.

[5]- سورة الشعراء الآية165.

[6]- التفسير أساسياته واتجاهاته، فضل عباس، ص442، 443.

استطاع الزمخشري أن يقدّم صورة رائعة لتفسير القرآن، تعينه في ذلك بصيرة نافذة، تتغلغل في مسالك التنزيل وتكشف عن خفياه ودقائقه[1]، كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياسا دقيقا، وما يطوى فيه من كمال وجمال.

ومن أهم الأدوات التي ذكرها الزمخشري:

**1- التقديم والتأخير:** يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[2]، أي: "أوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي...(أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) فلا تنقضوا عهدي، وهو من قولك: زيدا رهبته، وهو أوكد في إفادة الاختصاص من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)"[3]، ويشير هنا إلى أنّ تقديم الضمير(إِيَّاكَ) على الفعل (نَعْبُدُ) للاختصاص.

**2- الالتفات:** قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[4]، "فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان: قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم...ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد"[5].

**3- التنكير:** أشار الزمخشري إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾[6]، حيث قال: "فإن قلت: لم قال: (**عَلَى حَيَاةٍ**) بالتنكير، قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة"[7]، والغرض من هذا التنكير هو الاختصاص.

---

[1]- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص219.

[2]- سورة البقرة الآية40.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، مكتبة العبيكان الرياض ط1/(1418-1998م)، ج1 ص123.

[4]- سورة الفاتحة الآية5.

[5]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص19، 20.

[6]- سورة البقرة الآية96.

[7]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص155.

**4- التشبيه:** يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾[1]، "فهي في قسوتها مثل الحجارة (أو أشد قسوة) منها وأشد معطوف على الكاف: إمّا على معنى: أو مثل (أَشَدُّ قَسْوَةً)...وإمّا على أو هي في أنفسها أشد قسوة، والمعنى أنّ من عرف حالها شبهها بالحجارة أو قال: هي أقسى من الحجارة، فإن قلت: لم قيل: أشد قسوة، وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب، قلت لكونه أبين وأدل على فرط القسوة"[2].

**5- الاستعارة:** أشار الزمخشري إلى قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبنَا غُلْفٌ**﴾[3]، يقول: "(**غُلْفٌ**) جميع أغلف، أي: هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصّل إليها ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن"[4]، يريدون بالقول أنّ قلوبنا مملوءة علما، لا تحتاج إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره، وهذا استكبارا منهم.

ويشير إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[5]، يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: "فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ) وهو عمر بن عبد العزيز، ويحكى عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنما يجلهم ويعظمهم، كما يُجَلُّ المهيب المخشيّ في الرجال بين الناس من بين جميع عباده"[6].

**5- الكناية:** يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾[7]، أي: "عضّ اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان والأرم وقرعها، كنايات عن الغيظ والحسرة، لأنها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على

---

[1]- سورة البقرة الآية74.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص145.

[3]- سورة البقرة الآية88.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص151.

[5]- سورة فاطر الآية 28.

[6]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص633.

[7]- سورة الفرقان الآية27.

المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان مالا يجده عند لفظ المكنى عنه"[1]، والغرض من هذه الكناية في الآية الكريمة هو الحسرة والنّدم.

**6- المشاكلة:** يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تعْفُوا أَقْرَبُ لِلتقْوَى**﴾[2]، يعني: "إلا أن تعفوا المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر...أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن، وهو مذهب الشافعي، وقيل: هو الزوج، وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملا وهو مذهب أبي حنيفة، والأول ظاهر الصحة، وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر إلا ان يقال: كان الغائب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج، فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها، فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها، أو سماه عفوا على طريق المشاكلة"[3]، يرى أن إطلاق العفو من باب المشاكلة.

وبناء على ما سبق أن الزمخشري لم تقف جهوده عند تطبيق القواعد البلاغية التي قررها عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، بل أضاف إليها أصولا لم يتعرّض إليها عبد القاهر الجرجاني، بالإضافة إلى أنه وضّح كثيرا من القواعد التي قررها عبد القاهر.

وتطبيق القواعد البلاغية في هذه الصورة التي فعلها العلامة الزمخشري في تفسيره "الكشاف" ليس بالأمر الهيّن، فليس التطبيق في المسائل النحوية مثل التطبيق في المسائل البلاغية، ذلك لأنه يسهل على النحوي أن يحلّل أو يعرب بعضا من النصوص، أما المسائل البلاغية فيصعب على البلاغي تطبيقها على النصوص الأدبية[4]، لما فيها من صعوبة، لأنّها تتعلّق بالذّهن.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص326.

[2]- سورة البقرة الآية237.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص258.

[4]- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة مصر ط2/(1408هـ-1988م)، ص36،37.

ويرى محمد أبو موسى أن تطبيقات العلامة الزمخشري في تفسيره تعتبر من إضافته مادام يضفي عليها من حسه وذوقه، ويقول أيضا: "وإذا كان الزمخشري قد طبّق كثيرا مما قرره عبد القاهر فقد أضاف أصولا بلاغية لم يعرض لها عبد القاهر، ونمى كثيرا من الأصول السابقة، وحرر كثيرا من المسائل"[1].

وعليه استطاع الزمخشري في كشافه "أن يقدّم صورة رائعة لتفسير القرآن تعينه في ذلك بصيرة نافذة، تتغلغل في مسالك التنزيل وتكشف عن خفاياه ودقائقه، كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياسا دقيقا، وما يطوى فيه من كمال وجلال"[2]، ومن هنا كان للزمخشري أثر كبير فيمن أتى بعده من البلاغيّين، فمَع نزعته الاعتزالية نجد حديثه عن الدقائق البلاغيّة موضع ارتياح لكثير ممّن أتى بعده من البلاغيّين.

## البيضاوي ومنهجه العلمي:

### أ- التعريف بالبيضاوي:

هو عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن على البيضاوي. وكان يكنى بأبي الخير، ويلقب بناصر الدين ويعرف بالقاضي[3]. والبيضاوي نسبة إلى مدينة البيضاء من بلاد فارس سميت بذلك؛ لأن لها قلعة تظهر من بعد ويرى بياضها وكانت معسكرا للمسلمين التابعة لمنطقة شيراز[4]، وهي مدينة واقعة الآن بإيران.

وقد لُقّب البيضاوي بالشيرازي نسبة إلى شيراز بكسر الشين وهي من أعظم مدن فارس حيث ولد في إحدى مدنها وترعرع فيها وتقلد القضاء فيها. وقد شاركه في هذا اللقب جمهرة من العلماء أجلاء منهم الإمام أبو إسحاق الشيرازي، وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي أبو إسحاق الشيرازي.صاحب التنبيه والمهذب في الفقه، والنكت في الخلاف، واللمع وشرحه، والتبصرة في الأصول الفقه وغيرها، توفي سنة ست وسبعين وأربعمائة[5].

---

[1]- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد أبو موسى، ص36.

[2]- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص255.

[3]- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، مطبعة مكتبة المعارف بيروت ط1977/2م، ج13 ص9.

[4]- يراجع معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت ط1995/2م، ج1 ص529.

[5]- يراجع البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، ج12 ص124.

ومنهم الإمام قطب الدين الشيرازي. وهو محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي، صاحب التصانيف النافعة في الأصول والمنطق والهيئة والفلك والحديث والعلوم العربية، ولد بشيراز سنة أربع وثلاثين وستمائة وتوفي بتبريز عام عشرة وسبعمائة[1].

وقد ذُكر البيضاوي نسبه في مقدمة كتابه (الغاية القصوى في دراية الفتوى) حيث قال: "فأعلم أني قد أخدت الفقه عن والدي مولى الموالي الصدر العالي، ولي الله الوالي، قدوة الخلف وبقية السلف، وإمام الملة والدين أبو القاسم عمر قدس الله روحه وهو عن والده قاضي القضاة السعيد فخر الدين محمد بن الإمام الماضي صدر الدين أبي الحسن على البيضاوي قدس الله أرواحهم عن الإمام العلامة مجير الدين[2]، ثم ذكر سنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويتبيّن من ذلك أنّ البيضاوي كان القاضي ابن القاضي ابن العالم كما ذكر.

**ب- مولده ونشأته:**

ولد القاضي ناصر الدين البيضاوي في بلدة البيضاء، التابعة لمنطقة شيراز. وقد غاب على المؤرخين تاريخ ميلاده فلم يذكروه في كتبهم، ولم يشر أحد من المترجمين إلى تاريخ ولادته، ولكن على التقريب فهو من علماء القرن السابع وولادته غالبا في أوائل القرن السابع أواخر القرن السادس.

وأما نشأته فقد نشأ البيضاوي في بيت علم وبركة، فأخذ العلم عن والده كما تتلمذ على شيوخ عصره في مختلف المجالات، فتربى في مهد العلم وغذى به وتدرّج فيه إلى أن بلغ فيه درجة سامية، جمع فيها القرآن وعلومه والفقه وأصوله واللغة وعلومها، كما برع في علم الكلام والجدل والمنطق والتاريخ والفلسفة فقال عنه العلماء: إنه كان إماما مبرزا نظارا خيرا صالحا متعبدا فقيها أصوليا متكلما مفسرا محدثا أديبا نحويا مفتيا قاضيا عادلا[3].

---

[1]- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى زاده، مطبعة الاستقلال الكبرى، ج1 ص204.

[2]- الغاية القصوى في دراية الفتوى، القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق محي الدين علي القرة، مطبعة دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، ج1 ص148.

[3]- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، مصطفى المراغي، مطبعة محمد أمين رمج وشركاه بيروت(1394هـ-1974م)، ج1 ص88.

رحل البيضاوي مع والده إلى شيراز عاصمة بلاد فارس، فقد كانت شيراز آنذاك ملجأ العلماء والفقهاء قصدها العلماء لوجود المن بها، إذ كانت بقية العالم الإسلامي في اضطراب وخوف من هجمات التتار المغوليين. فقضى البيضاوي في شيراز أغلب حياته ولم يحتج إلى رحلات في طلب العلم، إذ جمعت شيراز أكابر العلماء في تلك الفترة. فنهل البيضاوي من معين العلم وأتقنه فصار أستاذا في كثير من الفنون، ثم قلد منصب قاضي القضاة بشيراز، وكان سبب ترقية إلى هذا المنصب هو تفسيره للقرآن في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، قال الخوانساري: "وقد صار هذا الكتاب منشأ ترقياته في العالم، وسبب تقربه عند سلطان العصر، واختصاصه بمنصب قضاء القضاة، وذلك أنه كان قد بعث إليه بكتاب تفسيره المذكور، فاستحسنه منه، وأشار إليه بأن يطلب من الحضرة السلطانية بأداء هذا العمل السديد كلما يريد، فقال أريد قضاء البيضاء، لكي أترفع به بين أهل دياري الذين كانوا ينظرون إلي بعين التحقير[1].

لم يمكث البيضاوي في منصب القضاء بشيراز فسرعان ما ضرف منه لشدته في الحق فسعى في سبيل اعادة منصبه فرحل إلى تبريز في طلب القضاء قال السبكي: "إن البيضاوي لما صرف عن قضاء شيراز رحل إلى تبريز وصادف دخوله اليها مجلس درس لبعض الفضلاء، فجلس في أخريات القوم بحيث لا يعلم به أحد، فذكر المدرس نكته زعم أن أحدا من الحاضرين لا يقدر على جوابها، وطلب من القوم حلها والجواب عنها، فإن لم يقدروا فالحل فقط، فإن لم يقدروا فإعادتها. فشرع البيضاوي في الجواب فقال: لا أسمع حتى أعلم أنك فهمت فخيره بين اعادتها بلفظها أو معناها، فبهت المدرس. فقال أعدها بلفظها فأعادها ثم حلها وبين أن في ترتيبه إياها خلال ثم أجاب عنها وقابلهما في الحال بمثالها، ودعنا المدرس إلى حلها فتعذر عليه ذلك. وكان الوزير حاضرا، فأقامه من مجلسه وأدناه إلى جانبه، وسأله من أنت فأخبره أنه البيضاوي وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز، فأكرمه وخلع عليه في يومه ورده وقد قضى حاجته[2]، وقيل إنه استند في ذلك إلى شفاعة الشيخ محمد الكحتائي الذي نصحه بالابتعاد عن منصب القضاء فانصاع لأمره.

---

[1]- روضات الجنات، محمد الأصبهاني، تحقيق أسد الله إسماعيليات، مطبعة مهر استوار طهرالي قم إيران1391هـ، ج5 ص134.

[2]- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، مطبعة الحسينية المصرية، ج5 ص59.

وففي كلا الروايتين شفع للبيضاوي في تولي القضاء لعلمه، أو شفع له الشيخ الكحتائي، ولكنه تركه وقضى بقية عمره في الزهد والعبادة والتدريس والتأليف.

**ج- عقيدته ومذهبه:**

كان البيضاوي متكلما أشعريا متصوفا شافعي المذهب، ظهر ذلك في كتاباته في التفسير وغيرها من العلوم التي كتب فيها كالفقه والمنطق والعقيدة.

ففي علم الكلام، ألف كتاب الطوالع، والإيضاح، ومصباح الأرواح، وغيرها، فكتابه (طوالع الأنوار) قال فيه الأسنوي (ت772هـ): "هو كتاب دقيق للغاية وأجل مختصر صنف في علم الكلام"[1].

وقد ظهر علم الكلام والعقيدة الأشعرية في تفسير البيضاوي ظهورا بيّنا فقد كان يجنح إلى مذهب التأويل في تفسير الآيات التي فيها ذكر الصفات الخبرية عن المولى عز وجل فمثلا في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ**﴾[2]. قال البيضاوي (ت685هـ): "حملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم من نفاذ أمره"[3].

أمّا بالنسبة لمذهبه فقد كان مذهب الشافعي أكثر انتشار في بلاد فارس وخرسان وبغداد وما حولها، فكان من تأثير ذلك أن اختار البيضاوي مذهب الشافعي ودافع عنه وإن كان قد أتقن فقه بقية المذاهب، إلا أنّ مذهب الشافعي غلب على فقه فظهر في مؤلفاته.

وقد كان والد البيضاوي شافعي المذهب فكان لذلك أثر في تكوين شخصية البيضاوي واختياره لمذهب الشافعي. وقد صنفه (السبكي) ضمن فقهاء الشافعية، وكذلك (الأسنوي) في طبقات الشافعية، فكان يدرس فقه الشافعية لتلاميذه، كما ألف كتاب الغاية القصوى في دراية الفتوى في فقه الشافعية، وشرح كتاب الشيرازي المسمى (بالتنبيه في فقه الشافعية) وغير ذلك.

---

[1]- نهاية السول شرح منهاج الوصول، جمال الدين الأسنوي، مطبعة السلفية بالقاهرة1343هـ، ج1 ص5.

[2]- سورة غافر الآية8.

[3]- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط1418/1هـ، ج5 ص52.

**د- وفاته:**

توفي البيضاوي في تبريز ببلاد فارس، ودفن في خرانداب بتبريز على شرقي تربة الخواجة ضياء الدين يحيى على ما ذكر الخوانساري[1]. وأمّا تاريخ وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون. فقال السبكي، والأسنوي: سنة إحدى وتسعين وستمائة[2]، وقال ابن كثير في تاريخه، والخوانساري، وجمهور المؤرخين: توفي سنة خمس وثمانين وستمائة[3]. وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على أنوار التنزيل: "والمشهور الذي اعتمده وصححه المؤرخون في التواريخ الفارسية أنه توفي في شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة تقريبا ويشهد له ما في آخر تاريخه نظام التواريخ وهو المعتمد"[4]. ولتباين هذه الأقوال في تاريخ وفاته حيث لا يمكن الترجيح فالمعول عليه هو الآخذ بقول جمهور المؤرخين أنه توفي عام خمس وثمانين وستمائة والله أعلم بالصواب.

**هـ - شيوخه:**

تلقى البيضاوي العلم على كثير من العلماء في عصره، فدرس الفقه والقراءات واللغة والنحو والمنطق وغيرها، فقد كانت تبريز أنذاك، قبلة العلماء في بلاد فارس، ومن أشهر شيوخ البيضاوي ما يلي:

**1- والده:**

كان البيضاوي أول ما نهل من العلم، حيث نهل من معين والده أبو القاسم عمر بن محمد بن علي البيضاوي. ترجم له صاحب كتاب شد الإزار فقال: "مقتدي عصره، وأوحد دهره، كان إماما متبحرا جمع بين العلم والتقوى وتقلد القضاء بشيراز سنين درس وأسمع وحدث وروي عن شيخه عبد الرحيم بن عبد الرحمن السجستاني. توفي في ربيع سنة خمس وسبعين وستمائة ودفن بالضفة الجنوبية من المدرسة الغربية بالسوق الكبير"[5].

---

[1]- روضات الجنّات، محمد الأصبهاني، ج5 ص134.

[2]- يراجع طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج5 ص59، طبقات الشافعية، الأسنوي، ج1 ص283.

[3]- يراجع البداية والنهاية، ابن كثير، ج13 ص309، روضات الجنات، الأصبهاني، ج5 ص134.

[4]- عناية القاضي وكفاية الراضي، شهاب الخفاجي، ج1 ص3، 4.

[5]- شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار، معين الدين الشيرازي، تحقيق محمد القزويني، عباس إقبال، مطبعة المجلس طهران (1368هـ-1949م)، ص299.

تأثر البيضاوي بوالده وظهر ذلك في فتواه، فقد صرح بفتوى والده في تفسيره لأية الصدقات فقال: "ظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية، ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة للتسوية بينهم قضية للاشتراك، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه، وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها إلى صنف واحد، واختاره بعض أصحابنا، وبه قال الأئمة الثلاثة وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى"[1]. وقد ذكر اليافعي في ترجمته له أنه تفقه على أبيه[2]، وقد ذكر البيضاوي في مقدمة كتابه (الغاية القصوى في دراية الفتوى) إجازته العلمية وسند أخذه العلم من والده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

### 2- الشيخ محمد الكَحْتَائِي:

وهو الشيخ محمد بن محمد الكحتائي الصوفي، وهو من شيوخ البيضاوي الذين صحبهم واقتدى بهم في الزهد والعبادة. فقد كان البيضاوي يقتدي بالشيخ الكَحْتَائِي، ويستجيب لإرشاده وتوجيهه، فقد لزمه البيضاوي واقتدى بسلوكه في الزهد والعبادة إلى أن مات. فقد ذكر (السبكي) في الطبقات الكبرى أن البيضاوي عندما صرف عن قضاء (شيراز)، دخل (تبريز) ومكث بها، فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكَحْتَائِي للأمير في طلب القضاء، فلما أتاه على عادته قال إن هذا الرجل عالم فاضل يريد الاشتراك مع الأمير في السعير، يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار، وهي مجلس الحكم، فتأثر البيضاوي من كلامه وترك المناصب الدنيوية ولازم الشيخ إلى أن مات[4]، وصنف التفسير بإشارة شيخه، ولما مات دفن عند قبره.

**و- تلاميذه:**

تلقى العلم على البيضاوي عدد كبير من التلاميذ إذ كانت له الدروس وحلقات العلم، ولكن التاريخ لم يسجل عنهم إلا القليل، والسبب في ذلك يرجع إلى قولنا بأن شهرة البيضاوي

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج2 ص282.

[2]- يراجع مرآة الجنان، عبد الله اليافعي، مطبعة مؤسسة الأعلى للمطبوعات (1390هـ-1970م)، ج4 ص220.

[3]- يراجع الغاية القصوى في دراية الفتوى، القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي، ص15.

[4]- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج5 ص59.

العلمية شغلت المؤرخين من النظر إلى تلاميذ البيضاوي وشيوخه، إلا قليلا ممن أشتهر منهم، وممن أشتهر من هؤلاء التلاميذ:

**1- جمال الدين الكسائي:**

وهو جمال الدين محمد بن أبي بكر بن محمد المقرئ قال أبو القاسم جنيد الشيرازي صاحب كتاب شد الإزار: كان من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضي إمام الدين البيضاوي درس الكتب، وله تصانيف فائقة منها: كتاب (نور الهدى في شرح مصابيح الدجى). وكتاب (النجم في الأصول)، و(سير القرائح في الأحاجي) وغيرها. كان يعظ الناس ويدعوهم إلى الله تعالى سنين ومرقده خلف درب كازرون في رباط[1].

**2- رزين الدين الخنجي:**

وهو القاضي رزين الدين علي بن روزبها بن محمد الخنجي، قدوة أرباب العلم والتقوى، وأسوة أصحاب الدرس والتقوى، قد جمع بين المشروع والمعقول، وصنف في الفروع والأصول. ومن مصنفاته: المعتبر في شرح المختصر لابن الحاجب، وكتاب النهاية في شرح الغاية للبيضاوي، وكتاب الشكوك علي الكافية، وكتاب القواعد في النحو، توفي في صفر سنة سبع وسبعمائة ودفن بقته العالية[2].

**ز- مصنفاته:**

ألف البيضاوي مصنفات عدّة ذكرها أصحاب التراجم منها[3]:

**1- أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** تأتي أهمية هذا التفسير في كونه من أمهات كتب التفسير، وهو كتاب عظيم الشأن غني عن البيان، جمع فيه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية، ولخص من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن (مفاتيح الغيب) ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن (مفردات الراغب الأصفهاني) ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، كما أنه أعمل فيه عقله فضمنه نكتا بارعة واستنباطات دقيقة.

---

1- شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار، معين الدين الشيرازي، ص117.

2- يراجع المرجع نفسه، ص299.

3- يراجع مرآة الجنان، عبد الله اليافعي، ج4 ص165، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج5 ص155.

ولكونه متبحرا في ميدان فرسان الكلام، فأظهر مهارته في العلوم، حسبما يليق بالمقام، كشف القناع تارة، عن وجوه محاسن الإشارة، وملح الاستعارة، وهتك الأستار أخرى، عن أسرار المعقولات، بيد الحكمة ولسانها، وترجمان الناطقة وبنانها، فحل ما أشكل على الأنام، وذلل لهم صعب المرام.

ثم إن هذا الكتاب رزقه الله حسن القبول عند العلماء فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علق على سورة منه، ومنه من حشى تحشية تامة، وأشهر هذه الحواشي تداولا بين الناس (حاشية الشيخ زاده) و(حاشية الشهاب الخفاجي) و(حاشية القونوي)[1].

2- الإيضاح في أصول الدين.

3- الغاية القصوى في دراية الفتوى.

4- شرح الكافية لابن الحاجب في النحو.

5- لب الألباب في علم الإعراب.

**ح- مصادر تفسير البيضاوي:**

اعتمد البيضاوي في تفسيره على مصادر مختلفة ومتنوعة فقد جعل القرآن الكريم مصدرا يفسر فيه القرآن بالقرآن، وكذلك جعل من السنة النبوية مصدرا لكثير من توجيهاته التفسيرية، وذكر أسباب النزول وما ورد من الأحاديث النبوية التي تشرح وتفسر الآيات، واعتمد أيضا على كتب معاصرة وسابقة، وأقوال علماء سابقين، وحتى معاصرين، لتكون مصادر له في تفسيره. فنراه قد اعتمد على مصادر معينة يرجع إليها في تقرير الأمور الفقهية، وأخرى في تقرير علم أصول الفقه ويدلل عليها من أقواله، ومصادر أخرى لتقرير علوم اللغة العربية، واستعان أيضا بتفاسير لتكون مرجعة ومصدره في تأليفه لتفسير بشكل عام واعتمد عليها اعتمادا كبيرا.

**أولا: القرآن الكريم:**

يعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أهم طرق التفسير وأحسنها فقد قال ابن كثير: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق لك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فُسر في موضع آخر...بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس

---

[1]- يراجع كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الكتب العلمية1941م، ج1 ص186.

الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما حَكَم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو ممّا فهمه من القرآن[1].

ولهذا كان لابد لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أوّلا، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء موجزا.

وبما جاء مبيّنا على فهم ما جاء مجملا، وليحمل المطْلق على المقيّد والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسرّ القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرف به من غيره[2]، لذلك فقد اعتمد البيضاوي في تفسيره كثيرا على القرآن الكريم وأخد يُفسّرُ القرآن بالقرآن بطرق مختلفة.

ونجد البيضاوي يفسر الآية ويبين المراد منها ما ظهر من معناها اللغوي[3]، ويؤيد تفسيره للآية بآية أخرى تعضد ما ذهب إليه، ومثال ذ لك ما جاء عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[4]، أي: لثقيلة شاقة[5]، كقوله تعالى: ﴿**كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ**﴾[6]، ومعناه عظُم عليهم وشقّ عليهم.

ومن الأمثلة التي تدلّ على اعتماده على القرآن الكريم، ليوضح معنى لغوي لآية أخرى، هو تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[7]، قال البيضاوي: "الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية: وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به للمبالغة كالصوم

---

[1]- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرون، ج1 ص6.
[2]- يراجع التفسير والمفسرون، عبد القادر صالح، ج1 ص31.
[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص98.
[4]- سورة البقرة الآية45.
[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص78.
[6]- سورة الشورى الآية13.
[7]- سورة الفاتحة الآية2.

والعدل. وقيل: هو نعت من ربّه يربه فهو رب، كقولك نم ينم فهو نم، ثم سمى به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه. ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيداً"[1].

وعند حديثه على قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[2]، قال البيضاوي: "والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له، أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه"[3]، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا**﴾[4]، و"قولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه"[5].

وقال أيضا في تفسيره للآية: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[6]، أي: "جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام، فإن إدخال (يا) عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفاً موضحاً له، والتزام رفعه إشعاراً بأنه المقصود، وأقحمت بينهما (هاء) التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يستحقه، أي: من المضاف إليه، وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد، وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام، من حقها أن يتفطنوا إليها، ويقبلوا بقلوبهم عليها، وأكثرهم عنها غافلون، حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد، ويدل عليه صحة الاستثناء منها أو التأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾[7]، واستدلال الصحابة بعمومها شائعاً وذائعاً "[8]، والمقصود هنا، أنّ الآية تفيد العموم.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج1 ص27.

[2]- سورة البقرة الآية6.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص13.

[4]- سورة البقرة الآية13.

[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص40.

[6]- سورة البقرة الآية21.

[7]- سورة الحجر الآية30.

[8]- تفسير البيضاوي، ج1 ص54.

وقد يتصدى البيضاوي إلى آية تدل على حكم فقهي فيتخذ فيها مذهبا، ويأتي بآية أخرى دليلا إلى ما ذهب إليه.

**ثانيا: السنة النبوية:**

ومن مصادره السنة النبوية فهو يورد الأحاديث صحيحها، حسنها، ومعلولها، وضعيفها، ويستشهد بها في تفسيره للآيات، على الرغم من أن تفسيره لا يعد تفسيرا بالمأثور، ولكنه يورد الأحاديث لأغراض في التفسير منها:

**1**- أن يورد الحديث لبيان ما تدل عليه الآية، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[1]، أي: "الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهي صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب: "شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا"[2].

**2**- يورد الحديث لتسهيل فهم الآية وتوضيح معناها، كقوله قوله: ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[3]، أي: "أجيرها بحفظك. (وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ) المطرود، وأصل الرجم الرمي بالحجارة. وعن النبي صلّى الله عليه وسلّم: "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل من مسّه إلا مريم وابنها"، ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة"[4].

**3**- يورد الحديث ليعضّد به حجته ويؤيد ما ذهب إليه من قوله، ويرد على من خالفه: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**فطلّقوهنّ لعدّتهنّ**﴾[5]، أي: "وقت عدّتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض، وأما ما روي من قوله عليه الصلاة والسلام "طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان"[6]، ويستدل بالحديث الذي رواه الشيخان في قصة ابن عمر: "مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى

---

[1]- سورة البقرة الآية238.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص206.

[3]- سورة آل عمران الآية36.

[4]- تفسير البيضاوي، ج1 ص257.

[5]- سورة الطلاق الآية1.

[6]- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية بيروت، ج3 ص488.

تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء"[1].

**4**- وقد يأتي البيضاوي بالحديث لبيان ما لا يعلم إلا من النقل، وليس للعقل ولا للرأي فيه مجال: وهو على ضربين: الإخبار عن قصة في العصور السابقة في زمان مضى، والإخبار عن مشهد من مشاهد يوم القيامة.

**ثالثا: أقوال الصحابة:**

يستدل البيضاوي بأقوال الصحابة رضي الله عنهم؛ عند تفسيره وذلك ليعضد ما ذهب إليه وليوضح المعنى، لأن الصحابة رضي الله عنهم كما هو معلوم؛ هم أكثر الناس فهْما لكتاب الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فهم الذين نزلت فيهم الآيات وهم الذين تلقوا عِلم الكتاب والسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فنجد البيضاوي يستدلّ بأقوالهم لإثبات ما يذهب إليه في تفسيره.

من ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2]، قال البيضاوي: "(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ): ولا تمسكوا كل الإمساك. (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ): بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإن ذلك يقوي العدو ويسلطهم على إهلاكهم، ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنّه قال: لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت، أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد "[3].

ومثال آخر لاستشهاد البيضاوي بقول الصحابة ليدعّم رأيه فيما يذهب إليه من تفسير هو عند تعرّضه لتفسير قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾[4]، وقال البيضاوي: "(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

---

[1] - تفسير البيضاوي، ج1 ص13.
[2]- سورة البقرة الآية195.
[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص174.
[4]- سورة البقرة الآية267.

كَسَبْتُمْ)، من حلاله أو جياده، (وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أي: ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمرات والمعادن...(وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ)، أي: ولا تقصدوا الرديء منه، أي: من المال أو مما أخرجنا لكم ...(وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ) أي: وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لردائته. (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ)، أي: إلا أن تتسامحوا...وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانوا يتصدقون بحشف التمر وشَرارِهِ فنُهوا عنه"[1].

ومثاله أيضا استدلاله بقول عثمان وعلي رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[2]، وقال البيضاوي: "(وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ): في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما: حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية. وقوله: (**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**)، فرجّح عليّ كرّم الله وجهه التحريم، وعثمان رضي الله عنه التحليل، وقول عليّ أظهر، لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع الحلال والحرام إلا غُلِبَ الحرام)"[3]، وهي سنة الله في خلقه.

**رابعا: كتب اللغة:**

تأثّر البيضاوي بأهل اللغة ونقل عنهم، ويبدو ذلك واضحا في تفسيره فنقل عن الخليل وسيبويه وثعلب والزجاج والمبرّد والأزهري وغيرهم. فكان يذكر من أخذ عنه في بعض الأحيان، وفي أحيان كثيرة لا يذكر اسم من أخذ عنه ويورده بصفة قيلَ. ومن أمثلة ما أخذه من كتاب

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج1 ص226.

[2]- سورة النساء الآية23.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص344.

سيبويه ما جاء في تفسيره قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾[1]. وقال البيضاوي: "(الميم) عوض عن (يا)، ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول (يا) عليه مع (لام) التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته. (**مَالِكَ الْمُلْكِ**) يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فإن الميم عنده تمنع الوصفية"[2]. أي: أنّ الاسم الواقع بعد ميم (اللهم) لا يكون صفة لما قبله فهو نداء ثان حذف منه حرف النداء تخفيفا، فكأن ترتيب الآية يا الله يا مالك الملك. "وقد يقال لاهم واللهم؛ فالميم بدل من حرف النداء، وربما جمع بين البدل والمبدل منه في ضرورة الشعر كقول الراجز: عفوت أو عذبت يا اللهما"[3]. وجاء عن سيبويه في كتابه أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي قال: (اللهم) نداء، (والميم) ها هنا بدل من (يا) فهي ها هنا فيما زعم الخليل رحمه الله آخر الكلمة بمنزلة (يا) في أوّلها، إلا أنّ (الميم) ها هنا في الكلمة كما أنّ (نون) المسلمين في الكلمة بنيت عليها، (فالميم) في هذا الاسم حرفان أولهما مجزوم و(الهاء) مرتفعة لأنّه وقع عليها الإعراب، وإذا ألحقت (الميم) لم تصف الاسم من قبَل أنه صار مع (الميم) عندهم بمنزلة صوت كقولك: يا هناه[4].

ومن أمثلة ما أخذه عن المبرّد، ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[5]، قال البيضاوي: "جملتان عند سيبويه إذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط إذ المعنى والذي سرق والتي سرقت"[6].

---

[1]- سورة آل عمران الآية26.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص252.

[3]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت ط4/(1407هـ-1987م)، ص2248.

[4]- يراجع الكتاب، سيبويه، ج2 ص196، 197.

[5]- سورة المائدة الآية38.

[6]- تفسير البيضاوي، ج1 ص430.

وقال المبرّد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[2]. فليس على هذا، والرفعُ الوجه، لأنمعناهُ الجزاءُ، كقوله: (لزَّانِيَةُ)، أي: التي تزني، فإما وجب القطع للسرق والجلد للزنا، فهذا مجازاة، ومن ثم جاز: الذي يأتيني فله درهمٌ، فدخلت الفاءُ لأنه استحق الدرهم بالإتيان، فإن لم ترد هذا المعنى قلت الذي يأتيني له درهمٌ، ولا يجوزُ: زيدٌ فله درهمٌ، أو هذا زيدٌ، فحسن جميلٌ، جازَ، على أن زيداً خبرٌ، وليس بابتداءٍ، للإشارة دخلت الفاءُ، وفي القرآن: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[3]، ودخلتِ (الفاءُ)؛ لأن الثواب دخل للإنفاق. وقد قرأت القراءُ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾[4]، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا﴾، بالنصبِ، على وجه الأمر، والوجه الرفعُ، والنصبُ حسنٌ في هاتين الآيتين، وما لم يكن فيه معنى جزاءٍ فالوجهُ النصبُ[5].

وتأثّر البيضاوي بأبي البقاء العكبري من ناحية اللغة والإعراب في التفسير، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾[6]، قال: "تقديره: أن لا يعبدوا، فلما حذف (أن) رفع كقوله:

**أَلا أَيّهذا الزَّاجِرِي أَحضُرَ الوَغَى * وَأَنْ أَشَهدَ اللذاتِ هَلْ أنتَ مُخلِدي**

ويدل عليه قراءة: (ألا تعبدوا)، فيكون بدلاً عن الميثاق، أو معمولاً له بحذف الجار. وقيل: إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال: وحلفناهم لا يعبدون. وقرأ نافع وابن عامر، وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بـ(التاء) حكاية لما خوطبوا به، والباقون بـ(الياء) لأنهم غيب"[7].

---

[1]- سورة المائدة الآية38.

[2]- سورة النور الآية2.

[3]- سورة البقرة الآية274.

[4]- سورة النور الآية

[5]- يراجع الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ط3/(1417هـ-1997م)، ج2 ص197.

[6]- سورة البقرة الآية83.

[7]- تفسير البيضاوي، ج1 ص115.

وهو كلام العكبري غير أنه فيه تقديم وتأخير، ولذلك قال: (لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) يقرأ بـ(التاء) على تقدير: قلنا لهم لا تعبدون، وبـ(الياء) لأن بني إسرائيل اسم ظاهر فيكون الضمير حرف المضارعة بلفظ الغيبة، لأن الأسماء الظاهرة كلها غيب، وفيه من الإعراب أربعة أوجه أحدها: أنه جواب قسم دل عليه المعنى، وهو قوله: (أخذنا ميثاقهم) أي: معناه أحلفناهم، أو قلنا لهم بالله لا تعبدون. والثاني أنَّ (أنْ) مراده التقدير أخذنا ميثاق بني إسرائيل على أن لا تعبدوا إلا الله فحذف حرف الجر ثم حذف (أن) فارتفع الفعل ونظيره (ألا أيها الزاجري أحضر الوغى) بالرفع والتقدير: عن أن أحضر الوغى. والثالث: أنه في موضع نصب على الحال، تقديره: أخذنا ميثاقهم موحدين، وهي حال مصاحبة ومقدرة، لأنهم كانوا وقت أخذ العهد موحدين، والتزموا الدوام على التوحيد. الرابع: أن يكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي، والتقدير: قلنا لهم (لا تعبدوا)[1].

ومن كل ما سبق يتبيّن لنا أنّ البيضاوي استفاد من أقوال اللّغويّين والنّحاة، فنقل منها واختصر بعضها وتبنى أقوال البعض، فكانت كتب اللغة مصدراً من مصادر البيضاوي في التفسير.

## خامسا: كتب التفسير:

من كتب التفسير الأساسية التي اعتمد عليها البيضاوي؛ كمصادر في تفسيره، التفاسير الثلاثة المشهورة، وهي تفسير الراغب الأصفهاني (مفردات القرآن)، وتفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وتفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب).

وقد اختص كلّ واحد من هذه التفاسير بفن من الفنون، برع فيه حتى صار تفسيره مشتهراً بهذا الفن الذي توسع فيه وأتقنه، فتفسير الزمخشري اهتم بعلمي المعاني والبيان، وتفسير الرازي اهتم بإبراز روح الحكمة القرآنية، وعرض نظرياتها من نواحي الفلسفة وأصول الدين وأصول الفقه، وتفسير الراغب اهتم بجانب اللغة وبيان المفردات.

---

[1]- يراجع التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، ص83.

ويأتي في طليعة هذه التفاسير التي اعتمد عليها البيضاوي تفسير الزمخشري، فإننا نلحظ حضورا بارزا لتفسير الزمخشري في تفسير البيضاوي، مما حدا ببعض العلماء إلى أن يعدوا تفسير البيضاوي تلخيصا للكشاف واختصارا له[1]، وقد قال الزمخشري: "ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة اللّه، وحرص على استيضاح معجزة رسول اللّه بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات، طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع إليه"[2].

والزمخشري كان ذلك الرجل فقد كان غواصا على دقائق معاني القرآن العظيم، مستخرجا لنكاته البيانية وأسراره البلاغية، مما دفع أبا حيان الأندلسي(ت745هـ) إلى أن يثني عليه فيقول: "أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير"[3].

والمعروف أنّ الزمخشري كان معتزلي الاعتقاد، إلا أنّ البيضاوي كان يلخّص كلامه، وكان يخالفه أحيانا ويوافقه أحيانا، فقد خالفه في معنى (الحمد)، قال البيضاوي: "الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها"[4]، أما الزمخشري فقال: "الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها"[5]، كما نجده يوافقه في عقيدته الاعتزالية أثناء تفسيره لبعض الآيات من القرآن الكريم.

ومن مصادره في التفسير، تفسير الفخر الدين الرازي المسمى بالتفسير الكبير، هذا التفسير الذي أطل به علينا في بداية القرن السابع الهجري بحلة جديدة ما عهدناها في كتب التفسير التي سبقته، وجاء تفسيره قائما على أساس استنباط المعاني الكثيرة من الألفاظ القرآنية المعدودة والعبارات القصيرة[6]، وقد أبرز الرازي في تفسيره الفلسفة على أنها خادمة للشريعة لا حاكمة عليها واضعا القرآن العظيم موضع الدراسة على منهج يرى تفوق الحكمة القرآنية على

---

1- يراجع طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج8 ص157.
2- الكشّاف، الزمخشري، ص2 (المقدمة).
3- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت ط1420/1هـ، ج1 ص20.
4- تفسير البيضاوي، ج1 ص27.
5- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص8.
6- يراجع التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر1970م، ص72، 73.

سائر الطرائق الفلسفية[1]، كما سلط الضوء على وجهين آخرين من وجوه الإعجاز يقفان إلى جانب الإعجاز البلاغي، هما: العلمي والغيبي[2].

فكان الرازي إماما في التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان العلماء يقصدونه من البلاد، ويشدون إليه الرحال من مختلف الأقطار، وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الري، وعن الكمال السمعاني، والمجد الجيلي، وكثير من العلماء الذين عاصرهم ولقيهم، وله فوق شهرته العلمية شهرة كبيرة في الوعظ، حتى قيل إنه كان يعظ باللسان العربي واللسان العجمي، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء[3]، كان رحمه الله فريد عصره، ومتكلم زمانه، جمع كثيرا من العلوم ونبغ فيها.

وقد كان الإمام البيضاوي يلخص من تفسير الرازي، كما كان يلخص من تفسير الزمخشري، ومن أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**﴾[4]، وقال البيضاوي: "أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه، وفيه مبالغة ليست في إيقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي وإطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه، والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن، والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بـ(إلى) و(اللام) لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص"[5].

وقال الرازي: في الْآية مسائل:

**المسألة الأولى**: في المنادي قولان: أحدهما: أنّه محمّد عليه الصّلاة والسّلام وهو قول الأكثرين، والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ**﴾[6]، ﴿**وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ**﴾[7]، ﴿**أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ**﴾[8]، والثّاني: أنّه هو القرآن، قالوا إنّه تعالى حكى عن مؤمني الإنس ذلك كما حكى عن

---

1- يراجع التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، ص71.

2- يراجع المرجع نفسه، ص77.

3- يراجع التفسير والمفسرون، محمد الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة ط2000/7م، ج1 ص206.

4- سورة آل عمران الآية193.

5- تفسير البيضاوي، ج2 ص55.

6- سورة النحل الآية125.

7- سورة الأحزاب الآية46.

3- سورة يوسف الآية108.

مؤمني الجنّ قوله: ﴿**إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ**﴾[1]، قالوا: والدّليل على أنّ تفسير الآية بهذا الوجه أولى لأنّه ليس كلّ أحد لقي النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، أمّا القرآن فكلّ أحد سمعه وفهمه، قالوا: وهذا وإن كان مجازا إلّا أنّه مجاز متعارف، لأنّ القرآن لما كان مشتملا على الرّشد، وكان كلّ من تأمّله وصل به إلى الهدى إذا وفّقه اللّه تعالى لذلك، فصار كأنّه يدعو إلى نفسه وينادي بما فيه من أنواع الدّلائل، كما قيل في جهنّم: ﴿**تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى**﴾[2]، إذ كان مصيرهم إليها، والفصحاء والشّعراء يصفون الدّهر بأنّه ينادي ويعظ، ومرادهم منها دلالة تصاريف الزّمان.

**المسألة الثّانية:** في قوله: ينادي للإيمان وجوه: الأوّل: أنّ اللّام بمعنى (إلى) كقوله: ﴿**ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ**﴾[3]، ﴿**ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا**﴾[4]، ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها**﴾[5]، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا**﴾[6]، ويقال: دعاه لكذا وإلى كذا، وندبه له وإليه، وناداه له وإليه، وهداه للطّريق وإليه، والسّبب في إقامة كلّ واحدة من هاتين اللّفظتين مقام الأخرى: أنّ معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص حاصلان جميعا. الثّاني: قال أبو عبيدة: هذا على التّقديم والتّأخير، أي سمعنا مناديا للإيمان ينادي بأن آمنوا، كما يقال: جاءنا منادي الأمير ينادي بكذا وكذا. والثّالث: أنّ هذه (اللّام) لام الأجل والمعنى: سمعنا مناديا كان نداؤه ليؤمن النّاس، أي: كان المنادي ينادي لهذا الغرض، ألا تراه قال: أن آمنوا بربّكم أي لتؤمن النّاس، وهو كقوله: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[7].

---

[1]- سورة الجن الآيتين1، 2.

[5]- سورة المعارج الآية14.

[6]- سورة المجادلة الآية8.

[4]- سورة المجادلة الآية3.

[5]- سورة الزلزلة الآية5.

[9]- سورة الأعراف الآية43.

[7]- سورة النساء الآية64.

**المسألة الثّالثة:** قوله: ﴿**سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي**﴾، نظيره قولك: سمعت رجلا يقول كذا، وسمعت زيدا يتكلّم، فيوقع الفعل على الرّجل ويحذف المسموع، لأنّك وصفته بما يسمع وجعلته حالا عنه فأغناك عن ذكره، ولأنّ الوصف أو الحال لم يكن بدّ منه، وأنّه يقال: سمعت كلام فلان أو قوله.

**المسألة الرابعة:** هاهنا سؤال وهو أن يقال: ما الفائدة في الجمع بين المنادي وينادي؟ وجوابه: ذكر النّداء مطلقا ثمّ مقيّدا بالإيمان تفخيما لشأن المنادي، لأنّه لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان، ونظيره قولك: مررت بهاد يهدي للإسلام، وذلك لأنّ المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب، أو لإطفاء النّائرة، أو لإغاثة المكروب، أو الكفاية لبعض النّوازل، وكذلك الهادي، وقد يطلق على من يهدي للطّريق، ويهدي لسداد الرّأي، فإذا قلت ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخّمته.

**المسألة الخامسة:** قوله: أن آمنوا فيه حذف أو إضمار، والتّقدير: آمنوا أو بأن آمنوا"[1].

وبذلك نجد البيضاوي قد جمع بين هذين التفسيرين —تفسير الزمخشري والرازي– فأحسن الجمع بينهما بطريقة علمية ومنهجية رائعة، مستكملا بذلك ما يصبو إليه طالب علم التفسير، وهو الأمر الذي أهّل تفسيره ليكون موضع اهتمام العلماء بعده[2]، والملاحظ هنا أن البيضاوي كان مهذِّبا لعبارة الرازي في بعض المواطن، ملخصا شيئا من إسهاباته.

وقد اتخذ القاضي البيضاوي من تفسير الراغب الأصفهاني رافدا ثالثا لتفسيره ليضفي عليه مزيداً من تحرير رونق الكلام، واستجلاء إشارات البيان، مع الاهتمام ببيان المفردات واللغة، فقد لخص البيضاوي من تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات، وتحرير المعاني الذوقية.

ويظهر تأثر البيضاوي بالراغب الأصفهاني في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[3]، حيث قال: "والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لأنه كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة

[1]– مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط3، ج9 ص466، 467.

[2]– يراجع التفسير ورجاله، مجمع الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة(1390هـ-1970م)، ص93.

[3]– سورة البقرة الآية30.

به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**﴾[1]، ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أرسل إليهم الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمة بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة أن العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك"[2].

وقال الراغب الأصفهاني في الآية السابقة: "والخليفة والخلف يتقاربان من قولك: خلف فلان فلانا إذا قام مقامه، والخلف والسلف يتناقضان كخلف وقدام، فإن قيل: ما وجه استخلاف الله تعالى، والخلافة إنما تكون للنيابة عن الغير؟ إما لغيبته أو موته أو عجزه، وذلك لا يجوز على الله تعالى قيل: بل قد يكون على غير ذلك، وهو أن يستخلف المستخلف غيره امتحانا للمستخلف، أو تهذيبا له، أو يستخلفه لقصور المستخلف عليه من قبول التأثير من المستخلف لا لعجز المستخلف وذلك ظاهر في الأشياء المهينة والطبيعة، فإن السلطان جعل الوزير بينه وبين رعيته، إذ هو يقبلون من الواعظ ماله قرب إلى قبولهم منه، وكذا الواعظ جعل بين العامة والحكماء، فإن العامة لا يقبلونه من الحكيم، وليس ذلك لعجز الحكيم، بل لعجز العامة عن القبول منه، وعلى هذا اللحم والعظم لما تباعد ما بينهما عجز العظم عن قبول الغذاء من اللحم، فجعل الله تعالى بحكمته بينهما الغضاريف التي بينهما، ولها مناسبة إليهما لتأخذ ذلك من اللحم وتعطيه العظم، وكذلك جعل تعالى الرسل بين الملك الذي هو من قبله تعالى وبين العباد لفضل قوة أعطاها ليأخذوا منه الحكمة ويوصلوها إلى الناس"[3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا**﴾[4].

---

[1]- سورة الأنعام الآية9.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص67.

[3]- تفسير الراغب الأصبهاني، تحقيق محمد بسيوني وعادل الشدي كلية الأدب جامعة طنطا ودار الوطن الرياض، ج1 ص138.

[4]- سورة الأنعام الآية9.

يتضح مما سبق أنّ البيضاوي قد استعان ببعض المفسرين واللغويين في تفسيره، وهذا الذي أهذله وجعل كتابه يحتل مكانة مرموقة بين كتب التفاسير، وجعل العلماء يهتمون به غاية الاهتمام.

## منهج البيضاوي في تفسيره:

جمع الإمام البيضاوي بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة، وقد اختصر تفسيره من "الكشاف"، ولكنه ترك ما فيه من اعتزالات وإن كان أحياناً يذهب إلى ما يذهب إليه صاحب الكشاف، كما استمد من التفسير الكبير المسمى ب"مفاتيح الغيب" للإمام الرازى (ت606هـ). ومن تفسير الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، وضم إلى ذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، كما أنه أعمل فيه عقله فضمنه نكتاً بارعة، ولطائف رائعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب رائع موجز، وعبارة تدق أحياناً وتخفى إلا على ذى بصيرة ثاقبة، وفطنة نيرة، وهو يهتم أحياناً بذكر القراءات، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها فيذكر الشاذ في بعض الأحيان، كما أنه يتعرض للقضايا النحوية ولكن بدون توسع واستفاضة، كما أنه يتعرض عند آيات الأحكام لبعض المسائل الفقهية بدون توسع منه في ذلك، وإن كان يظهر لنا أنه يميل غالباً لتأييد مذهبة وترويجه.

ومن ملامح المنهج العلمي الذي اختاره البيضاوي، ما يلي:

**1- الاختصار**: الملاحظ أن البيضاوي كان حريصا على اختصار عبارته دون إخلال أو تفويت للمعنى الذي يريد إيصاله، ومن خلال مقارنة كلامه مع كلام الزمخشري عند بيانه لهذه الفكرة يظهر لنا الاختصار جليا في عبارة البيضاوي؛ فقد قال الزمخشري عند تفسيره الآية: فإن قلت: لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾[1]، وغيره من الآي الكثيرة؟ قلت: ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت: لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت، فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب، وهما على حدّ لا مجال فيه للعاطف. فإن قلت: هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين، فأمّا إذا ابتدأته

---

[1]- سورة الانفطار الآيتين12، 13.

وبنيت الكلام لصفة المؤمنين، ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم، كمثل تلك الآي المتلوّة. قلت: قد مرّ لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف، وأنه مبنيّ على تقدير سؤال، فذلك إدراج له في حكم المتقين"[1].

والملاحظ هنا أنّ البيضاوي اختصر هذا الكلام في جملة، فقال: "لتباينهما في الغرض، فإنّ الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم، وانهماكهم في الضلال"[2]. والاختصار عنده لم يكن تعسفيا مخلا بالمعنى الذي يريده، وإنما كان اختصارا دقيقا مبنيا على انتقاء العبارات بحرص شديد ووضعها في مكانها الأخص الأشكل؛ بحيث تؤدي المعنى بإيجاز.

**2- استعمال المصطلح العلمي**: يلاحظ أن البيضاوي استعمل مصطلح (التباين) في الغرض؛ وكثير من المفسرين يستعملون لفظ (الغرض) ويقصدون به (المقصد). كما نجده يعرف بعض المصطلحات البلاغية كالخبر، والأمر، والكناية، والتعريض، والتشبيه المركب.

**3- اهتمامه بعلمي المعاني والبيان**: الملاحظ في تفسير البيضاوي، أنه اهتم بعلمي المعاني والبيان أكثر من علم البديع، والسبب في ذلك هو أن علم البديع أكثره قائم على المحسنات اللفظية، والبيضاوي يريد أن يوظف البلاغة لإبراز المعنى وإيضاحه، وهذا لا يتحقق إلا في علمي المعاني والبيان.

**4- ذكر الوظائف البلاغية**: يلاحظ أنّ البيضاوي حينما يفسّر آية، يذكر وظيفتها البلاغية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[3]، يقول البيضاوي: "أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هَزّاً للسامع وتنشيطاً له واهتماماً بأمر العبادة، وتفخيماً لشأنها، وجبراً لكلفة العبادة بلذة المخاطبة. و(يا) حرف وضع لنداء البعيد، وقد ينادي به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد. إما لعظمته كقول الداعي: يا رب، ويا

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص46.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص41.

[3]- سورة البقرة الآية21.

الله، هو أقرب إليه من حبل الوريد. أو لغفلته وسوء فهمه. أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه"[1]. فالبيضاوي يذكر عدة وظائف في هذه الآية كالتفخيم، والاهتمام، والاعتناء والحث.

**5- احتمال الآية عدة وجوه بلاغية:** يلاحظ أن البيضاوي حينما يفسر آية من القرآن الكريم يربطها بلاغيا مع آية أخرى، ومرّات يذكر لها عدة وجوه بلاغية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "وإنما سمي الزحف مشياً على الاستعارة أو المشاكلة"[3].

وأيضا قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[4]، فالبيضاوي يربط هذه الآية الكريمة بآيات أخرى بلاغيا، حيث يقول: "ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع، فيعدل من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس، كقوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ**﴾[5]، وقوله: ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ**﴾[6]، و(إيا) ضمير منصوب منفصل، وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة"[7].

وبهذا المنهج العلمي الذي اتبعه البيضاوي، جعل العلماء يثنون عليه، كأمثال الشهاب الخفاجي الذي وصفه بأجمل عبارة إذ قال: "له فيه وفور حظ وسلاسة لفظ، بل لفظه قريب لكنه أمنع من معشوق له رقيب، وشاؤه بعيد، ولكن ليس لنفس الفكر، وراءه تصعيد فيه أنضر روض طابت ثماره، وتفتحت بيد النسيم أنواره، سقاه من صيب البلاغة هتونه، حتى تشعبت فروعه وتهدلت غصونه، نجوه بصوب الوحي مغدق، ودوحه في ربيع المعاني مثمر مورق وكنت ممن اجتنى باكورة أبكاره، وتمشت في حدائقه أحداق أفكاره، وقد كثرت حواشيه، ونمّ على ضمائر

---

1- تفسير البيضاوي، ج1 ص54.

2- سورة النور الآية45.

3- تفسير البيضاوي، ج4 ص111.

4- سورة الفاتحة الآية5.

5- سورة يونس الآية22.

6- سورة فاطر الآية9.

7- تفسير البيضاوي، ج1 ص29.

أسراره وأشيه، وتبرّج القليب بعذب ماؤه، وبإنفاق المال يزكو نماؤه، ويزيد في عطر المسك الذكي سحقه، راقت محاسنه فالعيون والأذان تهواها، فلو مني الحسن أمانيّ ما تعدّاها"[1].

وخلاصة القول؛ كان المنهج المتبع والأسلوب المحتذى في تصنيف البيضاوي هو الذي غلب على كثير من التآليف العلمية في عامة الفنون بداية من القرن السابع من حيث الاختصار، ودقة التعبير والتزام المصطلح العلمي.

[1]- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسمّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، دار صادر بيروت، ج1 ص2.

# الفصل الأول

# الفصل الأول: أدوات علم المعاني ووظائفها في تفسير البيضاوي

## توطئة:

كان للدراسات البلاغية أثر عظيم في توضيح مسألة إعجاز القرآن عامة، ومسألة التأليف وتوخي معاني النحو في النظم خاصة فوائد عظيمة وضع لأجلها، كمعرفة الإعجاز القرآني في إدراك كلام الله، ومعرفة مقاصد الكلام واتجاهاته وإدراك قوة الأساليب.

وقد أكد الجرجاني أن العبرة ليست في معرفة قواعد النحو وحدها، بل فيما تقوم عليه من معان وأغراض ووظائف وأصول، فالمزيّة لا تكمن في اللغة ومعرفتها ولكن المزيّة ما يؤدي بها من مواضعات، فليس النظم إلا معاني النحو، وليس معاني النحو إلا علم المعاني.

وهذا كلّه قدّم للدّراسات البلاغية عامة ولعلم المعاني خاصة فوائد عظيمة، فمسألة الإعجاز القرآني صاحبة الفضل على علم (المعاني) في نضجه، وجعله أبرز أساليب الجمالية؛ وبالتالي فعلم المعاني هو روح علم النحو، وعلته، وبيان أغراضه وأحواله.

إضافة إلى هذا؛ فهو يعلمنا متى نجعل الجملة الخبرية، ومتى نجعلها إنشائية، ويبيّن السبب في هذه أو تلك...ولكي يتوصل الباحث إلى ذلك، لا بد من تعريف له وإيضاح ما انتهى إليه عند البلاغيين العرب أمثال السكاكي، والقزويني، وغيرهم من جهابذة البلاغة.

## تعريف علم المعاني:

**أ– لغةً:** حدد اللغويون المعنى اللغوي لجذر المعاني بين المقصود وبروز الشيء، حيث جاء في مقايس اللغة: "(عنى) العين والنّون والحرف المعتلّ أصول ثلاثة: الأوّل القصد للشّيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثّاني دالّ على خضوع وذلّ، والثّالث ظهور شيء وبروزهُ"[1]. وقال ابن منظور: "عنيت الشيء أعنيه إذا كنت قاصدا له، ومعنى كل كلام مقصده"[2].

يستخلص من المفهوم اللغوي أنّ المعنى هو الشيء المقصود، وذلك أنّ الشيء إذا قصدناه حرصنا على بلوغه في بروز وبيان.

---

[1]– معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر(1399هـ-1979م)، ج4 ص146.

[2]– لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت ط1414/3هـ، ج15 ص104.

**ب- اصطلاحاً:** لقد تعددت تعريفات العلماء لعلم المعاني، لكنها جميعا دارت حول معنى واحد، فقالوا: "هو قواعد يعرف بها أحوال اللفظ العربي التي يطابق بها مقتضى الحال"[1]، أي أنّ لعلم المعاني أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

وعرّف السّكاكي علم المعاني بأنه: "تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[2]، وهذا ينبني على وظيفتين أساسيتين:

- تركيب الكلام وتأليفه وفق قواعد النحو.
- وضع هذا الكلام حسب ما يناسبه من مقام، وهو المعبّر عنه بمقتضى الحال.

والتعريف الأكثر شهرة ودورانا ما جاء به الخطيب القزويني بقوله: "هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[3]. فتأليف الكلام يحتاج من البليغ معرفة وقدرة على التصرّف في اللغة؛ بحيث يستطيع أن يرتّب ألفاظه ترتيبا دقيقا وفق معاني النحو، ليعبّر بها عن المقام المناسب، وهي تلك الظروف المحيطة بعملية الخطاب. ويهتم علم المعاني بدراسة التراكيب التي تخرج عن وظيفتها الأصلية، إلى وظائف أخرى حسب مقتضيات الأحوال.

كما أنّه يختص دون غيره من علوم البلاغة بدراسة المعنى وما يدلّ عليه، فهو يرشدنا إلى معرفة التراكيب اللغوية المناسبة لكل مقام، كما يدلّنا على اختيار الألفاظ الدالة على الفكرة التي تخطر في أذهاننا، ومع أنّ علم المعاني هو الجملة، إلا أنّه لا يقتصر على البحث في كل جملة مفردة على حدة، ولكنه يبحث في علاقة الجملة بأختها، وإلى النظر في النص بكامله، والبحث في السياق الذي قيل فيه.

---

[1]- معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة جدة الرباط ط1988/3م، ص4035.

[2]- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت2000م، ص247.

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني بيروت ط1975/4م، ص84.

## -وظائف علم المعاني:

لعلم المعاني وظائف كثيرة منها[1]:

1- علم المعاني هو إحدى الأدوات المهمة التي يحتاجها مفسر القرآن لمعرفة المراد من الآيات، وفي ذلك يقول الزمخشري: "لا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ"[2].

2- الكشف عن القواعد والأصول التي تساعدنا في توخي المعاني الجليلة، والأساليب المناسبة لغرضها في الكلام، وأن نحسن التعبير عن الحالات المختلفة بالتراكيب والتعبيرات المناسبة، وأن نعرف بواسطة هذا العلم الدقة والوضوح في استخدام اللغة من أجل إقناع الآخرين، والتأثير في نفوسهم.

3- الوقوف على أسرار البلاغة العربية، ومعرفة إعجاز القرآن الكريم، والفصاحة في منثور الكلام ومنظومه، والتفريق بين الكلام ورديئه.

4- معرفة مقاصد الكلام واتجاهاته.

### -مباحثه:

ولتسهيل مباحث هذا العلم يمكن تقسيم مباحثه إلى ثمانية مباحث رئيسية وهي:

- الخبر.
- الإنشاء.
- التقديم والتأخير.
- الحذف والذكر.
- التعريف والتنكير.

---

[1]- يراجع علم المعاني –البيان –البديع، عبد العزيز عتيق، ص33، التأسيس في علوم البلاغة، عبد الحميد قاسم النجار، الجامع الإسلامية غزة، ص12.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص96.

- القصر.
- الفصل والوصل.
- الإيجاز والإطناب والمساواة.

وقد تعرّض البيضاوي في تفسيره لكثير من هذه الموضوعات، وبيّن الوظائف والأغراض البلاغية التي يخرج إليها كل فن من هذه الفنون، مع بيان سرّ البلاغة والجمال في الآيات القرآنية، وسنعرض إلى هذه الموضوعات بقدر ما تهيأ لنا الوقوف عليه في هذا البحث.

# المبحث الأول: الخبر

## توطئة:

الخبر علم غزير، واسع المدارك يتطلب من المخبر علما بموضوع الخبر، وعلما بطرائق الإخبار، لذلك فإنّه يتعدد بتعدد ما حوله من مثيرات تدفع المخبر إلى القول، وتحثه عليه، فيضع أقواله في أوعية يعبر عمّا به من خواطر نفسية، يحاول من أجلها أن يثير انفعال السامع بما يضفيه على أقواله من مؤكدات تناسب حاله، فتتحقق المشاركة بينهما. ولكي نوضح ذلك، لابد أن نعرج إلى مفهوم الخبر لغة واصطلاحا، ثم بيان أضربه وأحوال الخطاب به.

## مفهوم الخبر:

**أ– لغة:** إذا ما بحثنا عن مدلول لفظة (خبر) في مصادر اللغة من المعاجم وغيرها نجدها لا تخرج عن معنى العلم والمعرفة والإدراك، وفي ذلك يقول ابن فارس: "الخاء والباء والرّاء أصلان: فالأوّل العلم، أي: العلم بالشّيء. تقول: لي بفلان خبرة وخبر. واللّه تعالى الخبير، أي العالم بكلّ شيء"[1]. وقال اللّه تعالى: ﴿**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[2]، وقال ابن كثير في معنى الآية: "وَلَا يُخْبِرُكَ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَآلِهَا وَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ مِثْلُ خَبِيرٍ بِهَا"[3]، والمقصود هنا، يَعْنِي نَفْسَهُ تبَارَكَ وتعالى، فإنّه أخبر بالواقع لا محالة.

وقال ابن منظور: "وخبرت بالأمر. أي: علمته. وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته، والخبر، بالتحريك: واحد الأخبار. والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، والخبر: النبأ"[4].

وتكاد تكون المعاني التي ساقها (ابن فارس) هي نفسها التي ذكرها (ابن منظور) من قبل إلا أنّ (ابن منظور) أضاف الخبر بمعنى النّبأ.

---

[1]– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج2 ص239.

[2]– سورة فاطر الآية14.

[3]– تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت ط1419/1هـ، ج6 ص479.

[4]– لسان العرب، ابن منظور، ج4 ص227.

**ب- اصطلاحا:** يختلف الخبر من علم لآخر حسب المواضعة المتفقة عليها في كل فن أو علم، والذي يهمّ في هذا الموضع تحديد أصحاب علم المعاني للخبر، فمنهم من يرى بأنه: "محتمل الصدق والكذب لذاته"[1]، أو "هو قول يحتمل الصدق والكذب، ويصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، والمقصود بالصدق: مطابقته للواقع، والمقصود بالكذب: عدم مطابقته للواقع"[2].

وأضاف بعض البلاغيين كلمة (لذاته) في تعريف الخبر، أي: لذات الخبر نفسه، وهذا يخرج ما كان صادقا قطعا، وما كان كذبا قطعا، فالقرآن الكريم مثلا هو كلام الله وخبره إلى الناس، وهو بالنظر إلى قائله صادق قطعا، وأيضا كلام بعض الكذابين من أمثال (مسيلمة الكذّاب) يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولكنه خبر كاذب قطعا بالنظر إلى قائله.

## -صدق الخبر وكذبه:

للعلماء في صدق الخبر وكذبه مذاهب متعددة وآراء مختلفة، وسنكتفي من ذلك بعرض بعض الآراء:

## 1- رأي جمهور البلاغيين:

يرى أكثر علماء البلاغة أنّ الخبر يكون صادقا إذا طابق الواقع، ويكون كاذبا إذا لم يطابق الواقع، فنقول مثلا: المطر يهطل بغزارة. فإذا كان هذا الخبر مطابق للواقع، وهو نزول المطر حقيقة فهو صادق، وإذا خالف الواقع فهو كاذب[3]. ومن هؤلاء البلاغيين نذكر النظّام والجاحظ وآراءهما في قضية الخبر.

---

[1]- البلاغة فنونها وأفنانها -علم المعاني، فضل حسن عباس، دار الفرقان النشر والتوزيع ط4/(1417هـ-1997م)، ص101، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي بيروت ط12، ص55.

[2]- تلخيص المفتاح، القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي ط1932/2م، ص47.

[3]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت ط3، ج1 ص59، علوم البلاغة -البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان2003م، ص269.

## أ- رأي النظّام[1]:

وهو أحد شيوخ المعتزلة قديما، قد خالف الجمهور وقال: الخبر الصادق هو ما وافق الاعتقاد، والكذب ما خالف الاعتقاد، ودليله على ذلك قوله تعالى: ﴿**إِذَاجَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُه وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[2]، أي: "إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ذلك، وليسوا كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله؛ فقال: **(وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ)، ثمّ قال تعالى**: **(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)، أي**: **فيما أخبروا به وإن كان مطابقا للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقَه**"[3].

أمّا وجه الاستدلال بالآية عند النظّام فهو في كون شهادة المنافقين بأن محمدا رسول الله مطابقة للواقع، ومع ذلك حكم عليها القرآن بالكذب، والشاهد قوله تعالى: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)**، لأن هذا القول مخالف للاعتقاد لأنهم كافرون.

## ب- رأي الجاحظ:

وأما الجاحظ فقد قسم الخبر إلى ثلاثة أقسام وهي[4]:

1- خبر صادق: وهو ما طابق الواقع والاعتقاد.

2- خبر كاذب: ما خالف الواقع والاعتقاد.

3- خبر لا يوصف بالصدق ولا بالكذب: وهو ما طابق الواقع وخالف الاعتقاد، أو ما خالف الواقع وطابق الاعتقاد، مثل ذلك: (جاء علي من السفر)، فإذا وافق الواقع وخالف الاعتقاد، فهذا لا يوصف بالصدق ولا بالكذب، وكذلك الأمر إذا خالف الواقع وطابق الاعتقاد.

---

[1]- هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النّظّام، من كبار المعتزلة، توفي231هـ، وله كتب في الفلسفة والاعتزال. يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج1 ص59.

[2]- سورة المنافقون الآية1.

[3] - تفسير ابن كثير، ج8 ص150.

[4]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج1 ص59.

## 2- رأي المفسرين:

أورد علماء التفسير آراء متنوعة ومختلفة لمصطلح (الخبر) من الناحية الاصطلاحية، ومن هذه الآراء ما يلي:

**أ- الرازي:** يعرّف الخبر بقوله: "الخبر عن الشّيء إذا كان على خلاف المخبر عنه كان كذبا، سواء علم قائله كونه كذلك أو لم يعلم"[1].

**ب- البيضاوي:** فقد قال في تفسيره للآية: ﴿ **وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾[2]: "والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به"[3]، أي: على غير ما هو عليه في الواقع.

**ج- ابن القيم:** فقال: "لسان الصدق: وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال، وجميل الطرائق، وفي كونه لسان صدق، إشارة إلى مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا بباطل"[4].

**د- اسماعيل حقي:** وقال في تفسيره للآية الكريمة: ﴿**وَمَا أَنْت بِمُؤْمِن لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[5]: "والصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو به والكذب لا على ما هو به"[6].

**هـ- الطاهر بن عاشور:** وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَاجَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفوَاهِكُمْ وَاللَّه يقُول الْحَقّ وَهُو يهْدِي السَّبيل**﴾[7]، "فعلم من تقييده بأفواهكم أنّه قول كاذب لايطابق الواقع وزاده تصريحا بقوْله (وَاللَّه يقُولُ الْحَقَّ)، فأومأ إلى أنّ قولهم ذلك قول كاذب"[8]، ويستشف من كلامه أنّ الصدق عكسه، وهو ما يطابق الواقع.

ومن خلال ما سبق، يتضح من هذه الأقوال أن مذهب الجمهور هو الأولى بالصحة والقبول لقوة دليله، ذلك أنّ الخبر إذا طابق اعتقاد المخبر كان صدقا.

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج10 ص100.

[2] - سورة البقرة الآية10.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص45.

[4]- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني القاهرة، ص101.

[5]- سورة يوسف الآية17.

[6]- روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي، دار الفكر بيروت لبنان، ج4 ص226.

[7]- سورة الأحزاب الآية4.

[8]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس1984م، ج21 ص260.

## -أغراض الخبر:

للخبر غرضان رئيسيان حقيقيان وهما[1]:

**1- فائدة الخبر**: وهو غرض مباشر، وذلك إذا كان المخاطب به يجهل مضمونه قبل أن نقوله له. كأن يقول مثلا: العربية لغة الإيجاز؛ فالهدف من هذا الخبر هو تقديم الفائدة للمخاطب إذا كان جاهلا بها.

**2- لازم فائدة الخبر**: وهو غرض غير مباشر، وذلك إذا كان المخاطب بالخبر يعلم مضمونه، ولكنه يجهل أن المتكلم يعلمه، فقد استفاد المخاطب حينئذ لا الخبر بل ما اقتضاه ولزمه وترتب عليه وهو علم المتكلم به. كأن يقول مثلا: أنت قدمت من سفرك أمس؛ فالغرض هو إعلام المخاطب بأنه على علم بهذا الخبر.

هذان هما الغرضان الحقيقيان للخبر، ولا تقتصر وظيفة الخبر على هذين الغرضين الحقيقيين، بل تتجاوزهما إلى أغراض أخرى تسمى الوظائف البلاغية التي تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ويعدّدون منها: إظهار الضعف، والاسترحام، والاستعطاف، وإظهار التحسر، والمدح، والفخر، وما إلى ذلك[2].

## - أضرب الخبر:

من حرص العرب على أن يكون الكلام بمقدار الحاجة، وليس زائدا عليها ولا مخلا بالإفصاح والبيان؛ أن دعت إلى ضرورة موائمة البنية –التركيب اللغوي– للدلالة وحالة المتلقي، إذ يجب على المتكلم استخدام الأسلوب المناسب لكل مقام، فقد يلجأ –في بعض الحالات– إلى استعمال أدوات التوكيد لتمكين المعاني في النفوس، وإزالة ما بها من شك أو انكار، ويرى علماء البلاغة أن هذه المواقف لا تخرج عن ثلاثة أضرب[3]:

---

[1]- يراجع البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي القاهرة (1412هـ-1992م)، ص139، البلاغة العربية في ثوبها الجديد –علم المعاني، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ج1 ص56.

[2]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ج1 ص60.

[3]- يراجع مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت ط2(1407هـ-1987م)، ص159، 160، علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، ص276.

**1- الخبر الابتدائي**: ويكون المخاطب في هذا الضرب خالي الذهن من الحكم الذي يلقيه إليه المتكلم، ولا علم له به، وليس له موقف مسبق منه، نحو قوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثوَابًا وَخَيرٌ أَمَلًا**﴾[1]، فالآية الكريمة خاليّة من المؤكدات.

**2- الخبر الطلبي**: هو كل كلام يتوجه فيه المتكلم إلى المخاطَب ويتصور أنه شاك أو متردد بين قبوله ورفضه، فيحسن للبليغ تأكيد هذا الخبر بمؤكد واحد، من أجل إزالة تلك الشكوك، نحو قوله تعالى: ﴿**فلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تعْلَمُونَ**﴾[2]، والشاهد قوله: (**إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ**): **خبر طلبي، لأنّ فيها مؤكدا واحدا وهو (إنّ).**

**3- الخبر الإنكاري**: وهو الكلام الذي يصاغ مدعَّما بأكثر من مؤكد؛ لأن المناسبة الداعية لإلقائه تقتضي أن يكون كذلك، وهو أكثر احتياج للتأكيد والتصديق، فعندما يكون المخاطب منكر للخبر الذي سيلقى إليه، أو معتقدا عكسه، ينبغي أن يكون إلقاء الخبر إليه مصحوبا بمؤكدين أو أكثر حسب حالة في الانكاري قوة وضعفا[3].

وفيه تتضاعف عناصر التوكيد بمقدار تصاعد حالة الإنكار، لأن "وظيفة الخبر حينئذ هي تثبيت هذا المعنى في تلك النفس الرافضة له، فلا بد أن تكون قوة العبارة، ووثاقتها ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع"[4]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثنيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا**

[1]- سورة الكهف الآية46.

[2]- سورة يوسف الآية96.

[3]- يراجع تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص، سعد الدين التفتازيني، دار البيان بيروت ط1992/4م، ج1 ص205، فن البلاغة، عبد القادر حسين، عالم الكتب ط2/(1405هـ-1984م)، ص74.

[4]- خصائص التراكيب -دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرة ط1/(1416هـ-1996م)، ص81.

**تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبنَا يعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾**[1]، فالآية الكريمة فيها عدّة مؤكدات، وهذا خبر إنكاري.

ومعنى ذلك أن مخاطبة الرسل لأهل القرية في أول الأمر كانت بإلقاء الخبر من دون تأكيد، فحصل الشك والتكذيب بعد ذلك، فاقتضى المقام الجديد استخدام وسائل التوكيد بقولهم: (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ)، ثم كانت النتيجة الإنكار الشديد، فكان لزاما على الرسل استخدام وسائل توكيدية أخرى لإقناع هؤلاء الناس، فقالوا: (رَبنَا يعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ)، فاستخدموا: القسم، وإن، واللام، والجملة الاسمية.

وللتوكيد في اللغة العربية أدوات كثيرة لا بد لدارس البلاغة من معرفتها، ولا سيما إذا علم أن التوكيد أسلوب لا يمكن الاستغناء عنه في أي كلام بليغ، ومن أبرز هذه الأدوات: "إنّ، ولام الابتداء، وأما الشرطية، والسين، وقد (التحقيقية)، وضمير الفصل، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة، وأحرف التنبيه"[2].

## – وظائف الخبر في تفسير البيضاوي:

لقد تناول البيضاوي الخبر في تفسيره وبين وظائفه البلاغية، وهي كالآتي:

**أ– وظائف الخبر الأصلية:** للخبر وظيفتان أساسيتان وهما:

### 1– فائدة الخبر:

نحو قوله تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبدِهِ لِيكُونَ للعَالَمِينَ نَذِيراً الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرضِ وَلمَ يَتَّخِذ وَلَداً وَلَم يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ وخَلقَ كُلَّ شَيء فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾**[3]، والشاهد قوله: (لِيكُونَ للعَالَمِينَ نَذِيراً)، ويقول البيضاوي: "هذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة"[4]، ويشير البيضاوي في هذه

---

[1]– سورة يس الآيات13، 14، 15، 16.

[2]– أساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع عمان ط2010/3م، ص42، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ج1 ص61.

[3]– سورة الفرقان الآيتين1، 2.

[4]– تفسير البيضاوي، ج4 ص117.

الآية الكريمة أن الخبر لم يكن معلوما ولكن أجري مجرى المعلوم لقوة دليله وفيه إثبات الملك مطلقاً لله ونفي ما يقوم مقامه، وأخبر عن إحداث الأشياء إحداثاً مقدراً بحسب الإرادة الإلهية.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَم يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ**﴾، قال البيضاوي أي: "أثبت له الملك مطلقاً ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أي: أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة. (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) فقدره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال، كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك، أو فَقَدَّرَهُ للبقاء إلى أجل مسمى. وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتا"[1]، فالخبر في الآية الكريمة لم يكن معلوما، ولكن أجري مجرى المعلوم لقوة دليله.

والوظيفة الأساسية من هذا الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، وهو إثبات الملك لله مطلقاً.

**2- لازم الفائدة:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيتعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا ينفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يعْلَمُونَ**﴾[2]، والشاهد قوله: (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ)، يقول البيضاوي: "والمثبت لهم أولاً على التوكيد القسمي العقل الغريزي أو العلم الإجمالي يقبح الفعل، أو ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل: معناه (لو كانوا يعملون) بعلمهم، فإن من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في هذه الآية الكريمة أنه لا يخبر المخاطب بجديد، وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم.

**ب- وظائف الخبر التي تفهم من السياق:**

إن من أهم الوظائف التي يقصدها المتكلم إخبار المخاطَب بفائدة يجهلها، وقد لا يكون الغرض من إلقاء الخبر فائدة المخاطَب أن يكون عالما به، فالغرض هنا هو إشعار المخاطَب بأنّ

---

[1]- يراجع تفسير البيضاوي، ج4 ص118.

[2]- سورة البقرة الآية102.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص97.

المتكلم يعلم هذا الخبر، ولكن للخبر وظائف أخرى يمكن أن يؤديها، ومعرفة ذلك تكون عن طريق الذوق والتأمل في سياق الكلام.

وقد تناول البيضاوي هذه الوظائف وبيّن سماتها البلاغية، ومن جملة هذه الوظائف ما يأتي:

**1- إظهار الحزن والتحسر:**

في هذه الوظيفة تأتي الأخبار في سياق التحسر والتأسف على ما فات، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**﴾[1]، يقول البيضاوي: "وإنما قالته تحسراً وتحزناً إلى ربها لأنها كانت ترجو أن تلد ذكراً ولذلك نذرت تحريره. (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ)، أي: بالشيء الذي وضعت. هو استئناف من الله تعالى تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بشأنها"[2]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة خبر، خرج عن وظيفته الأصلية لغرض بلاغي يفيد التحسر والتأسف.

وقد تساءل الزمخشري في هذه الآية، إذ قال: "فإن قلت: فلم قالت: إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول؟ قلت: قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها، فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكرا، ولذلك نذرته محرّرا للسدانة. ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزّن"[3]، وقد تحدّث الألوسي عن هذه الوظيفة في تفسيره، حيث قال: "وليس الغرض من هذا الكلام الإخبار، لأنه إما للفائدة أو للازمها، وعلم الله تعالى محيط بهما، بل لمجرد التحسر والتحزن، فإن تحزنها ذلك إنما هو لترجيحها الذكر على الأنثى"[4]، وإلى هذا القول ذهب جلّ علماء التفسير ومن أشهرهم: النسفي، وأبو السعود، والقاسمي، والطاهر بن عاشور[5].

---

[1]- سورة آل عمران الآية36.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص14.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص354.

[4]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت ط1415/1هـ، ج3 ص134.

[5]- يراجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب بيروت ط1/(1419هـ-1998م)، ج1 ص250، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج2 ص28، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت ط1418/1هـ، ج2 ص310، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج3 ص232.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية؛ وعلى ما أشار إليه الإمام البيضاوي، فإن في الآية الكريمة خبر مستعمل في التّحسّر لفوات ما قصدته في أن يكون المولود ذكرا، فتحرّره لخدمة بيت المقدس، والغرض من هذا الخبر هنا ليس إخبار الله تعالى؛ فهو عالم بكل شيء، ولكن من أجل إظهار ضعفها.

## 2- النهي:

والمقصود من هذه الوظيفة أنه قد يرد الخبر مرادا به النهي، كقوله تعالى: ﴿**وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[1]، والشاهد قوله: (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ)، يقول البيضاوي: "إخبار في معنى النهي، وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء"[2]، ويشير البيضاوي أن الخبر في هذه الآية خرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة أخرى وهي النهي، وبين السبب في ذلك وهو سرعة نهاية المخبر عنه (المنهي) وهم بنو اسرائيل.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما. وعن التحريف والزيادة والنقصان، أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم..."[3]، وقد ذكر الرازي هذا الرأي عند تفسيره لهذه الآية، فقال: "واعلم أنّه يحتمل أن يكون هذا نهيا للكاتب والشّهيد عن إضرار من له الحقّ، أمّا الكاتب فبأن يزيد أو ينقص أو يترك الاحتياط، وأمّا الشّهيد فبأن لا يشهد أو يشهد بحيث لا يحصل معه نفع"[4]، وتبعهما في هذا الغرض كلّ من النسفي، وأبي حيان، والشوكاني[5].

---

[1]- سورة البقرة الآية282.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص91.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص324.

[4]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج7 ص99.

[5]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص229، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت 1420هـ، ج2 ص720، فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير دار الكلم الطيب بيروت ط1414/1هـ، ج1 ص347.

أمّا صاحب السّراج المنير فقد وضّح ذلك وقال: "وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أنّ المنهي سارع إلى الانتهاء فهو مخبر عنه"[1]، واستحسن هذا الكلام أيضا أبو السعود[2].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة؛ ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي فهمناه؛ أن في الآية الكريمة خبر، خرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة أخرى وهي النهي، لأن الخبر لم يأت للإخبار وإنما جاء للنهي عن الفعل.

### 3- الأمر:

والمقصود بهذه الوظيفة أنّ مجيء الخبر يراد به الأمر أو النهي، أبلغ من صريح الأمر أو النّهي، كأنّه سورع فيه إلى الامتثال، وأخبر عنه[3]، كقوله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[4]، يقول البيضاوي: "فأمروا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام في السؤال والتثقيل على الناس"[5]، وقال الرازي: "فأمرهم اللّه تعالى أن يتزوّدوا فقال: وتزوّدوا ما تبلغون به فإنّ خير الزّاد ما تكفّون به وجوهكم عن السّؤال وأنفسكم عن الظّلم"[6].

كما نجد أبا حيان يذكر هذا الوجه من التأويل في تفسيره، إذ يقول: "والّذي يدلّ عليه سياق ما قبل هذا الأمر وما بعده، أن يكون الأمر بالتّزوّد هنا بالنّسبة إلى تحصيل الأعمال الصّالحة الّتي تكون له كالزّاد إلى سفره للآخرة"[7]، وقد صرّح بهذا الشوكاني، فقال: "إخبار بأنّ خير الزّاد اتّقاء المنهيّات، فكأنّه قال: اتّقوا اللّه في إتيان ما أمركم به من الخروج بالزّاد"[8].

---

[1]- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق الأميرية القاهرة 1285هـ، ج1 ص74.

[2]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص271.

[3]- يراجع معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت ط1/(1408هـ-1988م)، ج1 ص195.

[4]- سورة البقرة الآية197.

[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص131.

[6]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج5 ص320.

[7]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص290.

[8]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص231.

نستنتج من هذه الأقوال السابقة، أنّ في هذه الآية الكريمة خبر خرج عن وظيفته الأصلية التي هي فائدة الخبر إلى وظيفة الأمر، وهذه هي غاية النص التي أفادنا بها هذا الأسلوب البلاغي من الخبر.

### 4- الوعيد:

والمقصود من هذه الوظيفة أنه قد يأتي الخبر، ويكون الغرض منه الوعيد، كقوله تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِين تفرَّقُوا وَاخْتلَفُوا مِنْ بعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبينَات وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَاب عَظِيمٌ﴾**[1]، يقول البيضاوي: "وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في قوله: (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَاب عَظِيمٌ) خبر، لكنه خرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة أخرى غرضها التهديد والوعيد.

وقد أشار إلى هذ الغرض القاسمي في تفسيره، إذ قال: "من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين، والتشديد في تهديد المشبهين بهم، مالا يخفى"[3]، فالغاية من إلقاء الخبر هنا ليس من أجل الإخبار، وإنما جاء الخبر ليتوعدهم ويهددهم بسبب تفرقهم وعصيانهم، لما فيه من تمثيل حال التفرق في أبشع صوره المعروفة لديهم من مطالعة أحوال اليهود، وفيه إشارة إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفضي إلى التفرق والاختلاف، إذ يترتب على هذا الترك أن تكثر المنازعات والأهواء والمظالم، وتنشق الأمة بسبب ذلك انشقاقا شديدا.

### 5- الوعد:

ويقصد بهذه الوظيفة أن الوعد يستعمل في الخير والشر[4]، وقد يخرج الخبر عن وظيفته الأصلية لغرض بلاغي؛ وهو الوعد، كقوله تعالى: **﴿فلْيقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِين يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يقَاتِل فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيقْتَلْ أَوْ يغْلِبْ فَسَوْفَ نؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[5]، قال البيضاوي أي: "وعد له الأجر العظيم غَلَبَ أو غُلِبَ، ترغيباً في القتال وتكذيباً لقولهم: (قَدْ

---

[1]- سورة آل عمران الآية105.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص32.

[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج2 ص375.

[4]- لسان العرب، ابن منظور، ج3 ص461.

[5]- سورة النساء الآية74.

أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً) وإنما قال في قْتَلْ أَوْ يغْلِب تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين، بالظفر والغلبة وأن لايكون قصده بالذات إلى القتل، بلإلى إعلاء الحق وإعزاز الدين"[1]، وقد ذكر هذا الوجه الزمخشري في تفسيره، إذ قال: "ووعد المقاتل في سبيل اللَّه ظافراً أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين اللَّه"[2]. وتبعهما في هذه الوظيفة كلّ من النسفي، وأبي حيان، والقاسمي[3].

ومن هنا يتّفق جلّ المفسرين مع الإمام البيضاوي في تفسير هذه الآية؛ أنّ الخبر قد يخرج عن وظيفته الأصلية وهي الإخبار، إلى وظيفة بلاغية أخرى الغاية منها الجزاء والوعد بالجنة لمن جاهد في سبيل الله.

**6- التهديد:**

في هذه الوظيفة يأتي الخبر بغرض تضخيم الأمر والتخويف منه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِلَّم يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّه وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فهَلْ أنتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[4]، قال البيضاوي أي: "وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم"[5]، ويشير البيضاوي أن في هذه الآية الكريمة خبر، والغرض منه ليس الإخبار، وإنما التهديد.

وقد وضّح هذه الوظيفة التي خرج عنها الخبر الرازي، بقوله: "وَ(أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ): جار مجرى التهديد، كأنّه قيل: لما ثبت بهذا الدّليل كون محمّد عليه السّلام صادقا في دعوى الرّسالة وعلمتم أنّه لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، فكونوا خائفين من قهره وعذابه واتركوا الإصرار على الكفر واقبلوا الإسلام"[6]، ويرى النسفي أن الخبر ورد عن حقيقته ولم يخرج عن وظيفته البلاغية، إذ قال: "وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليها وَأَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ، أي: واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله،

[1]- تفسير البيضاوي، ج2 ص84.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص533.

[3]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص373، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص711، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج3 ص223.

[4]- سورة هود الآية14.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص130.

[6]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج17 ص325.

وأن توحيده واجب، والإشراك به ظلم عظيم"[1]، وتبعه في رأيه كلّ من أبي حيان، والقاسمي في تفسيره محاسن التأويل[2].

وبهذا نستنتج ونقول بأنّ البيضاوي قد أخرج الخبر عن وظيفته الحقيقية لغرض بلاغي، وهو التهديد. لأنّ الآية الكريمة تُظهر لنا هذا من خلال السياق.

## 7- التسلية:

في هذه الوظيفة يأتي الخبر بغرض إزالة الهمّ وكشفه عن الإنسان، ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بيْنِي وَبَينَكُمْ إِنَّهُ كَان بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾[3]، يقول البيضاوي: "فيجازيهم عليها، وفيه تسلية للرسول صلّى الله عليه وسلّم وتهديد للكفار"[4]، والملاحظ أن كلام البيضاوي في تفسيره لهذه الآية جاء موافقا لكلام الزمخشري[5]، وتبعهما في هذا الغرض كل من النسفي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور، والخازن في تفسيره (لباب التأويل)[6]، بأنّ في الآية الكريمة خبر، والفائدة منه التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية؛ وعلى ما أشار إليه الإمام البيضاوي، فإن الخبر الذي خرج عن وظيفته الحقيقية إلى وظيفة بلاغية في هذه الآية الكريمة الغاية منه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عمّا أصابه من المشركين من أذى، وتهديد لهم بسوء المصير، حيث آذوا نبيهم الذي جاء لهدايتهم وسعادتهم.

## 8- الدعاء:

والمقصود بهذه الوظيفة أنّه قد يرد الخبر ويراد به الدعاء، وهو راجع إلى معنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ، يؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ، قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ**

---

[1]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص54.

[2]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص130، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج6 ص80.

[3]- سورة الإسراء الآية97.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص267.

[5]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص694.

[6]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص278، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج6 ص515، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15 ص213، لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت ط1415/1هـ، ج3 ص147.

**ساهُونَ﴾**[1]، والشاهد قوله: (قُتِلَ الخَرّاصُونَ)، يقول البيضاوي: "وأصله الدعاء بالقتل، أجري مجرى اللعن"[2]، وقال الزمخشري: "دعاء عليهم، كقوله تعالى: **﴿قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ﴾**[3]، وأصله الدعاء بالقتل والهلاك، ثم جرى مجرى: لعن وقبح"[4]. وكذلك ذكر نحوه الرازي، إذ قال: "ومعناه لعن الخرّاصون دعاء عليهم بمكروه. ثم وصفهم"[5]. وهذه الوظيفة صرّح بها جماعة من أهل التفسير في كتبهم، منهم النسفي، وأبو السعود، وغيرهم من المفسرين[6]، ويتبين من هذا أن جلّ المفسرين اتفقوا على أن الخبر محمول على الدعاء، ولعلّ النكتة في إخراج الدعاء في صورة الخبر هي تحقق وقوع اللعنة عليهم.

## 9- الحث وتحريك الهمّة:

قد يرد الخبر والوظيفة منه الحث والحض على فعل ما، وتحريك الهمم إلى تحصيله، كقوله تعالى: **﴿قَدْ أَفلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾**[7]، قال البيضاوي أي: "أنماها بالعلم والعمل جواب القسم، وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة النظرية، ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذيهو منتهى كمالات القوة العملية"[8]، وإذا ما حللنا كلام البيضاوي وجدناه يبيّن أن هذا الخبر يراد به الحث على اكتساب التزكية قصد تحصيل الفلاح الموعود به.

---

[1]- سورة الذاريات الآية10.
[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص147.
[3]- سورة عبس الآية17.
[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص397.
[5]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج28 ص163.
[6]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص372، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص137.
[7]- سورة الشمس الآيتين8، 9.
[8]- تفسير البيضاوي، ج5 ص315.

**10- التنبيه:**

والمقصود بهذه الوظيفة أن الخبر قد يرد والغرض منه التنبيه، كقوله تعالى: ﴿**وَلَايَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَاخَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[1]، والشاهد قوله: (إِنْ كُنَّ يؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، يقول البيضاوي: "ليس المراد منه تقييد نفي الحل بإيمانهن، بلا لتنبيه على أنه ينافي الإيمان، وأن المؤمن لايجترئ عليه ولا ينبغي له أن يفعل"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أنّ الخبر قد خرج عن وظيفته الأصلية لغرض بلاغي، هو التنبيه، حتى لا يجترئن على ذلك، لأن قضية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعاً.

وقد وضّح هذا الغرض القاسمي بقوله: "إن جرين على مقتضى الإيمان به، المخوف من ذاته واليوم الآخر، المخوف من جزائه. ودلّ هذا على أن المرجع في هذا إليهنّ؛ لأنه أمر لا يعلم إلّا من جهتهن. ويتعذر إقامة البينة على ذلك. فرد الأمر إليهن، وتوعدن فيه لئلايخبرن بغير الحقّ. وهذه الآية دالة على أنّ كل من جعل أمينا في شيء فخان فيه، فأمره عند الله شديد"[3].
أما العلامة الطاهر بن عاشور فيرى أن الخبر خرج عن وظيفته الأصلية إلى غرض بلاغي آخر، حيث يقول: "شرط أريد به التهديد دون التقييد، فهو مستعمل في معنى غير معنى التّقييد، كما يستعمل الخبر في التّحسّر والتّهديد، لأنّه لا معنى لتقييد نفي الحمل بكونهنّ مؤمنات، وإن كان كذلك في نفس الأمر، لأنّ الكوافر لا يمتثلن لحكم الحلال والحرام الإسلاميّ، وإنّما المعنى أنهنّ إن كتمن فهنّ لا يؤمنّ باللّه واليوم الآخر إذ ليس من شأن المؤمنات هذا الكتمان"[4]، ويستشف من كلامه أنّ الخبر خرج في هذه الآية الكريمة عن وظيفته الحقيقية إلى وظيفة أخرى وهو التهديد.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شروح هؤلاء المفسرين، أنّ في الآية خبر خرج عن وظيفته الأصلية، وهي الإخبار إلى وظيفة أخرى تُفهم من خلال السياق، وهي التنبيه.

---

[1]- سورة البقرة الآية228.
[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص141.
[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج2 ص133.
[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج2 ص392.

**11- التوبيخ:**

في هذه الوظيفة يأتي الخبر بغرض اللوم الشديد العنيف، كقوله تعالى: ﴿**هَاأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[1]، قال البيضاوي: "إنهم لايحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لايؤمنون بكتابكم، وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصل بمنكم في حقكم"[2]، ويشير البيضاوي أن في قوله: (وَلَايُحِبُّونَكُمْ وَتؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّه)، خبر يراد به التوبيخ، والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري[3]، واستحسن هذا الغرض كلّ من النسفي، وأبي حيان، والشوكاني، والقاسمي[4]، بأنّ في الآية الكريمة خبرا، والغرض منه التوبيخ.

نستنتج من الأقوال السابقة أنّ في الآية الكريمة خبر خرج عن وظيفته الأصلية لغرض بلاغي، وهو التوبيخ الذي يستفاد من مجيء الخبر بعد النهي.

وخلاصة القول فإن وظائف الخبر كثيرة في تفسير البيضاوي يصعب حصرها، وهذه الوظائف منها ما يراعى فيه حال المتكلم، ومنها ما يراعى فيه حال المخاطب. وإذا كان الغرض من الخبر هو: (إفادة المخاطب)، فإنّ البلاغيين نظروا إلى المخاطب، فوجدوه لا يخلو من ثلاث حالات، وهي التي تسمى أضرب الخبر.

---

[1]- سورة آل عمران الآية119.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص35.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص405.

[4]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص286، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص317، فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص430، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج2 ص394.

**- وظائف مؤكدات الخبر في تفسير البيضاوي:**

لا بد لنا من الوقوف على مؤكدات الخبر التي وردت في القرآن الكريم، والتي تناولها البيضاوي في تفسيره وبيّن وظائفها البلاغية، ومنها:

### 1- اللام:

كقوله تعالى: ﴿**قال لَمْ أَكُن لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصال مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾[1]، والشاهد قوله: (لِأَسْجُدَ)، قال البيضاوي: "(اللام) لتأكيد النفي، أي: لا يصح مني وينافي حالي أن أسجد، لِبَشَرٍ جسماني كثيف وأنا ملك روحاني"[2]، ويفهم من كلامه، أنّ الوجه البلاغي في هذه الأداة غرضه تأكيد النّفي.

### 2- السّين:

قوله تعالى: ﴿**أُولئِكَ سَيرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيز حَكِيمٌ**﴾[3]، والشاهد قوله: (سَيرْحَمُهُمُ)، قال البيضاوي: "(السين) مؤكدة للوقوع"[4]، والمعنى، أن وظيفة هذه الأداة، هي تأكيد الإيقاع.

### 3- سوف:

قوله تعالى: ﴿**أُولئِكَ سَوْفَ يؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكان اللَّهُ غَفُورا رَحِيماً**﴾[5]، والشاهد قوله: (سَوْفَ يؤْتِيهِمْ)، وقال البيضاوي: "الموعودة لهم وتصديره (بسوف) لتأكيد الوعد والدلالة على إنه كائن لامحالة وإن تأخر"[6]، ويظهر أنّ الوظيفة البلاغية لهذه الأداة، هي تأكيد الوعد.

### 4-قد:

قوله تعالى: ﴿**قَدْيعْلَمُ مَا أَنتُم عَلَيْهِ وَيوْم يرْجَعُونَ إِلَيْهِ فينَبِّئُهُم بما عَمِلُوا وَاللَّه بكُل شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[7]، والشاهد قوله: (قَدْيعْلَمُ)، قال البيضاوي: "وإنّما أكدعلمه (بقَدْ) لتأكيد

---

[1]- سورة الحجرات الآية33.
[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص210.
[3]- سورة التوبة الآية71.
[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص88.
[5]- سورة النساء الآية152.
[6]- تفسير البيضاوي، ج2 ص106.
[7]- سورة النور الاية64.

الوعيد"[1]، ويوضّح البيضاوي أنّ الوظيفة البلاغية التي أدتها هذه الأداة في الآية الكريمة، هي تأكيد الوعيد.

**5- الجملة الاسمية:**

قوله تعالى: ﴿**فِيهِ آيات بيِّناتٌ مَقامُ إبْراهِيمَ وَمَنْدَخَلَهُ كانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ**﴾[2]، قال البيضاوي: "وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوه بصيغة الخبر، وإبرازه في الصورة الإسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس، وتعميم الحكم أولاً ثم تخصيصه ثانياً فإنه كإيضاح بعد إيهام وتثنية وتكرير للمراد"[3]، ويستشف من كلام البيضاوي أنّ الوظائف البلاغية التي أدتها هذه الأداة ما يلي:

- تعميم الحكم.
- التخصيص.
- الإيضاح بعد الإبهام.

**6- الباء:**

قوله تعالى: ﴿**لَئِن بَسَطْتَ إِلَي يدَكَ لِتقْتلَنِي مَا أَنَا بباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقتلَكَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ**﴾[4]، والشاهد قوله: (مَا أَنَا بِباسِطٍ)، يقول البيضاوي: "في جواب (لَئِن بَسَطْتَ) للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأساً، والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النفي بـ(الباء)"[5]، ويفهم من كلام البيضاوي أنّ الوظيفة البلاغية لهذه الأداة هي الاحتراز من الفعل الشنيع.

---

1- تفسير البيضاوي، ج4 ص116.

2- سورة آل عمران الآية97.

3- تفسير البيضاوي، ج2 ص30.

4- سورة المائدة الآية28.

5- تفسير البيضاوي، ج2 ص123.

**7- القسم:**

قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بلَى وَرَبِّي لَتَأْتِينَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[1]، والشاهد قوله: (وَرَبِّي لَتَأْتِيَّنكُمْ)، يقول البيضاوي: "تكرير لإيجابه مؤكداً (بالقسم) مقرراً لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده"[2]، ويشير البيضاوي أنّ والوظيفة البلاغية التي أدّها القسم هي التقرير.

وخلاصة القول أن البيضاوي قد اعتمد في تفسيره على أداة الخبر وبيّن الوظائف البلاغية منها، وذلك أثناء تحليلاته للآيات البينات من القرآن الكريم، من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه.

كما يظهر لنا أن الإمام البيضاوي يتفق مع البلاغيين في اصطلاح (الخبر) وفي خروجه عن وظائفه الأساسية وهي (فائدة الخبر، أو لازم الفائدة) إلى وظائف أخرى، يمكن لأداة (الخبر) أن تؤديها، ومعرفة ذلك يكون عن طريق الذوق والتأمل في سياق الكلام.

---

[1]- سورة سبأ الآية3.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص241.

## المبحث الثاني: الإنشاء

### توطئة:

إذا كان الخبر يمثل جانب التحول الفكري باستخدام التعابير اللغوية كما لا حظنا، فإنّ الإنشاء يمثل جانب الثبات، نقول مثلا: إذا قلت: قم يا زيد. لا تريد تحويل فكره أو تزويده بشيء جديد، وإنما تدعوه إلى تحول حركي. وقبل الحديث عن وظيفة الإنشاء، حري بنا تتبُّع مفهوم اللفظة في المعاجم اللغوية.

**–ماهية الإنشاء:**

**أ– الإنشاء لغة:** قال ابن فارس في مادة (نشأ): "النون والشين والهمزة أصل صحيح يدلُّ على ارْتفاع في شيء وسموّ. ونشأ السّحاب: ارتفع. وأنْشأه اللَّه: رفعه. ومنه: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ**﴾[1]، يراد بها واللّه أعلم القيام والانتصاب للصَّلَاة. والنّشءُ وَالنَّشَأُ: أحداث النّاس. وَنَشَأَ فلان في بني فلان. وَالنّاشئُ: الشّابّ الّذي نَشَأَ وارتفع وعلا. وأنشأ فلان حديثا، وأنشَأَ يُنْشِد ويقوُل، كلّ هذا قياسه واحد"[2]، وقال ابن منظور: الإنشاء الابتداء والخلق، يقال: نشأ: أنشأه الله: خلقه. ونشأ ينشأ نشأ ونشوء ونشاء ونشأة ونشاءة: حيي، وأنشأ الله الخلق، أي: ابتدأ خلقهم. وفي التنزيل العزيز: ﴿**وأن عليه النشأة الأخرى**﴾[3]؛ أي: البعثة. ونشأ ينشأ نشأ ونشوء ونشاء: ربا وشب. ونشأت في بني فلان نشأ ونشوء: شببت فيهم. ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً**﴾[4]، يعني خلقناهن خلقا بعد الخلق الأول، ومثل هذا النوع من الكلام موجه لأصحاب اليمين في الجنة..."[5]. أما الراغب الأصفهاني فقال: والإنْشَاءُ: إيجادُ الشيءِ وتربيتُهُ، وأكثرُ ما يقال ذلك في الحيوان، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ**﴾[6]،

---

[1]– سورة المزمل الآية6.

[2]– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5 ص429.

[3]– سورة النجم الآية47.

[4]– سورة الواقعة الآية35.

[5]– لسان العرب، ابن منظور، ج1 ص173، 174.

[6]– سورة الملك الآية23.

وقال تعالى: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**﴾[2]، وقال: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرِ**﴾[3]، وقال: ﴿**وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تعْلَمُونَ**﴾[4]، فهذه كلُّها في الإيجاد المختصِّ بالله[5]، أي في خلق وصفات لا تعلمونها.

نستنتج من هذه التعريفات اللغوية أنّ الإنشاء مفاده الخلق، والابتكار، والابتداء، والإيجاد والاختراع، وهو في حق الله خلق من عدم وعلى غير مثال سابق.

**ب- اصطلاحا**: إذا كان الكلام هو الخبر الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، فإن الإنشاء كلام لا يحتمل صدقا ولا كذبا لذاته، وهو ما لا يجعل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به[6]. وجاء في معجم المصطلحات أن الإنشاء هو: "مالا يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب"[7]. وقد أطلق عليه السكّاكي تسمية الطلب، إذ قال: "والطلب نوعان، نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"[8]، وعرّفه القزويني بقوله: "الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل، وهو المقصود هنا"[9]، ويستشف من تعريف القزويني (وهو المقصود بالنظر هنا)، أنّ غير الطلب غير مقصود بالنظر في علم المعاني، ولأن القزويني قد أهمله، فلم يعرّف به ولم يمثّل له.

وقد أشار إلى هذا الغرض أحمد الهاشمي، إذ قال: "وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء هو: ما لا يحصل مضمونه، ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به، فطلب الفعل في (افعل). وطلب الكف في (لا تفعل)، وطلب المحبوب في (التمني)، وطلب الفهم في (الاستفهام)، وطلب الإقبال في

---

[1]- سورة النجم الآية32.

[2]- سورة المؤمنون الآية31.

[3]- سورة المؤمنون الآية14.

[4]- سورة الواقعة الآية61.

[5]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق ط1412/1هـ، ص807.

[6]- يراجع مدخل إلى البلاغة العربية –علم المعاني، علم البيان، علم البديع، يوسف أبو العندوس، ص53.

[7]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ص37.

[8]- مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، ص414.

[9]- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص13.

(النداء). كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفظ بها"[1]، وهذه الأقسام تسمى بالإنشاء الطلبي.

**-أقسام الإنشاء:**

والإنشاء قسمان: طلبي، وغير طلبي.

**أ- الإنشاء الطلبي:** وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع[2]: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

**ب- الإنشاء غير الطلبي:** فهو ما لا يستدعي مطلوبا، وله صيغ متعددة، منها: المدح والذم، والعقود، والقسم، صيغ التعجب، وأساليب الرجاء[3]. والجدير ذكره هنا، أنّ الإنشاء غير الطلبي لم يحظ باهتمام الدراسات البلاغية؛ لقلة الوظائف المتعلقة به، فضلا على أنها أخبار نقلت عن معانيها الأصلية إلى معنى الإنشاء[4]، والمقصود هنا أنّ البلاغيين لم يهتموا به، بل اهتمّ به النحويون في دراساتهم.

وأمّا بحثنا هذا فسيقف عند نماذج من وظائف الإنشاء الطلبي، والتي تناولها البيضاوي في تفسيره؛ إذ يقصر المقام عن استيفائها واستقصائها كلها، ومن هذه الأدوات التي عني البيضاوي بها، ووقف عندها محلّلا ومعلّلا ما يأتي:

**أولا: الأمر:**

التمس العرب طرائق شتى للتعبير عن الأمر أشهرها (افعَل) أو (لتَفعَل)، والمصدر الدال على الأمر، واسم فعل الأمر، وغير ذلك ممّا أتاح للمتكلم فسحة عن التعبير عن معنى بأساليب مختلفة.

---

[1]- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص84.

[2]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ج1 ص77، من بلاغة القرآن الكريم، محمد علوان، نعمان علوان، الدار العربية للنشر ط1998/2م، ص38.

[3]- يراجع المرجع نفسه، ص77، 78.

[4]- يراجع شروح التلخيص، بهاء الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ج2 ص236.

وقد عني علماء العربية بدرس الأمر في كتبهم في أبواب متفرقة؛ مفصلا في مواضع ومجملا في أخرى، كما أفاض البلاغيون في دراسته من الوجهة البلاغية، التي عنيت بدراسة ما خرج إليه الأمر من الوظائف البلاغية، وما خرج من الأساليب الأخرى إلى معنى الأمر.

## -الأمر لغة واصطلاحا:

**الأمر لغة:** جاء في اللسان: "الأمر: نقيض النهي، أمَره به وأمره؛ الأخيرة عن كراع؛ وأمره إياه، على حذف الحرف، يأمره أمرا وإمارا فأتمر أي قبل أمره"[1]، فالأمر عكس النّهي.

**الأمر اصطلاحا:** أورد علماء البلاغة تعاريف جمة ومتنوعة لمصطلح (الأمر) من الناحية الاصطلاحية. ومن هذه التعاريف ما ذهب إليه أبو حيان حيث عرّفه بقوله: "بأنه طلب إيراد الفعل"[2]، وعرّفه الجرجاني بقوله: "هو قول القائل لمن دونه أفعل"[3]، وقال العلوي بأنه: "صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء، نحو: (نزال)، و(صه)، فإنهما دالان على الاستدعاء من غير صيغة أفعل"[4]، وعرّفه البيضاوي بقوله: "والأمر هو للقول الطالب للفعل، وقيل: مع العلو، وقيل: مع الاستعلاء، وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر، فإنّه ممّا يؤمر به كما قيل: له شأن وهو الطلب والقصد يقال: شأنت شأنه[5]، إذا قصدت قصده.

ومن خلال هذه التعاريف نستشف أنّ (الأمر) يعني طلب الفعل على جهة الاستعلاء.

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج4 ص27.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5 ص511.

[3]- التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت ط1/(1403هـ-1983م)، ج1 ص37.

[4]- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلويّ، المكتبة العنصرية بيروت ط1/1423هـ، ج3 ص271، 272.

[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص65.

**-صيغ الأمر:** وللأمر أربعة صيغ، وهي[1]:

**1- صيغة فعل الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَينَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾[2].

**2- المضارع المقترن بلام الأمر:** نحو، قوله تعالى: ﴿**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ**﴾[3].

**3- اسم فعل الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[4].

**4- المصدر النائب عن فعل الأمر:** نحو قوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[5].

**-وظائف الأمر في تفسير البيضاوي:**

قد يخرج الأمر عن وظائفه الأصلية إلى وظائف أخرى تُعرف من خلال سياق الكلام، والقرائن والأحوال، وما يقتضيه المقام، وللبيضاوي كلام كثير في هذا الموضوع وهو كالآتي:

**1- التهديد:**

والمقصود بهذه الوظيفة الطلب من غير استعلاء ولا إلزام، وإنما فيه قوة، وتهديد ووعيد للمخاطب، أو هو الدّال على سخط الإتيان بالمأمور به[6]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾[7]، والشاهد قوله: (قُلْ تَمَتعُوا) قال البيضاوي: "بشهواتكم أو بعبادة الأوثان فإنها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها، وفي التهديد

---

[1]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ج1 ص102.

[2]- سورة مريم الآية12.

[3]- سورة الطلاق الآية7.

[4]- سورة المائدة الآية105.

[5]- سورة الإسراء الآية22.

[6]- يراجع شرح التلخيص، أكمل الدين محمد بن محمود، تحقيق محمد مصطفى رمضان، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ط1/1983م، ص362، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص105.

[7]- سورة إبراهيم الآية30.

بصيغة الأمر إيذان بأن المهدد عليه كالمطلوب لإفضائه إلىالمهدد به، وأن الأمرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله: (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّار) وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع"[1]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة طلب، ولكن ليس على وجه الاستعلاء، وإنما خرج عن وظيفته الأصلية إلى معنى التهديد.

وقد أشار إلى هذا الغرض أبو حيان بقوله: "والعلّة والأمر بالتَمتّع أمر تهديد ووعيد على حدّ قوله: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)"[2]، وذكر الشوكاني: "بأنه جعل الأمر بمباشرته مكان النهي عن قربانه إيضاحا لما تكون عليه عاقبتهم، وأنّهم لا محالة صائرون إلى النّار، فلا بدّ لهم من تعاطي الأسباب المقتضِية ذلك، فجملة فإنّ مصيركم إلى النّار تعليل للأمر بالتمتّع، وفيه من التهديد ما لا يقادَر قدَره"[3]، ويبيّن الشوكاني بأنّ الأمر في هذه الآية الكريمة، الغرض منه التهديد.

ومن خلال هذه الأقوال نستشف أن (الأمر) في الآية الكريمة خرج عن وظيفته الحقيقة، إلى وظيفة أخرى وهي التهديد، لأن هؤلاء الخاسرين لم يكتفوا بمقابلة نعمة الله بالجحود، وإحلال قومهم دار البوار، بل أضافوا إلى ذلك أنهم جعلوا لله تعالى أمثالا ونظراء، ليصرفوا غيرهم عن الطريق الحق، والصراط المستقيم، الذي هو إخلاص العبادة لله تعالى وحده.

### 2- الدعاء:

والمقصود بهذه الوظيفة أنه يصدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة وشأنا، وهو طلب فيه تضرع وخضوع، وبلاغته تتأتى من إظهار كمال الخضوع لله تعالى وبيان شدة رغبة العبد في الغفران والتوبة[4]، نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به"[6]، وهنا يشير البيضاوي في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص199.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص435.

[3]- فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص130.

[4]- يراجع أساليب المعاني، جعفر الحسيني، ص50.

[5]- سورة آل عمران الآية119.

[6]- تفسير البيضاوي، ج2 ص35.

بأن يقول لهم دوموا على غيظكم واستمروا عليه إلى أن تموتوا، فإن قوة الإسلام وعزة أهله التي جعلتكم تبغضون المؤمنين ستبقى وستستمر، وإن أحقادكم على المسلمين لن تنقص من قوتهم وعلو كلمتهم شيئا.

فالمراد الدعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به، وهذا يستلزم أن يستمر ما يغيظهم ويكبتهم وهو نجاح الإسلام وقوته. والملاحظ أن النسفي، والشوكاني، قد اتفقا مع البيضاوي في هذا الغرض[1]، وقد ذكر هذا الرأي الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية فقال: "أمرا لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد اللّٰه أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به"[2]، ووجه آخر ذكره أبو حيان وهو أنّ (الأمر) في الآية الكريمة ليس دعاء، وهذا بقوله: "وليس بدعاء، لأنّه لو أمره بالدّعاء لماتوا جميعهم على هذه الصّفة، فإنّ دعوته لا تردّ. وقد آمن منهم بعد هذه الآية كثير، وليس بخبر لأنّه لو كان خبر الوقع على حكم ما أخبر به يعني ولم يؤمن أحد بعد، وإنّما هو أمر معناه التوبيخ والتقريع"[3]. وذكر القرطبي أن (الأمر) هنا في الآية الكريمة معناه الخبر، أي: "أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤملون، فإن الموت دون ذلك، فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع"[4]. وتبعه ابن عطية[5]، ولعل ما ذهب إليه البيضاوي أولى، لأنه مناسب لسياق الآية الكريمة، كما أن جرس الألفاظ وقوة معانيها يوحي بوظيفة الأمر على الدعاء، وهذا ما أفاد في خروج الأمر من وظيفة الاستعلاء والإلزام إلى الرغبة في حصول الشيء على وجه الدعاء.

---

[1]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص286، فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص431.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص407.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص321.

[4]- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ج4 ص182.

[5]- يراجع الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، ج5 ص280، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت ط1/1422هـ، ج1 ص498.

## 3- الإباحة:

والمقصود بهذه الوظيفة أن استعمالها يكون في مقام يتوهم السامع فيه حظر شيء عليه، لاشتراكها هي والأمر في مطلق الإذن[1]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**يَاأَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تعْبُدُونَ**﴾[2]، أي: "لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح لَهُمْ مَّا فِي الأرض سوى ما حرم عليهم، أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها"[3]. وقال الشوكاني في قوله: "(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) هَذَا تَأْكِيدٌ لِلْأَمْرِ الأول"[4]، وأومأ إلى هذا القول الإمام الخازن، فقد قال: "وقد يكون للإباحة إذا خلا من هذه العوارض. والطيب هو الحلال"[5]. ومجمل القول أنّ الأمر هنا المراد به الإباحة، لأن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين من قبل.

## 4- الخبر:

وفي هذه الوظيفة قد يأتي الأمر في معنى الخبر، لأنه أبلغ من الخبر لتضمنه معنى اللزوم[6]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا**﴾[7]، قال البيضاوي: "فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به، وإنما أخرجه على لفظ الأمر إيذاناً بأن إمهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجاً وقطعاً لمعاذيره"[8]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يوضّح هنا، أن الأمر معناه الإخبار، أي: أنّ الله يتركهم في الكفر ويمهلهم فيه، وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري، إذ قال: "أمهله وأملى له في العمر، فأخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لا

---

[1]- يراجع بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب القاهرة، ج2 ص269.

[2]- سورة البقرة الآية172.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص119.

[4]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص195.

[5]- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ج1 ص102.

[6]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ط1/(1404هـ-1984م)، ج2 ص290.

[7]- سورة مريم الآية75.

[8]- تفسير البيضاوي، ج4 ص18.

محالة، كالمأمور به الممتثل، لتقطع معاذير الضال"[1]، ويقال له يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نعَمِّرْكُمْ ما يتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّر**﴾[2]، وهذا جواب من الله عز وجل لهم بالتوبيخ.

وللرازي كلام لطيف يحسن إيراده في هذا السياق، وذلك حيث يقول: "واعْلَمْ أنّ الخبر والأمر يتقاربان، فيحسن إقامة كلّ واحد منهما مقام الآخر. أمّا إقامة الأمر مقام الخبر، فكما هاهنا، في قوله: (فلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا)"[3]، وفي ذلك يقول أيضا النسفي: "جواب من لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر، أي: من كفر مد له الرحمن، يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغياناً وضلالاً، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا**﴾[4]، وإنّما أخرج على لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال"[5]، ويبيّن الرازي في هذه الآية الكريمة أنّ الأمر كان إيذانا لهم بوجوب ذلك.

ويرى أبو حيان أنّ الأمر في هذه الآية له وظيفتان، حيث يقول: "وكان الدّعاء على صيغة الطّلب لأنّه الأصل، ويحتمل أن يكون خبرا في المعنى وصورته صورة الأمر، كأنّه يقول: من كان ضالّا من الأمم فعادة اللّه له أنّه يمدد له ولا يعاجله حتّى يُفْضي ذلك إلى عذابه في الآخرة"[6]، ويشير أبو حيان أنّ الأمر في هذه الآية الكريمة خرج عن سياقه الأصلي، وهو الطلب على جهة الاستعلاء إلى أغراض أخرى صنعها السياق التي صيغت فيه.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين، أن الأمر خرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة أخرى وهي الخبر، وهذا لبيان الإمهال منه سبحانه للعصاة، وأن ذلك كائن لا محالة، لتنقطع معاذير أهل الضلال، وهو غاية في التهديد والوعيد.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص37.

[2]- سورة فاطر الآية37.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج16 ص68.

[4]- سورة آل عمران الآية178.

[5]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص349.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7 ص291.

**5- التعجيز:**

والمقصود بهذه الوظيفة طلب المخاطب تنفيذ أمر أشبه بالمستحيل ليظهر عجزه ويبيّن ضعفه تحديا واستضعافا بما لا يقدر عليه المخاطب[1]، ومثالذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز"[3]. حيث يشير البيضاوي إلى أنّ الفعل (فَأْتُوا)، ليس الوظيفة منه التكليف والإلزام، وإنما المراد إظهار عجزهم عن الإتيان.

وقد وضّح هذا القول الزمخشري إذ قال: "هذا الشرط من نحو ما ذكرت أنه شرط المدل بالأمر المتحقق لصحته، لأنّ امتناع الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين أمر معلوم متحقق لا مجال فيه للشكّ"[4]، وقد ذكر الرازي هذا الرأي عند تفسيره لهذه الآية، فقال: "وهذا تنْبيه على عجْزهمْ عن الإتيان بمثله"[5]، ويرى الشوكاني أن الأمر في هذه الآية الكريمة، المراد به التهكم، حيث يقول: "وفي هذا الكلام تهكّم به"[6]، أي أنّ الأمر في الآية الكريمة يحمل غرض التهكّم.

أمّا القاسمي فيرى أنّ الأمر خرج عن وظيفته إلى معنى التبكيت، حيث قال: "الإتيان بما هو أهدى من الكتابين، أمر بيّن الاستحالة. فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والإفحام"[7].

والملاحظ حسب الأقوال الواردة، ومن خلال شرح المفسرين للآية الكريمة، والذي توصلنا إليه أنّ ما يراه البيضاوي أولى، لأنّه يناسب سياق الآية الكريمة. ومن هنا كانت الوظيفة البلاغية هي التعبير بالأمر في مقام التعجيز لإبراز قوة التحدي. ولهذا خرج الأمر هنا عن وظيفته الحقيقية لغرض تعجيزي وهو تعجيزهم ومطالبتهم بأعمال لا يقوون عليها، وليس باستطاعتهم فعلها.

وهناك وظائف أخرى يخرج إليها الأمر وقد أشار إليها البيضاوي في تفسيره، كالنّدب، والمداومة والاستمرار، والتفويض، وسرعة التكوين، والنّهي، وغيرها من الوظائف.

---

[1]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص105.
[2]- سورة الشعراء الآية49.
[3]- تفسير البيضاوي، ج4 ص180.
[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص420.
[5]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24 ص606.
[6]- فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص205.
[7]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج7 ص525.

ومن خلال ما سبق، يظهر لنا أن الإمام البيضاوي يتفق مع البلاغيين في اصطلاح الأمر، وفي خروجه عن وظيفته الحقيقية إلى وظائف ومعان مجازية، تختلف تبعا للسياق والمقام والقرائن.

**ثانيا: الاستفهام:**

وهو باب جليل القدر في البلاغة العربية، وخاصة في بلاغة القرآن، وتأثيره على عاطفة المتلقي شديد جدا، ومعانيه متوافرة متكاثرة أكثر من أي باب من أبواب البلاغة، ولعلّ أبرز ما يميز الاستفهام قدرته العالية على تنبيه النفس، وإثارة الذهن، واستمالة المخاطب للإقناع والتأثير.

**-الاستفهام لغة واصطلاحا:**

**لغة:** السين والتاء زائدتان، وتستعمل بكثرة في معان، منها[1]:

1- الطلب حقيقة، نحو: استغفرت الله، أي: طلبت مغفرته.

2- الصيرورة حقيقة، نحو: استحجر الطين، أي: صار حجرا.

وعرّفه السيوطي، وابن هشام، بأنه: طلب الفهم[2]، وقال ابن منظور: "الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، وفهمه فهما وفهامة: علمه، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء. ورجل فهم: سريع الفهم، ويقال: فهم وفهم. وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه. واستفهمه: سأله أن يفهمه. وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيما"[3]، أي معرفة الشيء بالقلب.

نستنتج من هذه التعاريف أن الاستفهام يدور حول طلب الفهم.

**الاستفهام اصطلاحا:** أورد علماء البلاغة تعاريف جمة ومتنوعة لمصطلح الاستفهام من الناحية الاصطلاحية، اختلفت لفظا وعبارة، واتفقت مضمونا ومعنى. ومن هذه التعاريف ما ذهب إليه الجرجاني، حيث عرفه بقوله: "استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو حصول

---

[1]- يراجع شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، المكتبة العصرية بيروت، ص36، 37.

[2]- يراجع المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت (1418هـ-1998م)، ج1 ص286، مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق ط1985/6م، ص17.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، ج12 ص459.

صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين شيئين، أولا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"[1]. أما ابن فارس فعدّه من باب الاستخبار فقال: "الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام"[2]، وأما القزويني فعرفه بقوله: "الأمر طلب حصول صورة الشيء في الذهن"[3]. وقال بعض المحدثين في تعريفه، بأنه: "طلب الفهم والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم"[4]، أو هو: "طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأدوات خاصة"[5]، والمقصود هنا طلب شيء لم يكن معلوما من قبل.

ومن خلال ما سبق، نستنتج من هذه التعريفات أن وجه الاختلاف هو جهل المتكلم بالحكم، بينما في الأمر يكون المتكلم عالما بمفاد الخطاب، وبذلك ينعكس مسار الوظيفة التواصلية من المتكلم إلى المخاطَب.

## -أدوات الاستفهام:

والاستفهام هو أداة بلاغية، وهي تسمية لغوية يستفاد منها: تنويع الوظائف وتلوينها في الكلام بما يساعد المتكلم على توصيل مراده، سواء كانت حرفا أو اسما مبهما، أو هي وسيلة مقوية للكلام على تأدية المعاني المطلوبة[6]، وتنقسم أدوات الاستفهام إلى قسمين[7]:

أ- حرفا الاستفهام، ب- أسماء الاستفهام.

أولا- حرفا الاستفهام: وهما: الهمزة، وهل.

أ- الهمزة: وهي أم باب الاستفهام ومن وظيفتها ما يلي:

---

[1]- التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت ط1/ (1403هـ-1983م)، ص57.

[2]- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق أحمد حسن، دار الكتب العلمية ط1/(1418هـ-1997م)، ص134.

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج3 ص55.

[4]- البلاغة العربية، حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت ط1/(1425هـ-2004م)، ج1 ص198.

[5]- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ص64، معجم مصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ص108.

[6]- يراجع مقالات في نحو العربية، ذهبية بورويس، منشورات مكتبة اقرأ قسنطينة ط2012/1م، ص32.

[7]- يراجع مفتاح العلوم، السكاكي، ص308، الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص154، البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، ص163.

1- تستعمل لطلب التصور، أي: الاستفهام عن المفرد، وعندئذ يكون جوابها بتحديد أحد الشيئين ويأتي المسؤول عنه بعد الهمزة مباشرة، ولا بد أن تأتي بعدها (أم) العاطفة، وتدعى المعادلة؛ لأن ما بعدها يعادل ما قبلها في ذهن السائل، مثل: محمد فاز أم خالد؟

2- تليها الجملة الاسمية والجملة الفعلية، مثل: أحضر أحمد؟ أخالد في البيت؟

3- تستعمل لطلب التصديق، أي: الاستفهام عن حقيقة فعل أو صفة إلى شخص معين، ويكون الجواب بـ(نعم) أو (لا)، في الكلام الموجب، مثل: أقرأت كتاب البلاغة؟

أمّا إذا كان الكلام منفيا فيجاب عنه بـ(نعم) لتصديق النفي، مثل: ألم تفهم الدرس؟ وبـ(بلى) لتحويل النفي إلى إثبات، مثل: ألم تستقبل الضيف؟ فتقول (بلى) إذا استقبلته.

ومثله قوله تعالى: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾[1].

4- لها الصدارة في الجملة ولذا تقدم على حروف الجر، مثل: أفي البيت ضيوف؟

ب- هل: لطلب التصديق، إما في الجملة الفعلية، نحو: هل جاء خالد؟ أو في الجملة الاسمية، نحو: هل عمر قام؟.

ويذهب البلاغيون إلى أن (هل) لما كانت إنما تجيء لطلب التصديق امتنع أن تأتي في كل تركيب يذكر فيه المعادل[2]، مثل: هل يستعد المسلمون لإنقاذ فلسطين؟ والجواب دائما بـ(نعم) أو (لا).

وإذا ذكرت بعد هل (أم)، فهي المنقطعة التي تكون بمعنى (بل)، وليست المتصلة التي تأتي بعد الهمزة، و(بل) تفيد الإضراب[3]، وهو الانتقال من شيء إلى شيء هو أشد منه.

**ثانيا- أسماء الاستفهام:**

ووظيفة هذه الأسماء أنها موضوعة للتصور فقط، فيسأل بها عن معناها وهي[4]: ما، من، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي.

---

[1]- سورة يس الآية81.

[2]- يراجع المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص265.

[3]- يراجع جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص65.

[4]- يراجع المرجع نفسه، ص66.

ولهذا يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه. وقد نبه الزركشي بقوله: "إن ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن إنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك. الإثبات أو النفي حاصل فيسْتفهم عنه نفسه تخبره به إذ قد وضعه اللّه عنْدها فالْإثبات كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ من الله حديثا**﴾[1]، والنّفْي كقوْله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾[2]، ﴿**فهل أنتم مسلمون**﴾[3]، ومعْنى ذلك: أنّه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه، فإنّ الرّبّ تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء وإنّما يستفهمهم ليقرّرهم ويذكّرهم أنّهم قد علموا حقّ ذلك الشّيء فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف"[4]، ويستشف من كلامه أن الله سبحانه وتعالى لا يستفهم خلقه عن شيء في القرآن الكريم، لأنه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام، وإنما يخرج الاستفهام في القرآن مخرج التوبيخ والتقرير.

وقد بيّن ابن جني وظيفة هذا الخروج عن حقيقته، إذ قال: "اعلم أنه ليس شيء يخرج عن بابه إلى غيره إلا لأمر قد كان، وهو على بابه ملاحظا له، وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا مع استفهامه في الظاهر عنه، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء"[5].

وبناء عليه، فإن الاستفهام الذي يخرج عن وظيفته الحقيقية إلى غير موضعه فيخرج عندئذ إلى وظائف أخرى، لتحقيق غرض بلاغي يفهم من سياق الكلام والمقام وقرائنه، فيكون القصد منه أمرا آخر هو التوبيخ، أو التسوية أو الإنكار...إلى غير ذلك من الوظائف.

### - وظائف الاستفهام في تفسير البيضاوي:

وقد تناول البيضاوي في تفسيره الاستفهام وبين وظيفته البلاغية للآيات القرآنية التي خرجت به عن حقيقته، كما استعمل إلى جانب مصطلح الاستفهام مصطلح الاستخبار. ومن الوظائف البلاغية التي ذكرها الآتي:

---

[1]- سورة النساء الآية87.

[2]- سورة الإنسان الآية1.

[3]- سورة هود الآية14.

[4]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2 ص327.

[5]- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2 ص462.

### 1- الإنكار:

والمقصود من هذه الوظيفة طلب فهم السامعين لذلك المنكر، أي: قد يخرج عن وظيفته الأصلية للدلالة على أن المستفهم عن أمر منكر عرفا وشرعا[1]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾[2]، والشاهد قوله: (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً)، قال البيضاوي: "استفهام إنكار وتوبيخ، أي تأخذونه باهتين وآثمين"[3]، أي: أتأخذونه لأجل البهتان والإثم المبين الذي يؤدى إلى غضب الله عليكم؟! إن إيمانكم يمنعكم من ارتكاب هذا الفعل الشنيع في قبحه. وهذا إنكار لفعل الواقع، وأنه ما كان ينبغي أن يكون.

والملاحظ أنّ كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الرازي، وتبعه في هذا الغرض أبو حيان، وصاحب تفسير السراج المنير، وأبو السعود، والشوكاني، والقاسمي[4]. وبهذا قد نستنتج ونقول إنّ البيضاوي ومن تبعه من المفسرين قد استعانوا بهذه الوظيفة البلاغية لإبراز المعنى. ومن هنا نجد أنّ الاستفهام في الآية الكريمة قد خرج عن وظيفته الحقيقية إلى وظيفة الإنكار، والغرض منه لينبّه السامع حتى يرجع إلى نفسه ويخجل.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي**﴾[5]، ويقول البيضاوي: "أَمْ منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار، أي ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه، أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شاهدين"[6]، ويشير البيضاوي إلى هذه الآية الكريمة، أن وظيفة الاستفهام غير حقيقية للظهور أن عدم شهودهم احتضار (يعقوب) محقق، فخرج

---

[1]- يراجع أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر، ص77.

[2]- سورة النساء الآية21.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص66.

[4]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج10 ص14، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص573، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص291، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج2 ص159، فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص508، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج3 ص57.

[5]- سورة البقرة الآية133.

[6]- تفسير البيضاوي، ج1 ص107.

الاستفهام عن وظيفته الحقيقية إلى وظيفة الإنكار، لأن مثل هذا المستفهم عنه مألوف في الاستفهام الإنكاري، ثم إنّ كون الاستفهام إنكاريا، يمنع أن يكون الخطاب الواقع فيه خطابا للمؤمنين، لأنهم ليسوا بمظنة حال من يدعي خلاف الواقع حت ينكر عليهم. وقد اتفق البيضاوي مع الزمخشري في وظيفة هذه الآية الكريمة[1]، وهي الإنكار.

**2- التعجب:**

وتأتي هذه الوظيفة لسبب خروج الشيء عن نظائره أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾[3]، والشاهد قوله: (أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ)، يقول البيضاوي: "تعجب، أو استبعاد عادي، أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره"[4]، ويشير البيضاوي أن في هذه الآية الكريمة استفهام، لأنّ التّبْشير به يقْتضي التّعجّب ممّا وقع على خلاف العادة، ولأن التعبير بأداة الاستفهام مقام التعجب فيه إثارة التحريك، وجذب الانتباه بأجمل طريق وأوجز.

ويوضح ذلك أبو حيان فيقول: "مستفهمة على طريق التّعجّب من حدوث الولد من غير أب إذ ذاك من الأمور الموجبة للتّعجّب"[5]، ويرى أبو السعود أن الآية وردت على "وجه الاستفهامِ والاستفسارِ بأنه بالتزوج أو بغيره"[6]، أما الطاهر بن عاشور فيرى أن "الاستفهام في قولها (أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ) للإنكار والتعجّب، ولذلك أجيب جوابين أحدهما كذلك اللّه يخلق ما يشاء فهو لرفع إنكارها، والثّاني (إذا قضى أمْرا) لرفع تعجّبها"[7]، ويبيّن ابن عاشور أنّ الاستفهام في هذه الآية الكريمة، هو لغرض الإنكار والتعجب.

والذي نميل إليه ونأخذ به هو القول الذي أشار إليه الإمام البيضاوي، حيث بيّن أنّ الاستفهام خرج عن وظيفته الحقيقية، لأنه يستفهم بها عن الشيء مع العلم به؛ إلى وظيفة مجازية

---

[1]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص192.

[2]- يراجع أساليب المعاني، جعفر حسيني، ص85.

[3]- سورة آل عمران الآية47.

[4]- تفسير البيضاوي، ج2 ص17.

[5]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص157.

[6]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج2 ص37.

[7]- التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج3 ص248.

وهي التعجب والاستبعاد، لأن مريم عليها السلام قالت ذلك على سبيل التعجب والاستبعاد: يا رب كيف يكون لي ولد والحال أني لم يمسسني بشر، أى: لست بذات زوج، ولم يحصل منى قط ما يكون بين الرجل والمرأة مما يسبب عنه وجود الولد.

## 3- التقرير والإثبات:

والمقصود بهذه الوظيفة حمل المخاطَب على الإقرار والاعتراف[1]، فالمتكلم يقرر المخاطَب بشيء ثبت عنده، ولكنه يخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام، ذلك لأنه أوقع في النفس، وأدل على الإلزام[2]، كقوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تتلُونَ الْكِتابَ أَفَلا تعْقِلُونَ**﴾[3]، يقول البيضاوي: "تقرير مع توبيخ وتعجيب"[4]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة استفهام، ووظيفته البلاغية التقرير.

وإلى هذا المعنى ذهب جلّ علماء التفسير، ومن أشهرهم: الزمخشري، والرازي، والنسفي، وصاحب تفسير (السراج المنير)، وأبو السعود[5]. وأما الشوكاني فيقول: "والهمزة في قوله أتأمرون النّاس بالبرّ للاستفهام مع التّوبيخ للمخاطبين، وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالبرّ فإنّه فعل حسن مندوب إليه، بل بسبب ترك فعل البرّ"[6]. وأومأ إلى هذا القول أيضا العلامة الطاهر بن عاشور فقد قال: "والاستفهام هنا للتوبيخ لعدم استقامة الحمل على الاستفهام الحقيقيّ فاستعمل في التوبيخ مجازا بقرينة المقام وهو مجاز مرسل، لأنّ التّوبيخ يلازم الاستفهام لأنّ من يأتي ما يستحقّ التّوبيخ عليه من شأنه أن يتساءل النّاس عن ثبوت الفعل له ويتوجّهون إليه بالسّؤال فينتقل من السّؤال إلى التوبيخ ويتولّد منه معنى التعجيب من حال الموبّخ وذلك لأنّ الحالة الّتي وبّخوا عليها حالة عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النّفس منه فحقيق بكلّ سامع أن

---

[1]- يراجع علوم البلاغة، المراغي، ص59.

[2]- يراجع البلاغة فنونها وأفنانها –علم المعاني، حسن عباس، ص190.

[3]- سورة البقرة الآية44.

[4]- تفسير البيضاوي، ج1 ص77.

[5]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص134، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج3 ص488، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص86، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص55، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص97.

[6]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص91.

يعجب منها"[1]، وقد ذكر الجرجاني هذا الوجه، إذ قال: "واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة قائم فيها إذا هي كانت للتقرير"[2]. ومن هنا نجد أن البيضاوي يتفق مع البلاغين، ويتفق معهم في تطبيق الكلام مع مقتضى الحال في تفسيره لكثير من الآيات التي جاءت على طريق الاستفهام الذي غرضه التقرير.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين، هو أن ما أشار إليه البيضاوي أولى، لأنه بيّن ووظيفة الأداة (الهمزة)، التي غالبا ما يكون الاستفهام بها تقريرا.

**4- التقريع والتبكيت:**

والمقصود بهذين الوظيفتين أنهما تدلان على معان متداخلة متقاربة لا خلاف بينها، ومن أمثلة الاستفهام الذي خرج عن وظيفته الحقيقية إلى هذه الوظيفتين، قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ**﴾[3]، يقول البيضاوي: "تقريعاً للمشركين وتبكيتاً لهم وإقناطاً لهم عما يتوقعون من شفاعتهم، وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله"[4]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الاستفهام في هذه الآية الكريمة التي يستفهم بها عن الشيء مع العلم به، قد يخرج لوظائف أخرى تفهم من سياق الكلام، حيث كان الخطاب للملائكة موجها للمشركين تقريعا لهم وتبكيتا.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار، نحو قوله تعالى: ﴿**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[5]، وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريعهم أشدّ. وتعييرهم أبلغ، وخجلهم

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص473، 474.

[2]- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص113.

[3]- سورة سبأ الآية40.

[4]- تفسير البيضاوي، ج4 ص249.

[5]- سورة المائدة الآية116.

أعظم"[1]، وتبعه في هذا الغرض كل من النسفي، وأبي حيان، وأبي السعود، والقاسمي[2]، وأضاف الشوكاني قائلا: "تقْريعا للْمشْركين وتوْبيخا لمنْ عبد غير اللّه عزّ وجلّ"[3]، ويرى الشوكاني أنّ الاستفهام في هذه الآية؛ الفائدة منه التقريع والتوبيخ.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الاستفهام قد خرج عن وظيفته الحقيقة إلى وظيفة التقريع والتبكيت، ذلك أنّ النّصارى سخروا بعيسى عليه السلام، فكان تهديدا لهم وتوبيخ وتقريع على اتهامهم بهذه الشهادة.

## 5– التشويق:

والمقصود بهذه الوظيفة تشويق المخاطب إلى جواب الاستفهام[4]، نحو قوله تعالى: ﴿**وَهَلْ أَتاكَ نبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ ففَزِعَ مِنهُمْ قالُوا لاَ تَخَفْ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماعه"[6]، ويستشف من كلامه أن وظيفة الأداة (هل) أفادت التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده في هذه الآية، كما تدل أيضا على أنه من الأنباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد، والتشويق إلى استماعه.

وقد وضّح هذا الرازي بقوله: "وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصّة المستفهم عنها، ليكون داعيا إلى الإصغاء لها والاعتبار بها"[7]، وهذا ما جنح إليه أبو حيان بقوله: "ومجيء مثل هذا الاستفهام إنّما يكون لغرابة ما يجيءِ معه من القصص، كقوله: ﴿**وَهَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى**﴾[8]، فيتهيّأ المخاطب بهذا الاستفهام لما يأتي بعده ويصغي لذلك"[9]. وأما الطاهر بن

---

[1]– الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص587.

[2]– يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص68، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8 ص556، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج7 ص136، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج8 ص152.

[3]– فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص380.

[4]– يراجع أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد الكريم محمود يوسف، ص17.

[5]– سورة ص الآية22.

[6]– تفسير البيضاوي، ج5 ص27.

[7]– مفاتيح الغيب، الرازي، ج26 ص377.

[8]– سورة طه الآية20.

[9]– البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج9 ص147.

عاشور فيرى أن الاستفهام: "مستعمل في التعجيب أو في البحث على العلم فإن كانت القصّة معلومة للنبيء صلّى الله عليه وسلّم كان الاستفهام مستعملا في التعجيب، وإن كان هذا أوّل عهده بعلمها كان الاستفهام للحثّ"[1]. الملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي فهمه، هو أن في الآية الكريمة استفهام غرضه التشويق لما يقال بعده، لكونه أمرا غريبا تتطلع إلى معرفته النفس.

وهناك شواهد كثيرة في هذا المعنى من الاستفهام في تفسير البيضاوي، كما نلحظ أن الاستفهام عند البيضاوي من أكبر مباحث الإنشاء الطلبي.

وخلاصة القول؛ إن وظيفة الاستفهام مرتبطة بالمقام والسياق، وبمدى إنجازها في التواصل والإبلاغ، مما يجعل النص في الآية له قيمة بلاغية، وظيفتها التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه. لأن الاستفهام الذي يحل بهذه الوظائف يهيء النفس لتتلقى من السياق ما يجيش الخواطر والمشاعر، مما يقع من صور المعاني في الذهن.

**ثالثا: النهي:**

النهي من موضوعات علم البلاغة، ويدخل في نطاق علم المعاني، وقد عدَّ البلاغيون النهي أسلوبا إنشائيا من النوع الطلبي . وله مفاهيم لغوية متشعبة، فأما الذي يهمنا فهو جانبها البلاغي، وما تؤديه من معان.

**–مفهومه:**

**لغة:** النهي هو الكفّ، وهو ما ذهب إليه ابن منظور بقوله: "النهي: خلاف الأمر، نهاه ينهاه نهيا فانتهى وتناهى: كف"[2]، وقال ابن فارس: "النّون والهاء والياء أَصل صحيح يدلّ على غاية وبلوغ. ومنه أنهيت إِليه الخبر: بلّغته إيّاه. ونهاية كلّ شيء: غايته. ومنه نهيته عنه، وذلك لأمر يفعله. فإِذا نهيتُهُ فَنتهى عنك فتلك غاية ما كان وآخره. وفلان ناهيك من رجل ونهيك، كما يقال حسبك، وتأوِيله أَنَّه بجِدِّه وغنائِهِ ينهاك عن تَطلُّب غيره"[3]. ومعنى الغاية عند ابن فارس هي

---

[1]– يراجع التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج23 ص230.

[2]– لسان العرب، ابن منظور، ج15 ص343.

[3]– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5 ص359.

منتهى الشيء، وبذلك يتفق (ابن فارس) و(ابن منظور في نفس المعنى. ونستنتج من هذه التعاريف أنّ النهي يقوم على الكف والمنع عن الفعل.

**اصطلاحا:** النهي عكس الأمر، سواء في المدلول المعجمي، أو على المستوى الطلبي (الترك). لذا عرفه السيوطي بقوله: "هو طلب الكف عن الفعل"[1]، وعرفه العلوي بقوله: "هو قول ينبئ عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء، كقولك: لا تفعل، ولا تخرج"[2]، ووجه آخر ذكره البيضاوي، حيث يقول: "النهي عن الشيء إنذار عن مضرته"[3]، وعرفه التفتازاني بقوله: "هو طلب الكف عن الفعل استعلاء"[4]، وهو نفس ما ذهب إليه القزويني الذي قال: "هو كالأمر في الاستعلاء، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك"[5].

أمّا السكاكي فقد وضح أداة النهي بقوله: "وللنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: لاتفعل، والنهي محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء، ويرى أنّ الأمر والنّهي يجب الإسراع في تنفيذهما إذا كانا استعلاء"[6].

**–صيغته:** للنّهي صيغة واحدة وهي: "المضارع المقترن بلا الناهية"[7]، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**﴾[8]، قال ابن كثير في تفسير الآية ما نصه: "على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق في الشر"[9].

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر بيروت ط1/1996م، ج1 ص220.

[2]- الطراز، العلوي، ج3 ص156.

[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص115.

[4]- المطول (شروح تلخيص المفتاح)، سعد الدين مسعود بن حجر التفتازاني، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ط1/(1422هـ-2001م)، ص427.

[5]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص166.

[6]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص320.

[7]- علوم البلاغة، مصطفى المراغي، ص79.

[8]- سورة الحجرات الآية12.

[9]- تفسير ابن كثير، ج7 ص354.

### -وظائف النهي في تفسير البيضاوي:

قد تخرج صيغة النهي عن وظيفتها الحقيقية؛ أي: طلب الإقلاع عن الفعل طلبا جازما ملزما، إلى وظائف مجازية يحددها السياق وتدل عليها قرائن الأحوال، وأهم هذه الوظائف: الدعاء، الالتماس، التهديد، الإرشاد[1]، إلى غير ذلك من الوظائف. وقد ذكر البيضاوي هذا النوع في تفسيره وبيّن وظائفه البلاغية، ومن أمثلة ذلك:

## 1- الدعاء:

وتأتي هذه الوظيفة في سياق الخضوع والاستعطاف[2]، وذلك إذا كان من الأدنى إلى الأعلى، كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ**﴾[3]، والشاهد قوله: (فَلا يُؤْمِنُوا)، يقول البيضاوي: "دعاء بلفظ النهي"[4]، ويستشف من كلام البيضاوي أن صيغة النهي في هذه الآية الكريمة خرجت إلى معنى الدعاء، إذ إنّ صيغة النهي صدرت عن موسى عليه السلام إلى الله سبحانه عزّ وجلّ على سبيل الخضوع والتذلل، والمقصود من هذه الوظيفة البلاغية زيادة القسوة والطبع حتى يزدادوا في الكفر والطغيان، فيستحقوا زيادة العذاب. وإلى هذ المعنى ذهب جلّ علماء التفسير ومن أشهرهم: الزمخشري، والنسفي، وأبو حيان، والشوكاني[5]، بأنّ النّهي في هذه الآية الكريمة الفائدة منه الدعاء.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أنّ وظيفة النهي خرجت عن وظيفتها الحقيقية إلى غرض بلاغي وهو الدعاء، لأن النهي وظيفته طلب الكفّ على وجه الاستعلاء، والقرينة المانعة من الوظيفة الأصلية هي كون الطلب من الأدنى إلى الأعلى.

---

[1]- يراجع الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3 ص220.

[2]- يراجع الكافي في علوم البلاغة -المعاني، البيان، البديع، عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، ص259.

[3]- سورة يونس الآية88.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص122.

[5]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص37، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص99، فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص532.

## 2- الأمر:

وهو في قوله تعالى: ﴿**يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[1]، والشاهد قوله: (وَلا تَمُوتُنَّ)، يقول البيضاوي: "وفي هذا الأمر تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أنّ الوظيفة البلاغية في هذه الآية التي خرج فيها النّهي عن وظيفته هي الأمر.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "ولا تكوننّ على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدوّ: لا تأتنى إلا وأنت على حصان، فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان"[3]، وعلى هذا الوجه أيضا حملها الرازي فقال: "فلفظ النّهي واقع على الموت، لكنّ المقصود الأمر بالإقامة على الإسلام، وذلك لأنّه لما كان يمكنهم الثّبات على الإسلام حتّى إذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الإسلام"[4]. وهذا ما ذهب اليه كلا من النسفي، وصاحب تفسير السراج المنير[5]، وقال القاسمي: "وهو الأمر لهم بالتأهب للموت على الإسلام، والمداومة على الطاعة لأجل ذلك"[6]. والظاهر من هذه التفاسير أنها متفقة على أن الآية جاءت فيها النهي بغرض تأكيد الأمر، لأن الوظيفة من هذا النهي شدة الحرص على ترك المنهي، أي: الأمر بالثبات على الإسلام إلى حين الموت.

## 3- التحقير والتقليل:

والمقصود بهذه الوظيفة أنها تأتي إما لشأن المنهي عنه، وإما للمنهي[7]، أي الموجه إليه الخطاب، فالتحقير لشأن المنهي يمثل له البيضاوي بقوله تعالى: ﴿**لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا**

---

[1]- سورة آل عمران الآية102.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص31.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص394.

[4]- مفاتيح الغيب، الرازي، ج8 ص311.

[5]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص279، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص236.

[6]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج3 ص121.

[7]- يراجع تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام، عبد الله بن زيدي الزبيدي، تحقيق محمد الحرازي، دار البشائر الإسلامية، ص80.

**بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[1]، ويفسره بقوله: "فإنه مستحقر بالإضافة إلى ما أوتيته فإنه كمال مطلوب بالذات مفض إلى دوام اللذات"[2]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يبيّن أن النهي جاء لتوضيح فكرة؛ وهي أنَّ زخارف الدنيا قليلة حقيرة أمام القرآن وتعاليمه.

وأشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "وقد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم"[3]، وتبعه النسفي بنفس المعنى في تفسير هذه الآية[4]، وأوضح الرازي هذا المعنى بقوله: "نهي له عن الالتفات إلى أموالهم"[5]. وذكر أبو حيان وجها مماثلا بقوله: "ولما ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم من إتيانه ما آتاه، نهاه. وقد قلنا: إنّ النّهي لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة عن طموح عينه إلى شيء من متاع الدّنيا، وهذا وإن كان خطابا للرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم فالمعنى: نهى أمّته عن ذلك لأنّمن أوتي القرآن شغله النّظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال بزهرة الدّنيا"[6].

ويرى الإمام الطبري أنّ سياق هذه الآية يحمل وظيفة خاصة تتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهي تسليته، ويبرّر ذلك بقوله: "لا تتمنينّ يا محمد صلى الله عليه وسلم ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابا غليظا"[7].

ومما سبق نجد أنَّ أبا حيان انفرد عن البيضاوي والزمخشري والنسفي في فهمه لصيغة النهي التي تبتعد عن الملابسة للفرد وتتفق مع العمومية لكل مسلك، ولكن أغلب المفسرين لم يذكروا أنَّ النهي خرج عن وظيفته الحقيقة إلى غرض بلاغي آخر تمثل في الاحتقار والتقليل، وإنما فسروا معنى التحقير لمفاتن الدنيا أمام عظمة القرآن.

---

1- سورة الحجر الآية88.

2- تفسير البيضاوي، ج3 ص216.

3- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص587.

4- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص198.

5- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج19 ص161.

6- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص492.

7- جامع البيان، الطبري، ج14 ص141.

### 4- الدوام والثبات:

وتأتي هذه الوظيفة للاستمرار على امتثال النهي، والعلاقة بين المعنى الأصلي لصيغة النهي وبين الدوام، هي اشتراكهما في مطلق الطلب[1]؛ أي طلب من المخاطب أنّ يستمر على امتثاله للمنهي عنه، وقد مثّل البيضاوي لهذه الوظيفة بقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[2]، وقال: "المراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعاً له عمّا نهى عنه"[3]، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: "الدوام والثبات على ما كان عليه"[4]، ووجه آخر ذكره البقاعي إذ قال: "ثم علل الأمر والنهي بما يزيل الهموم ويوجب الإقبال عليهما واللزوم، فقال ملوحاً إلى أن لهم أغواراً في مكرهم ربما خفيت عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[5]، ومما يعزز وظيفة هذا النهي، قول صاحب تفسير السراج المنير، وهو: "ولما وجه إليه صلى الله عليه وسلم الأمر بخشية الولي الودود، أتبعه النهي عن الالتفات لنحو العدو الحسود بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[6]، في شيء من الأشياء لم يتقدم إليك من الخالق فيه أمر وإن لاحَ لائح خوفٍ أو برق رجاء فجانبهم واحترس منهم، فإنهم أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين، لا يريدون إلا المضارة والمضادة"[7]، وتبعه الشوكاني في هذا القول[8]، وأومأ إلى هذا العلامة الطاهر بن عاشور بقوله: "وقد تعيّن بهذا أنّ الأمر في قوله اتّق اللّه والنّهي في قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين مستعملان في طلب الاستمرار على ما هو ملازم له من تقوى اللّه، فأشعر ذلك أنّ تشريعا عظيما سيلقى إليه لا يخلو من حرج عليه فيه

---

[1]- يراجع تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام، عبد الله الزبيدي، ص77.

[2]- سورة الأحزاب الآية1.

[3]- تفسير البيضاوي، ج4 ص224.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص547.

[5]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، ج15 ص276.

[6]- سورة الأحزاب الآية1.

[7]- السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج3 ص218.

[8]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص331.

وعلى بعض أمّته، وأنّه سيلقى مطاعن الكافرين والمنافقين"[1]. والظاهر من هذه التفاسير أنها متفقة على أن الآية جاء فيها النهي بغرض الدوام والثبات.

**5- التسوية:**

والمقصود بهذه الوظيفة أنها تأتي في طلب يوحي بأن الشيئين المراد فعلهما على حد سواء[2]، أي: تستعمل في مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الأخر، وكأن المخاطب توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك أنفع له وأرجح بالنسبة إليه، فدفع المتكلم ذلك عنه، وسوى بينهما[3]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَاتُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4]، والشاهد قوله: (أَوْلَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ)، يقول البيضاوي: "تعليل للاستواء فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع"[5]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في هذه الجملة نهي وظيفته التسوية، حيث ليس المراد النهي عن الصبر، بل المراد: صبركم وعدمه سواء، والقرينة الدالة على ذلك أنه لو حمل النهي على حقيقته لكان فيه نهي عن الصبر وأمر به، لأن قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾، صريح في إرادة التسوية. وتساءل الزمخشري في تفسير هذه الآية، إذ قال: "فإن قلت: لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؟ قلت: لأنّ الصبر إنما يكون له مزية على الجزع، لنفعه في العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة، فلا مزية له على الجزع"[6]. وتبعه الرازي، والنسفي، والشوكاني، والقاسمي[7]، والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه أن في الآية نهي، والغرض منه التسوية، لأن في الآية دفع لما قد يتوهم من أن الصبر نافع للكفار في عذاب يوم القيامة، فجاءت التسوية بين الصبر وعدمه.

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج21 ص250.

[2]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص107.

[3]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج3 ص85.

[4]- سورة الطور الآية16.

[5]- تفسير البيضاوي، ج5 ص153.

[6]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص409.

[7]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج28 ص205، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص383، فتح القدير، الشوكاني، ج5 ص113، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9 ص50.

وهناك وظائف أخرى أشار إليها البيضاوي وبين وظيفتها البلاغية كالاستهزاء، والمبالغة، والإرشاد والالتماس.

وخلاصة القول أن البيضاوي قد أدرك بحسه الذّوقي سمات التعبير القرآني، وما يحويه من وظائف وأسرار بلاغية؛ منها إشارته إلى خروج النهي عن وظيفته الحقيقية إلى وظائف أخرى لإبراز المعنى وبيانه.

**رابعا: النداء:**

يعد النداء أداة من أدوات علم المعاني، وواحد من الأساليب الإنشائية الطلبية التي استند إليها النظم القرآني، لأنه وسيلة لعقد الصلة بين صاحب الخطاب والمتلقي.

**-مفهوم النداء لغة واصطلاحا:**

**لغة:** قال ابن منظور النداء في أصل اللغة: "الصوت، وهو مشتق من الندى، وهو بعد الصوت...وقد ناداه، ونادى به، وناداه منادة، ونداء، أي: صاح به. وأندى الرجل، إذا أحسن صوته"[1]، وقال ابن فارس: "ومن الباب ندى الصّوت: بعد مذهبه. وهو أندى صوتا منه، أي أبعد. قال: فقلت ادعي وأدع فإنّ أندى ... لصوت أن ينادي داعيان"[2]، وجاء في المفردات: "النداء: رفع الصوت وظهوره، وقد يقال ذلك للصوت المجرد، وإياه قصد بقوله: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[3]، أي: لا يعرف إلا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيبالكلام، ويقال للمركب الذي يفهم منه المعنى ذلك، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى**﴾[4]، وقوله: ﴿**وَإِذا نادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ**﴾[5]، أي: دَعَوْتُم"[6]. ونستنتج من هذه التعاريف اللغوية، أن النداء ينبئ عن رفع الصوت ومداه.

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج15 ص314.

[2]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5 ص412.

[3]- سورة البقرة الآية171.

[4]- سورة الشعراء الآية10.

[5]- سورة المائدة58.

[6]- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص796.

**اصطلاحا:** أورد البلاغيون تعاريف جمة ومتنوعة لمصطلح النداء من الناحية الاصطلاحية، ومن هذه التعاريف ما ذهب إليه العلوي: "النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك"[1]، وعرفه الزركشي بقوله: "هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص"[2]، وقد بيّن السيوطي هذه الأداة فقال: "هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظا أو تقديراكأيا وهيا للبعيد، وقد ينزل غير البعيد منزل البعيد"[3]، أما القزويني فقد عرفه بقوله: "هو طلب إقبال المخاطب، أو دعوة المخاطب بحرف من حروف النداء يحل محل الفعل المضارع (أنادي)"[4]، ويستشف من هذا النص أنّ دعوة المخاطَب تكون بحرف النّداء.

ومن خلال ما سبق يتضح أن وظيفة النداء في الكلام هي تنبيه المدعو ليقبل عليك.

**-أدوات النداء:** تنادي العرب بثماني أدوات، وهي: الهمزة، أي، يا، آ، أي، أيا، هيا، وا. وهي قسمان من حيث الوظيفة[5]:

1- ما ينادى به القريب، وهو (الهمزة) و(أي).

2- ما ينادى به البعيد، وهو بقية الأدوات.

لكنّها غالبا ما تستعمل على عكس ما وضعت له، فينادى البعيد بأداة نداء القريب، وينادى القريب بأداة نداء البعيد لاعتبارات يلحظها المتكلم البليغ[6]. كما يعد حرف النداء (يا) الأكثر استعمالا في القرآن الكريم، والسبب في ذلك عائد إلى ما تميزت به هذه الأداة من مرونة في الاستعمال وإمكانية دورانها في مواقع النداء جميعها. وقد تخرج أدوات النداء عن وظيفتها الأصلية إلى وظائف أخرى غير النداء تفهم من سياق الكلام بمعونة قرائن الأحوال، وهي: التحسر، الاختصاص، التعجب.

---

[1]- الطراز، العلوي، ص535.

[2]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص209.

[3]- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3 ص209.

[4]- تلخيص المفتاح، القزويني، ص106.

[5]- المفصل في علوم البلاغة –المعاني–البيان–البديع، عيسى العاكوب، ص285.

[6]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص112.

## - وظائف النداء في تفسير البيضاوي:

تناول البيضاوي أداة النداء وبسط فيها رأيه بالشرح والإسهاب، لأن معظم الآيات القرآنية جاءت بلفظ النداء سواء للمؤمنين أو للكافرين، كما بيّن الوظائف البلاغية التي سيقت فيها، ومن أمثلة ذلك:

### 1- الاستعطاف:

والمقصود بهذه الوظيفة طلب العطف، كقوله تعالى: ﴿**قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾[1]، والشاهد قوله: (يَبْنَؤُمَّ)، يقول البيضاوي: "خص الأم استعطافاً وترقيقاً، وقيل لأنه كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية نداء، الغرض منه الاستعطاف، لأن ذلك مشعر بعطف الأم وحنانها.

وقد وضح النسفي هذا القول، إذ قال: "ولكنه ذكر الأم استعطافاً"[3]، وقال أبو السعود: "خَصّ الأمَّ بالإضافة استعظاماً لحقها وترقيقاً لقلبه لا لما قيلَ من أنه كان أخاه لأم فإن الجمهورَ على أنهما كانا شقيقين"[4]، وتبعه في هذا الغرض أيضا الشوكاني، والقاسمي في تفسيرهما[5]، بأن الآية فيها نداء، الغرض منه الاستعطاف.

من خلال ما سبق من هذه الأقوال نستنتج أنّ النّداء في هذه الآية الكريمة خرج عن وظيفته الحقيقية إلى غرض بلاغي وهو الاستعطاف، وهذا استعظاما لحقِها، وترقيقا لقلبه.

### 2- التحسر والوجع:

والمقصود بهذه الوظيفة الندم، أو هو الغمّ على ما فاته[6]، فكأن النادم انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، كقوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ**

---

[1]- سورة طه الآية94.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص36.

[3]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص380.

[4]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص38.

[5]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص453، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج5 ص188.

[6]- يراجع لسان العرب، ابن منظور، ج4 ص189.

**عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾**[1]، والشاهد قوله: (يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ)، قال البيضاوي أي: "يا أسفا تعال فهذا أوانك، والأسف أشد الحزن والحسرة، والألف بدل من ياء المتكلم، وإنما تأسف على يوسف دونأخويه والحادث رزؤهما لأن رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضاً آخذاً بمجامع قلبه، ولأنه كان واثقاً بحياتهما دون حياته"[2]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يبين الوظيفة البلاغية لهذا النداء في الآية الكريمة، وذلك أنه لما ضاق صدره بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق ابنه الصغير، عظم أسفه على يوسف عليه السلام، وفي هذا التركيب عدول عن المألوف في النداء، فالتقدير كأنه ينادي الأسف، والأسف أشد الحزن على ما فات، ليتجلى في هذا الخطاب وظيفة التحسر والألم على فقد يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام.

وإلى هذا المعنى ذهب جلّ علماء التفسير ومن أشهرهم الزمخشري في تفسيره، والنسفي، والخطيب الشربيني في السراج المنير، والقاسمي في ملاك التأويل[3]. وأما الشوكاني فيقول: "ومعنى المناداة للأسف طلب حضوره، كأنّه قال: تعال يا أسفي وأقبل إليّ"[4]. ووجه آخر ذكره ابن عطية، حيث قال: "يا أَسَفى على جهة الندبة، وحذف الهاء التي هي في الندبة علامة المبالغة في الحزن تجلدا منه عليه السلام، إذ كان قد ارتبط إلى الصبر الجميل"، وتبعه في هذا الغرض أبو حيان[5]، وهو أنّ في الآية الكريمة نداء، والغرض منه هو التحسر.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، فإنّ ما أشار إليه الإمام البيضاوي أولى، لأن الوجه الذي ذكره ابن عطية لا يختلف عن الوظيفة التي ذكرها البيضاوي، فالغرض من الندبة نداء المتوجع منه أو المتفجع عليه، وهذا الذي أظهره يعقوب عليه السلام حينما تذكر ابنه يوسف عليه السلام.

---

[1]- سورة يوسف الآية84.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص173.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص497، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص129، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج2 ص130، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج6 ص209.

[4]- فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص57.

[5]- المحرر الوجيز، ابن عطية، ج3 ص272، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص314.

### 3- التوكيد والترغيب:

ومنه قوله تعالى: ﴿**يَاأَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تتقُونَ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الغرض من النداء في قوله: (يَاأَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا)، توكيد الخبر، لأن افتتاح الآية الكريمة بأداة النداء لإظهار العناية بما سيقال بعده وهو الصيام، وقد بين الألوسي هذا الغرض، حيث قال: "بيان لحكم آخر من الأحكام الشرعية وتكرير النداء لإظهار الاعتناء مع بعد العهد"[3]. وبهذا نستنتج ونقول: إن النداء في هذه الآية خرج عن وظيفته الحقيقية إلى غرض بلاغي مفاده التوكيد وإظهار العناية.

### 4- التهكم:

وتأتي هذه الوظيفة لإخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، استهزاء بالمخاطب[4]، كقوله تعالى: ﴿**وَقالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "نادوا به النبي صلّى الله عليه وسلّم على التهكم، ألا ترى إلى ما نادوه له وهو قولهم"[6]، ويستشف من كلام البيضاوي أن النداء في هذه الآية خرج عن وظيفة طلب إقبال المخاطب، إلى غرض بلاغي المراد به التهكم.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "وكأن هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، كما قال فرعون: ﴿**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾[7]، وكيف يقرّون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون. والتعكيس في كلامهم للاستهزاء، والتهكم مذهب واسع"[8]،

---

[1]- سورة البقرة الآية183.
[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص123.
[3]- روح المعاني، الألوسي، ج1 ص453.
[4]- يراجع الطراز، العلوي، ج3 ص91.
[5]- سورة الحجر الآية6.
[6]- تفسير البيضاوي، ج3 ص207.
[7]- سورة الشعراء الآية27.
[8]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص571.

واستحسن هذا القول كلا من النسفي، والقاسمي[1]. وأضاف أبو حيان وظيفة الاستخفاف، حيث يقول: "قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف، لأنّهم لا يقرّون بتنزيل الذّكر عليه، وينسبونه إلى الجنون"[2]. أما الطاهر بن عاشور فيوضح الوظيفة البلاغية، إذ يقول: "والنّداء في (يَا أَيُّهَا الَّذِي نزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) للتّشهير بالوصف المنادى به، واختيار الموصوليّة لما في الصّلة من المعنى الّذي جعلوه سبب التّهكّم. وقرينة التّهكّم قولهم: (إنّك لمجْنون)"[3].

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين، هو أن في الآية نداء، والغرض البلاغي منه التهكم والاستهزاء.

**5- التعظيم:**

وتأتي وظيفة النداء بغرض تعظيم الأمر وتفخيمه، كقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[4]، والشاهد قوله: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ)، يقول البيضاوي: "ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيماً له وتفخيماً لشأن التقوى"[5]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في هذه الآية الكريمة نداء، والوظيفة البلاغية منه التعظيم.

وقد تساءل الزمخشري عن الغرض من هذه النداء، حيث يقول: "جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله: ﴿**يا أيها النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ**﴾[6]. ﴿**يا أيها الرَّسُولُ بلِّغْ ما أُنْزِلَ**﴾[7]، وترك نداءه باسمه كما قال: يا آدم، يا موسى، يا عيسى، كرامة له وتشريفا، وربئا بمحله وتنويها بفضله. فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾[8]، ﴿**وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**﴾[9]، قلت: ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك

---

[1]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص183، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج6 ص329.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص467.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج14 ص16.

[4]- سورة الأحزاب الآية1.

[5]- تفسير البيضاوي، ج4 ص224.

[6]- سورة الأحزاب الآية1.

[7]- سورة المائدة الآية67.

[8]- سورة الفتح الآية29.

[9]- سورة آل عمران الآية144.

ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار"[1]، وتبعه في هذا الغرض كل من النسفي، وأبي حيان، وأبي السعود[2]. ووجه آخر ذكره العلامة الطاهر بن عاشور إذ قال: "ونداء النّبيء عليه الصّلاة والسّلام بوصف النّبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره ولذلك لم يناد في القرآن بغير (يا أيها النبيء)"[3].

الملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه هو أن في الآية نداء خرج عن وظيفته الحقيقية، وهي طلب الإقبال إلى غرض بلاغي مفاده التعظيم والتشريف باسم النبي صلى الله عليه وسلم.

وخلاصة القول أنّ البيضاوي كان تنبُهه في محله، إذ اعتبر النداء أداة من أدوات إظهار المعاني وجلائها، وهو الهدف الأكبر الذي جاء من أجله القرآن الكريم.

**خامسا: التمني:**

من أساليب الإنشاء الطلبي: التمني الذي يكون للشيء المحبوب.

**-تعريفه:**

**أ- لغة:** جاء في مقاييس اللغة: "الميم والنون والحرف المعتلّ أصل واحد صحيح، يدلّ على تقدير شيء ونفاذ القضاء به. منه قولهم: منى له الماني، أي قدّر المقدّر"[4]، وقال ابن منظور: "تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون، تمنيت الشيء، أي: قدرته، وأحببت أن يصير إلي، وتمنى الشيء أراده"[5]. كما يطلق على القراءة والتلاوة، ومنه قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ**

[1]- تفسير البيضاوي، ج4 ص244.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص14، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8 ص449 ، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج7 ص89.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج21 ص249.

[4]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5 ص276.

[5]- لسان العرب، ابن منظور، ج13 ص203.

**مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[1]. قال البيضاوي: " **تمنَّى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم"**[2]

نستنتج من هذه التعاريف اللغوية أن التمني محله القلب، إذ هو تشهّي حصول الأمر، والتشهّي محله القلب.

**ب- اصطلاحا:** التمني عند علماء البلاغة هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، ولا يشترط إمكان المتمنى بخلاف المترجى، لكن توزع في تسميته تمنى المحال طلبا بأن مالا يتوقع كيف يطلب[3]؟ وعرفه القزويني بقوله: "هو طلب حصول شيء مرغوب بشرط المحبة"[4]. أو "هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى، لاستحالة الحصول عليه، أو بعد مناله"[5]، وبعد المنال هو أمر يرجع إلى شعور النفس وإحساسها بالشيء المطلوب، فقد يكون ذلك غير بعيد في واقع الأمر، أو عند الآخرين ولكن شدة الرغبة فيه أوهمت أنه مستبعد[6]. والفرق بين التمني والترجي، أن التمني هو طلب الشيء المحبوب، ولا يشترط حصوله أو وقوعه، أما الترجي فهو ترقب حصول الشيء. ولذلك عد البلاغيون الترجي من الإنشاء غير الطلبي.

وبناء على ذلك؛ فالتمني هو طلب الشيء المحبوب الذي قد يكون مستحيلا أو بعيد الحصول، فمثال الأول قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾[7]، فإنه تمن، استعمل فيه الأداة الأصلية له، وهي (ليت)، ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿**يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[8]، فهذا الشيء الذي تمناه هؤلاء غير ممتنع عقلا، إذ لو كان ممتنعا ما كان ليحصل مثله لقارون[9]، فتمنيهم كان لشيء ممكن، إلا أنه بعيد التحقق.

---

[1]- سورة الحج الآية52.

[2] - تفسير البيضاوي، ج4 ص75.

[3]- يراجع الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3 ص221.

[4]- تلخيص المفتاح، القزويني، ص99.

[5]- البلاغة العربية في ثوبه الجديد، بكري الشيخ، ص81، علم المعاني، بسيوني، ج2 ص155.

[6]- يراجع دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة مصر ط2/(1408هـ-1987م)، ص195.

[7]- سورة النبأ الآية40.

[8]- سورة القصص الآية79.

[9]- يراجع علوم البلاغة، المراغي، ص55.

**-أدوات التمني:**

للتمني أدوات مستعملة فيه، وهي كالآتي[1]:

**1- ليت:** وهي أداة موضوعة للتمني ويكون التمني بها في أمر يصعب تحقيقه أو يستحيل[2]، وهي أداة التمني الرئيسية، وكثيرا ما تجيء في كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿**قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾[3]. وهناك أدوات أخرى خرجت عن أصل وضعها إلى معنى التمني، وهذه الأدوات هي:

**2- هل:** وهي للاستفهام، ولكنها قد تفيد التمني كما في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**﴾[4].

**3- لو:** وهي حرف شرط غير جازم، تفيد التمني حينما تخرج عن معناها الأصلي، قال تعالى: ﴿**فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[5].

**4- لعل:** وهي في الأصل للترجي، والغرض من استعمالها للتمني الدلالة على استحالة وقوع الأمر المتمنى، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ**﴾[6].

**- وظائف التمني في تفسير البيضاوي:**

لقد تحدث البيضاوي عن هذه الأداة البلاغية وهي التمني في تفسيره، وبيّن وظائفها البلاغية، ومنها:

**1- التعليل:**

ذكر البيضاوي وظيفة يخرج إليها التمني وهي التعليل، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[7]، والشاهد قوله: (لعلكم)، قال البيضاوي أي: "لكي

---

[1]- يراجع البلاغة العربية، بكري الشيخ، ص82، المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص278.

[2]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص153.

[3]- سورة مريم الآية23.

[4]- سورة الشورى الآية44.

[5]- سورة الشعراء الآية102.

[6]- سورة غافر الآية36.

[7]- سورة البقرة الآية53.

تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات"[1]، ويشير البيضاوي أن الأداة (لعل) في الآية الكريمة وظيفتها التعليل، أي: رجاء حصول هدايتكم، وعدل عن لام التعليل، إيماء إلى أن هدايتهم مع ذلك أمر يتطرقه احتمال الرحوع. وإلى هذا المعنى ذهب جل علماء التفسير، ومن أشهرهم: النسفي، وأبو حيان[2]. والوظيفة البلاغية المستفادة من التمني بالأداة (لعل) إنما هو إبراز المتمني في صورة الممكن القريب للحصول على الهداية، لأن الترجي ممكن الحصول.

**2 – الندم:**

المقصود بهذه الوظيفة أن التمني أفاد الندم، كقوله تعالى: **﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾**[3]، يقول البيضاوي: "كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يهلك الله بستانَه، ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما سبق منه"[4]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الأداة (ليت) في الآية الكريمة أفادت الندم، حيث يقول ذلك الكافر تأسفًا على تلف ماله: يا قوم أتمنى عدم إشراكي بالله أحدًا من المخلوقات. وهذا ما صرح به جماعة من أهل التفسير في كتبهم، فمن ذلك الزمخشري، والرازي، والنسفي[5]. ونستنتج أن التمني في الآية الكريمة خرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة أخرى وهي الندم.

**3– الاستحياء:**

ومثال ذلك قوله تعالى: **﴿قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾**[6]، قال البيضاوي: "استحياء من الناس ومخافة لومهم"[7]، وقال الرازي: "تمنّت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه

[1]– تفسير البيضاوي، ج1 ص80.

[2]– يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص89، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص327.

[3]– سورة الكهف الآية42.

[4]– تفسير البيضاوي، ج3 ص282.

[5]– يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص724، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج21 ص465، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص302.

[6]– سورة مريم الآية23.

[7]– تفسير البيضاوي، ج4 ص8.

به ومن حقّه أن ينسى في العادة"[1]، وأشار إلى هذا الغرض أبو حيان بقوله: "وتمنّت مريم الموت من جهة الدّين إذ خافت أن يظنّ بها الشّرّ في دينها وتعيّر فيغبنها ذلك"[2]ن وأومأ إلى هذا القول القاسمي، إذ قال: "وإنما قالت ذلك، لما عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد. فلحقها فرط الحياء وخوف اللائمة إذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة، وبضد ما قرفت به، من اختصاص الله إياها بغاية الإجلال والإكرام"[3].

نستنتج من هذه الأقوال أن جُلّ المفسرين اتفقوا على أن التمني خرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة بلاغية وهي الاستحياء.

وبهذا نستنتج أنّ البيضاوي قد أدرك بحسه البلاغي سمات التعبير القرآني، وما يحويه من وظائف وأسرار بلاغية، كما نلحظ أن التمني في تفسير البيضاوي من أصغر المباحث في الإنشاء الطلبي.

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج21 ص524.

[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7 ص246.

[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج7 ص91.

# المبحث الثالث: التقديم والتأخير

## توطئة:

التقديم والتأخير هو أحد أركان علم المعاني؛ لأن المعنى مرتبط به ارتباطا كبيرا، ولكل جملة مقام يناسبها، فمقام الجملة الفعلية مجرد الإخبار عن القيام، ومقام الجملة الاسمية تأكيد الإخبار عن القيام مع إفادة التخصيص.

## -تعريف التقديم والتأخير لغة واصطلاحا:

**أ- لغة:** إن المعاجم اللغوية ذكرت معان مختلفة لمادة (قدم)، فالفراهيدي (ت175هـ) يقول: "القَدَمُ: ما يطأ عليه الإنسان من لدن الرسغ فما فوقه. والقُدْمَة والقَدَمُ أيضاً: السابقة في الأمر، وقوله تعالى: ﴿**لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾[1]، أي: سبق لهم عند الله خير. وتقول: قدم يقدم. وقدم فلان قومه، أي: يكون أمامهم، يقْدم قومه يوم القيامة من هاهنا، والقدم: المضي..."[2]، وقال ابن فارس: "القاف والدّال والميم أصل صحيح يدلّ على سبق ورعف ثمّ يفرّع منه ما يقاربه: يقولون: القدم: خلاف الحدوث. ويقال: شيء قديم، إذا كان زمانه سالفا. وأصله قولهم: مضى فلان قدما: لم يعرّج ولم ينْثن"[3]، وجاء في اللسان: "قدم يقدم وتقدم يتقدم وأقدم يقدم واستقدم يستقدم بمعنى واحد، والقدم والقدمة: السابقة في الأمر..."[4]، أي السبق والتقدّم.

أما التأخير لغة: قال ابن فارس: "الهمزة والخاء والرّاء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التّقدّم. والآخر نقيض المتقدّم. والأخر نقيض القدم، تقول مضى قدما وتأخّر أخرا"[5]، والمقصود هنا أنّ التأخّر خلاف التقدّم.

---

[1]- سورة يونس الآية2.

[2]- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج5 ص122.

[3]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5 ص65.

[4]- لسان العرب، ابن منظور، ج12 ص466.

[5]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج1 ص70.

**ب- اصطلاحا:** يعدّ عبد القاهر الجرجاني من الأوائل الذين فصّلوا في التقديم والتأخير، حيث يقول: "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنّك تقتفي في نظمها ترى المعاني وترتبها حسب ترتب المعاني"[1]، ويوضّح وظيفته البلاغية، حيث يقول: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف ليك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان"[2].

أمّا الزركشي يرى أن التقديم والتأخير: "هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق"[3]، ويقول البغدادي: "هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة"[4]، ويذهب ابن جني إلى أن التقديم من شجاعة العربية، وقد اعتبر فاعل ذلك مثل مجرى الجموح بلا لجام، ووارد الحرب من غير احتشام[5]. لأن تقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى آخر يغاير المعنى، وهو أمر يتم وفق أسس وضوابط وأغراض، يقصد إليها اللغوي المتمرس الخبير بطرق الكلام، البصير بالأساليب والصياغات[6].

والبلاغيون يهتمون في الغالب بالتقديم الذي يختص به دلالة الألفاظ على المعاني، أي: بدلالة الجملة على معناها، أكثر مما يهتمون بالتقديم الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر، لاختصاصه بما يوجب له ذلك، كما صنفه ابن الأثير[7]. والخليل يستحسن بعض التقديم، ويستقبح بعضه، وإن لم يذكر السر البلاغي للتقديم، على خلاف سيبويه الذي ذكر أن وظيفة التقديم البلاغية هي العناية والاهتمام، أو التنبيه عليه، وشرح السيرافي المراد من استقباح النحاة

---

[1]- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص49.

[2]- المصدر نفسه، ص106.

[3]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص233.

[4]- الإكسير في علم التفسير، الطوفي البغدادي، تحقيق عبد القادر حسين، دار الأوزاعي1989م، ص189.

[5]- يراجع الخصائص، ابن جني، ج2 ص392.

[6]- يراجع من بلاغة النظم القرآني، بسيوني عبد الفتاح، مطبعة الحسين الإسلامية القاهرةط/1(1413هـ-1992م)، ص75.

[7]- يراجع المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص38.

لبعض التقديم بقوله: "معنى ذلك أنه قد تكون أغراض الناس في فعل ما، أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه به...وهذا الكلام إنما هو على قدر عناية المتكلم وعلى ما ينسح له وقت كلامه..."[1]، والذي يبدو لنا أن التقديم والتأخير قرين تحويل اللفظ من مكان إلى آخر، وهو الأصل فيه، وهذا التغير يفترض وجود أصل للكلام يحول عنه، وتكون آلية التقديم والتأخير بمثابة قائمة للتحولات التي يمكن أن تنتج عن التغير الحادث في القاعدة الأصل، إذ التقديم والتأخير هو الانحراف عن هذه القاعدة.

**أسباب التقديم والتأخير:**

هناك أسباب كثيرة للتقديم والتأخير ولعل أهمّها ما جاء في مصنفات العلماء والدارسين، والغرض من التقديم والتأخير العناية والاهتمام، وهذا ما ذكره سيبويه حين قال: "يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى"[2]، ونجد السكاكي يبيِّن لنا أهم الوظائف التي تستدعي تقديم (المسند إليه) على (المسند)، عندما يكون ذكر المسند إليه أهم من المسند حيث يقع لاعتبارات مختلفة[3]:

1- أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه.

2- الهدف من تقديمه تشويق للسامع إلى الخبر، ليتمكن في ذهنه إذا أورده.

3- التخصيص.

4- تقوية الحكم وتقريره.

ونقل عن الزركشي خمسة أسباب للتقديم وهي[4]:

**1**- أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾[5]، فإنه لو أخر قوله: (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) فلا يفهم أنه منهم.

---

[1]- شرح كتاب سيبويه، السيرافي، تحقيق رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة1990م، ج2 ص274.

[2]- الكتاب، سيبويه، ج1 ص34.

[3]- يراجع مفتاح العلوم، السكاكي، ص194.

[4]- يراجع البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص274، 276.

[5]- سورة غافر الآية38

**2**- لعظمه واهتمام به، كقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[1].

**3**- أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به، كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ**﴾[2]، بتقديم الجار على المفعول الأول.

**4**- أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور كتقديم المفعول الثاني على الأول، كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ**﴾[3].

**-وظائف التقديم والتأخير في تفسير البيضاوي:**

ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني أن العلماء يؤكدون أن الوظيفة الأساسية في التقديم هي العناية والاهتمام بالمقدم، لأن التقديم يلعب دورا مهما في تحديد المعنى المراد من العبارة، ولأهمية هذه الأداة عني البلاغيون والمفسرون به عناية فائقة، فرصدوا أنواعه وأقسامه، وتتبعوا أسبابه ومقتضياته، على اختلاف بينهم في طريقة تناول هذه الأداة، وغالب الذين ساروا على طريقة السّكاكي في التأليف تناولوا التقديم والتأخير في أحوال المسند إليه، ثم في أحوال المسند، ثم في أحوال الفعل مع متعلقاته[4].

وقد أشار البيضاوي إلى هذه الأحوال في تفسيره، وبيَّن الوظيفة البلاغية منها، ومن هذه الوظائف التي تمخضت عنها ظاهرة التقديم هي التشويق إلى ذكر المؤخر، والتخصيص، والتأكيد وتقوية الحكم، وتعجيل المسرة، والتحقير، والفخر، والتعظيم، ومراعاة الفواصل، ومراعاة النسق الصوتي، إلي غير ذلك من الوظائف البلاغية، ومن هذه الوظائف ما يلي:

## أولا: ما تعلق بالمسند إليه:

وهو المخبر عنه، أو صاحب الأمر المتحدث عنه، وهو المبتدأ أو ما يقوم مقامه في الجملة الاسمية، والفاعل أو ما قام مقامه في الجملة الفعلية، ومن وظائفه في تفسير البيضاوي ما يلي:

---

[1]- سورة البقرة الآية43 .

[2]- سورة الأنعام الآية100.

[3]- سورة الأنعام الآية100.

[4]- يراجع البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص303، معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج2 ص329.

### 1- التفخيم والتعظيم:

وتأتي هذه الوظيفة من التقديم والتأخير للمبالغة في التعظيم عن أهمية المتقدم، كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "وتقديم اسم اللَّهِ للمبالغة والتعظيم كما في قولك أعجبني زيد وكرمه أو بعد حديث اللَّهِ وهو القرآن"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن تقديم المسند إليه، اسم الجلالة (الله) هو القادر دون غيره، لأَنَّ هَذَا الْمَقَامُ مَقَامُ تَعْظِيمٍ وَاخْتِصَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى سُبْحَانَهُ، لهذاصرح باللفظ الصريح في هذه الآية الكريمة.

وقد بيّن هذه الوظيفة الزمخشري، إذ قال: "وإيقاع اسم (الله) مبتدأ وبناء نَزَّلَ عليه: فيه تفخيم لأحسن الحديث، ورفع منه، واستشهاد على حسنه، وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه، وتنبيه على أنه وحى معجز مباين لسائر الأحاديث"[3]، وتبعه النسفي، وأبو السعود[4]، وأومأ إلى هذا القول أبو حيان بقوله: "والابتداء باسم اللّه، وإسناد نزّل لضميره مبنيّا عليه فيه تفخيم للمنزّل ورفع منه، كما تقول: الملك أكرم فلانا، هو أفخم من: أكرم الملك فلانا.و حكمة ذلك البداءة بالأشرف من تذكّر ما تسند إليه، وهو كثير في القرآن"[5]، كقوله: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**﴾[6]، أي: يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره"[7]

نستخلص من هذه الأقوال أن جميع المفسرين اتفقوا على أن الوظيفة البلاغية من تقديم المسند إليه (اسم الجلالة الله) للتعظيم والتفخيم.

---

[1]- سورة الزمر الآية23.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص105.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص122.

[4]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج9 ص194، إرشاد العقل السليم، أبو حيان الأندلسي، ج7 ص251.

[5]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج9 ص194.

[6]- سورة الحج الآية75.

[7] - تفسير ابن كثير، ج5 ص398.

### 2- المبالغة في الاختصاص:

والمقصود بهذه الوظيفة أنّ المسند إليه ليس هو الذي وقع منه هذا الفعل، ولكن هذا الفعل وقع من غيره[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "متعلقة بالفعل على معنى الابتداء، وفائدتها التحقير دون التخصيص. (هُمْ يُنْشِرُونَ) الموتى وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الإلهية، فإن من لوازمها الاقتدارعلى جميعالممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم، وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الإنشار بهم"[3]، ويستشف من كلام البيضاوي أنّ تقديم المسند إليه (المبتدأ) في الآية الكريمة أخص شيء لأنّه ضمير (هم). وأيضا فلا ينبغي على ذلك إلزامهم حصر الألوهية فيهم، وتخصيص الانشار بهم، ونفيه عن الله تعالى، إذهذا لايناسب السياق.

وتساءل الزمخشري عن سبب تقديم الضمير، فقال: "النكتة فيه إفادة معنى الخصوصية، كأنه قيل: أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدهم"[4]، وتبعه أبو حيان[5]، ويرى النسفي أنّ تقديم المسند إليه الضمير(هم) على الفعل (ينشرون) للتوبيخ، إذ يقول: "زيادة توبيخ وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحي الموتى وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات انه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار لأن العاجز عنه لا يصح أن يكون إلهاً إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات"[6]، غير أن أبا السعود يرى أن تقديم الضمير (هم) لغرض التنبيه، إذ يقول: "ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما أشيرَ إليهِ من التنبيه على كمال مباينةِ حالهم للإنشار الموجبةِ لمزيد الإنكار كما في قوله تعالى: ﴿**أَفِي اللهِ شَكٌّ**﴾[7]، فإن تقديمَ الجارِّ والمجرورِ للتنبيه على كمال مباينةِ أمرِهِ تعالى، لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من مستتبعات ادّعائهم الباطل، لأن الألوهية مقتضيه للاستقلال

---

[1] - يراجع أساليب البيان في علوم البلاغة، فضل حسن، 98.

[2] - سورة الأنبياء الآية21.

[3] - تفسير البيضاوي، ج4 ص48.

[4] - الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص108.

[5] - يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7 ص417.

[6] - مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص399.

[7] - سورة إبراهيم الآية10.

بالإبداء والإعادة فحيث ادَّعَوا للأصنام الإلهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلالَ بالإنشار كما أنهم جعلوا بذلك مدّعين لأصل الإنشار"[1].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه هو أن هناك اختلاف في وظيفة تقديم المسند إليه، إلا أن البيضاوي فسّرها بالغرض البلاغي الذي يتمثل في الاختصاص.

## 3- التشويق إلى الكلام المتأخر والمسند إليه هو الأصل:

ومن وظيفته أن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أن تشوق المخاطب إلى معرفة المسند[2]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[3]، ويقول البيضاوي: "فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الأشخاص، فمن أراد شرفاً فليلتمسه منها"[4]، ويشير البيضاوي إلى هذه الآية الكريمة فيها تقديم المسند إليه (أَكْرَمَكُمْ) على المسند (أَتْقَاكُمْ)، والقيمة البلاغية من هذا التقديم التشويق، لأن المخاطبين يستعجلون معرفة الخبر، ولا سيما أنهم يحسبون أن الكرم هو البذل، ولكنه هنا شيء آخر، إنه التقوى، فتقديم اسم التفضيل شوّق المخاطب لمعرفة من هو أكرم عند الله، وتبقى نفسه متأملة لذلك الكريم الذي فضّل عنده تعالى، وعند مجيء (المسند) التذت النفس به، لأنه جاء بعد تشويق ورغبة.

ووجه آخر ذكره أبو حيان إذ قال: "تعليل للنّهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقيّ، كأنّه قيل إنّ الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإنْفاخرتم ففاخروا بالتقوى، قيل لم لا تتفاخروا بالأنساب فقيل لأنّ (أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكُم) لا أنسبُكم فإنَّ مدارَ كمالِ النفوس وتفاوت الأشخاص هُو التَّقوى"[5].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن في الآية الكريمة تقديم، ووظيفته أنه أثّر في إظهار معنى النص وصورته التفسيرية وتبيان المقصود منه.

---

[1]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص61.

[2]- يراجع أساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، ص96.

[3]- سورة الحجرات الآية13.

[4]- تفسير البيضاوي، ج5 ص137.

[5]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص123.

## 4- تقوية الحكم:

والمقصود بهذه الوظيفة أن يؤكد إسناد الخبر إلى المسند إليه فقط، ولا ينفيه عن غيره، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يعْلَمُونَ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه"[2]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يبن وظيفة التقديم في هذه الآية الكريمة، حيث أنهم يعلمون كذبهم، فهم ينكرون الكذب، وينكرون أيضا علمهم بكذبهم، ومعلوم أن الإنكار يقتضي توكيد الحكم، ومن أجل ذلك قدّم المسند إليه (هم)، على فعله الخبري (يعلمون)، كما جاء أيضا المسند إليه مثبتا لا منفيا، وهذا لا يفيد التخصيص، لأنه يثبت أن هذا التأكيد ليس لليهود فقط، وإنما لغيرهم من الناس كذلك.

وقد أشار إلى هذا الغرض أبو حيان بقوله: "ردّ عليهم في إخبارهم بالكذب، وهذا تأكيد لقوله وما هو من الكتاب نفي أوّلا أخصّ، إذ التّعليل كان لأخصّ، ونفي هنا أعمّ، لأنّ الدّعوى منهم كانت الأعم"[3].

ومثال ذلك أيضا قوله سبحانه: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾[4]، والشاهد قوله: (وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ)، ويقول البيضاوي: "لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين"[5]، ويفهم من كلام البيضاوي أن المؤمنين لا يحبون هذه الصفة، ولهذا قدّم المسند إليه لفظ الجلالة (الله) على الخبر الفعلي تقوية وتأكيدا للحكم.

وقد وضّح هذا أبو حيان إذ قال: "محسنا صالحا، بل يريده مسيئا فاجرا، ويحتمل أن يريد: واللّه لا يحبّ توفيق الكفّار الأثيم"[1]، أما الشوكاني يرى أن التقديم في هذه الآية الكريمة يفيد التخصيص، حيث يقول: "لا يرْضى، لأنّ الْحبّ مخْتصّ بالتّوّابين، وفيه تشْديد وتغْليظ

---

[1]- سورة آل عمران الآية78.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص25.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص224.

[4]- سورة البقرة الآية276.

[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص162.

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص710.

عظيم على منْ أرْبى حيْث حكم عليْه بالْكفْر، ووصفه بأثيم للْمبالغة"[1]. وقد أشار البلاغيون أن تقديم المسند إليه في الإثبات يفيد تقوية الحكم وتأكيده.

والملاحظ من أقوال المفسرين أن ما أشار إليه البيضاوي أولى، لأن تقديم المسند إليه لفظ الجلالة (الله) على خبره الفعلي (لا يحب)، يعطي وظيفة بلاغية وهي تأكيد الحكم وتقويته.

**ثانيا: تقديم المسند في تفسير البيضاوي ووظائفه البلاغية:**

إنّ تقديم المسند على المسند إليه يترتب عليه وظائف جمّة منها:

**1- الاختصاص:**

وهو الوظيفة الأساسية في التقديم والتأخير، أي قصر المتأخر على المتقدم دون غيره، كقوله تعالى: ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، والشاهد قوله: (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ)، ويقول البيضاوي: "قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة"[3]، ويستشف من كلامه أن قيمة هذا التقديم في ضوء السياق، أن الآية الكريمة تتحدث عن عظمة الخالق ومنزلته، وهذا المقام هنا مقام تعظيم وتقديس، وأن هذه الأمور كلها مقصورة على الله تعالى دون غيره، لا تسبيح إلا لله، ولا ملك إلا له، أي: لا يتجاوزه إلى غيره.

وقد وضّح هذا الزمخشري إذ قال: "قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك لأنّ الملك على الحقيقة له، لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه، والقائم به، والمهيمن عليه، وكذلك الحمد، لأنّ أصول النعم وفروعها منه"[4]، وتبعه في هذا الغرض كل من الرازي، والنسفي، وأبي حيان، والشوكاني[1]، في أنّ التقديم في هذه الآية الغرض منه التخصيص.

---

[1]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص340.

[2]- سورة التغابن الآية1.

[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص217.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص545.

[1]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج30 ص551، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص490، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج10 ص188، فتح القدير، الشوكاني، ج5 ص280.

نستنتج من هذه الأقوال أن جل المفسرين اتفقوا على أن في هذه الآية الكريمة تقديم وتأخير، حيث قدّم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص، وإزاحة الشبهة بالكلية.

**2- وظيفة العناية والاهتمام:**

والمقصود بهذه الوظيفة أنّ المقدّم عندهم هو ما كان موضع الاهتمام، وما كانت العناية به أشد، ولم نجدهم اعتمدوا شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام"[1]، ومنه قوله تعالى: **﴿أَكانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾**[2]، والشاهد قوله: (عجبا)، ويقول البيضاوي: "خبر كان واسمه: (أَنْ أَوْحَيْنا)، واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن تقديم المسند (عجبا) خبر كان، على المسند إليه (أَنْ أَوْحَيْنا) وهو المصدر المؤول من (أن) والفعل، والمعنى: أكان وحينا عجبا للناس. وأومأ إلى هذه الوظيفة أيضا أبو السعود، بقوله: "(أَنْ أَوْحَيْنَا) اسم كان قدّم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدار الإنكار والتعجيب وتشويقا إلى المؤخّر"[4].

والوظيفة من هذا التقديم لإبراز الاهتمام بالخبر والاعتناء به، والسبب في ذلك أيضا تقديم الاستفهام عليه وهو (أكان للناس). والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا للزمخشري، والرازي، وتبعه في هذا الغرض أيضا كلّ من النسفي، وأبي حيان[5]، في أنّ الغرض من تقديم المسند هو للاهتمام.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين هو أنّ في الآية الكريمة تقديم المسند وتأخير المسند إليه لوظيفة بلاغية، وهي العناية والاهتمام.

---

[1] - يراجع بلاغة التراكيب -دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، مكتبة الآداب القاهرة، ص118.

[2] - سورة يونس الآية2.

[3] - تفسير البيضاوي، ج3 ص104.

[4] - إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج4 ص116.

[5] - يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص327، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج17 ص186، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص5، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص7.

**3- التنبيه على الخبرية:**

والمقصود بهذه الوظيفة أن تقديم المسند للتنبيه على أنه خبر، حتى لا يلتبس بالصفة[1]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2]، والشاهد قوله: (وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ)، ويقول البيضاوي: "كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده، لذا يحتمل أن يكونا خيرين لحياة وأن يكون أحدهما خبراً والآخر صلة له"[3]، ويشير البيضاوي أن تقديم المسند (في القصاص) أقوى من الصفة في وظيفته، لأن المسند ركن في الجملة، والصفة ليست كذلك.

والملاحظ أن هذا الكلام أشار إليه أيضا أبو السعود في تفسيره، والألوسي في روح المعاني[4]. وبهذا نستنتج من أقوال المفسرين أنّ في الآية الكريمة تقديم، والوظيفة من هذا التقديم التنبيه على الخبرية.

**ثالثا: تقديم متعلقات الفعل في تفسير البيضاوي:**

والمراد بمتعلقات الفعل هي الزمان والمكان الذي يقع فيهما الفعل، والجار والمجرور، والحال والمفعول[5]، وقد بيّن ابن جني الهدف من تقديم المفعول فقال: "والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له، حتى إنه إذا أخر فموضعه التقديم"[1]، وتقدّم متعلقات الفعل على بعضها لوظائف بلاغية يَتقوّى بها المعنى ويتّضح، ومن بين هذه الوظائف ما يلي:

---

[1]- يراجع أساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، ص108، المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص215، 216.

[2]- سورة البقرة الآية179.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص122.

[4]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص196 ، روح المعاني، الألوسي، ج1 ص448.

[5]- يراجع أساليب البيان، حسن عباس، ص110.

[1]- الخصائص، ابن جني، ج1 ص287.

## 1- الاختصاص والاهتمام:

والوظيفة من هذا التقديم والتأخير هي الاهتمام مرة، والاختصاص مرة ثانية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[1]، والشاهد قوله: (إِيَّاكَ نعْبُدُ)، ويقول البيضاوي: "يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة، ليكون أدل على الاختصاص، وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود"[2]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يبين لنا أن السبب في تقديم ضمير المنفصل (إياك) وهو المفعول به، على المسند (نعبد) والمسند إليه، من أجل إفادة التخصيص والاهتمام، أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة.

ومما يعزّز وظيفة هذا التقديم قول الزمخشري: "وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص"[3]. وأومأ إلى هذا القول النسفي، فقال: "وتقديم المفعول لقصد الاختصاص والمعنى نخصك بالعبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ونخصك بطلب المعونة"[4]. وذكر هذ الوجه أبو حيان، إذ قال: "فالتّقْديم عنْدنا إنّما هو للاعْتناء والاهْتمام بالْمفْعول"[5]. ومن هنا كانت وظيفة التقديم قصر العبادة والاستعانة على الله وحده، وهذا ما أفادته أداة التقديم لإعطاء النص القوة والمتانة وتخصيص المسند بالمفعول وقصره عليه.

## 2- إنكار المعنى واستبعاده:

والمقصود بهذه الوظيفة تقديم المفعول للمسارعة إلى إنكار المعنى واستبعاده، كقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾[1]، والشاهد قوله: (بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، ويقول البيضاوي: "استبعاد عدولهم بعد هذا البيان، والباء على الأول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الإنكار على نفس

---

[1]- سورة الفاتحة الآية5.
[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص28.
[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص3.
[4]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص31.
[5]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1 ص42.
[1]- سورة الأنعام الآية1.

الفعل، وعلى الثاني متعلقة بـ: يَعْدِلُونَ والمعنى أن الكفار يعدلون بربهم الأوثان أي يسوونها به سبحانه وتعالى"[1]، ويستشف من كلام البيضاوي أن تقديم الجار والمجرور (بربهم) على الفعل والفاعل (يعدلون)، لوظيفة بلاغية الغرض منها تحقيق الإنكار والاستبعاد.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري من قبل، إذ قال: "وضع الظاهر الذي هو بِرَبِّهِمْ موضع المضمر تفخيما وتعظيما. وأصل الكلام: الذي يعدل به الذين كفروا، أو الذين كفروا يعدلون به، باتساع وقوعها صلة، رعاية لهذا الأصل"[2]، واستحسن هذا الكلام النسفي[3]، وأومأ إلى هذا الكلام أبو السعود، إذ قال: "والتقديم لمزيد الاهتمامِ والمسارعةِ إلى تحقيق مدارِ الإنكار والاستبعادِ والمحافظةِ على الفواصل وتركُ المفعولِ لظهوره أو لتوجيه الإنكارِ إلى نفس الفعل يتنزيله منزلةَ اللازم إيذاناً بأنه المدارُ في الاستبعاد والاستنكار"[4]. ويرى الشوكاني أنّ التقديم والتأخير في الآية للاهتمام، فقال: "وتقديم المفعول للاهتمام، ورعاية الفواصل، وحذف المفعول لظهوره أي: يعدلون به ما لا يقدر على شيء ممّا يقدر عليه، وهذا نهاية الحمق وغاية الرّقاعة حيث يكون منه سبحانه تلك النّعم، ويكون من الكفرة الكفر[5]، وغاية ذلك التقديم والتأخير هو الاهتمام.

والذي توصلنا إليه من خلال هذه الأقوال، أنّ ما ذكره البيضاوي هو الأولى، لأنّ الغاية من هذا التقديم إنكار المعنى واستبعاده، وليس لمراعاة الفواصل.

### 3- الاهتمام ومراعاة الفاصلة:

والمقصود بهذه الوظيفة أنّ الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم، ولولاها لما تبيّن المنظوم من المنثور. ولا خفاء أنّ الكلام المنظوم أحسن، فثبت بذلك أنّ الفواصل من محاسن المنظوم، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه، وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[2]، ويقول البيضاوي: "وتقديم المفعول

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج2 ص153.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص3.

[3]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص489.

[4]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص104.

[5]- فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص112.

[1]- يراجع الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج20 ص207.

[2]- سورة البقرة الآية3.

للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس الآي، وإدخال من التبعيضية عليه لمنع المكلف عن الإسراف المنهي عنهلمنع المكلف عن الإسراف المنهي عنه"[1]، ويفهم من كلام البيضاوي أنه قدم المفعول به (مما) على الفعل والفاعل (ينفقون) ، من أجل الاهتمام بشأن المنفق، أومراعاة لفواصل الآيات، وهي الآية التي سبقتها كقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ﴾، والتي بعدها كقوله: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ في الحرف الأخير (النون).

وقد وضّح البيضاوي هذا في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾[2]، جيث يقول: "وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها في النفوس، فإن الأمر فظيع. أو مراعاة للفواصل، أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم تحومون حول قتل محمد صلّى الله عليه وسلّم، لولا أني أعصمه منكم"[3]، ويشير البيضاوي أن في الآية تقديم، لأن أصلها (وفريقا قتلتم)، لكن لما كانت فواصل السورة مبنية على وجود حرف المد (الواو) قبل الحرف الأخير في الكلمة، كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[4]، وبعدها في قوله تعالى: ﴿**فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾[5]، عدل عن ذلك الأصل في الآية الكريمة في قوله (**وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**) مراعاة لفواصل الآيات، وعقّب الشهاب في حاشيته على كلام البيضاوي، قال: "إنما جيء ب (يقتلون) موضع (قتلوا) يعني: إن كذبوا على أصله، وعدل في يقتلون إلى المضارع لقصد الاستحضار، ولم يقصد الزمخشريّ وجه الاستمرار الذي ذكره هناك، وهو أنهم بعد يحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّ هذا خبر عن أسلافهم وإنما يستقيم ذلك في المخاطبين كما في تلك الآية، ولم يقصد ذلك في التكذيب لمزيد الاهتمام بالقتل، والمصنف رحمه الله تعالى ذكر الاستمرار، وأدخل المخاطبين فيه لأن ما صدر عن أسلافهم كأنه صدر منهم لارتضائهم واقتفائهم أثرهم، ولا منافاة بين استحضار الحال الماضية، والاستمرار لأنه لما قدر أنه شوهدت تلك الحال واستمرارها فيهم

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج1 ص39.

[2]- سورة البقرة الآية87.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص92.

[4]- سورة البقرة الآية86.

[5]- سورة البقرة الآية88.

عبر عنها بالمضارع لذلك فلا يقال الظاهرأو تنبيهاً للمنافاة بينهما لكن الظاهر المغايرة بينهما لأنّ المراد إما حكاية الحال الماضية أو الاستمرار"[1].

وهذا ما صرّح به جماعة من أهل التفسير في كتبهم، منهم ابن عطية إذ قال: "وَفَرِيقاً مفعول مقدم"[2]، وكذلك ذكر نحوه النسفي إذ قال: "ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل"[3]، وتبعه أبو السعود، والطاهر بن عاشور[4]، بأنّ الغرض من تقديم المفعول لمراعاة الفواصل.

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه هو: أن في الآية الكريمة، تقديم المفعول به (فريقا) على فعله (تقتلون)، لوظيفة بلاغية، والغرض منها مراعاة الفواصل حت تكتمل بذلك بلاغة المعنى وحسن النظم، ولتقع في الأسماع موقعا حسنا، فتتأثر نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل.

وخلاصة القول أن هناك شواهد كثيرة ذكرها البيضاوي في تفسيره، كما نجده يتفق مع البلاغيين في باب التقديم والتأخير، ويتفق معهم أيضا في تطبيق الكلام على مقتضى الحال.

---

[1]- حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي، الْمسمّاة: عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي المصري، دار صادر بيروت، ج3 ص268.

[2]- المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1 ص176.

[3]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص107.

[4]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج7 ص100، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص592.

# المبحث الرابع: الحذف

## توطئة:

يعتبر الحذف ظاهرة نحوية تتمثل في إسقاط كلمة أو جزء منها، دون الإخلال بالتركيب ومع بقاء قرينة دالة يترك أثرا عند المتلقي، واللغة العربية تزخر بأنواعه وصوره وهو ما ينطبق على لغة القرآن الكريم، فهو يمثل أعلى صور البلاغة وأبلغ معاني القول.

إنّ حذف أي عنصر من عناصر التركيب اللغوي يستدعي من التلقي أو المخاطب رصد موضعه وتعقبه في الكلام كي يستقيم السياق النحوي، والدلالي للتركيب، وبالتالي تشوق نفس المخاطب أو المتلقي للبحث وراء الدفع الموجب لهذا الحذف.

كما يعدّ الحذف ظاهرة بارزة في اللغة العربية نحوا ومعنى، وذلك لاقتضائه وتوقفه على أمرين، وجود قرينة تدل على المحذوف، ووجود المرجح له، فأما الأمر الأول فمرجعه إلى علم النحو، إذ لا يصح الحذف أبدا إلا بتوافر القرائن عليه، وأما الأمر الآخر فمرجعه إلى المعنى، لأنه لا يكون حذف من دون توافق معه.

بيد أنّ علامة الإعراب قد تكون قرينة مهمة على نوع المحذوف اسما كان أو فعلا، فإن لكل ذلك صلة بالمعنى وأثرا في البيان، فالاسم مثلا إن كانت علامته رفعا طلب تقديرا مختلفا عما يطلبه الاسم المنصوب، ويعني بذلك أن تعيين المحذوف أمر تفرضه قرائن النحو، ويطلبه المعنى والسياق. فلكل قرينة وتقدير ضرب من المعنى.

**-مفهوم الحذف:**

**أ- الحذف اللغة:** الأصل اللغوي لمادة (ح ذ ف) هو دلالتها القطع والإسقاط، يقول ابن منظور: "حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه، حذف رأسه بالسيف حذفا: ضربه فقطع منه قطعة، ومنه حذفت من شعري، أي: أخذت"[1]. وإسقاط الشيء أو قطعه هما بمعنى واحد، لأنهما يعنيان أخذ جزء من الشيء أو إلغاؤه.

**ب- اصطلاحا:** أورد علماء البلاغة تعاريف جمة ومتنوعة لمصطلح الحذف من الناحية الاصطلاحية، اختلفت لفظا وعبارة، واتفقت مضمونا ومعنى. ومن هذه التعاريف ما ذهب إليه

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج3 ص39.

(الزركشي) حيث عرّفه بقوله: "الحذف إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامهما، أو هو عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه"[1]. وذكر الباقلاني بقوله: "هو إسقاط للتخفيف، كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قرْآنًا سُيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا**﴾[2]، كأنه قال: لكان هذا القرآن، والحذف أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب"[3]. ويقول ابن جني: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا دليل عليه"[4]، ويشير ابن جني أنّ كل حذف لا بدّ له من دليل.

أمّا عبد القاهر الجرجاني فقط أطلق مقولته المشهورة بأنّ الحذف "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنكترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[5]، وعرفه العلوي بقوله: "اعلم أن مدار الإيجاز على الحذف؛ لأن موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بل أقول: لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مسترك مسترذل، ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة، ولابد من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغوا من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفا بحال"[1]، والدلالة على المحذوف عنده من جهتين[2]:

1- إحداهما من جهة الإعراب على معنى أن الدال على المحذوف هو طريق الإعراب، وهذا كقولك: أهلا وسهلا، فإنه لابد لهما من ناصب ينصبهما يكون محذوفا لأنهما مفعولان في المعنى.

---

[1]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص102.

[2]- سورة الرعد الآية31.

[3]- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ص133.

[4]- الخصائص، ابن جني، ج2 ص360.

[5]- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ج1 ص146.

[1]- الطراز، العلوي، ج2 ص51.

[2]- يراجع المصدر نفسه، ج2 ص52.

2- لا من جهة الإعراب، وهذا كقولنا: فلان يعطى ويمنع، ويصل ويقطع، فإن تقدير المحذوف لا يظهر من جهة إعرابه، وإنما يكون ظاهرا من جهة المعنى؛ لأن معناه فلان يعطى المال، ويمنع الذمار، ويصل الأرحام، ويقطع الأمور برأيه ويفصلها، ثم الإيجاز تارة يكون بحذف الجمل، ومرة بكون بحذف المفردات، وأخرى من غير حذف.

ومن خلال هذه التعاريف نستشف أنّ الحذف هو إسقاط عنصر من عناصر التعبير سواء كان كلمة أو جملة أو أكثر، على أن يكون الإسقاط لوظيفة من الوظائف البيانية، مع وجود قرينة تدل على المحذوف، وعلى هذا فالقرائن السياقية هي التي تسوغ الحذف، فلا بد من وجود دليل حتى لا يكون الكلام مختلا، وحتى يتمكن السامع من الفهم الصحيح، والغايات التي يرومها المتكلم من وراء الحذف كثيرة، إذ يقصدها للإيجاز والاختصار، وطلب الخفة،والاتساع في الكلام[1]، فضلا عن وظائف أخرى ذات دلالات معنوية كالتحقير والإبهام والبيان والتعدد والتهويل والتفخيم والتعظيم وغير ذلك[2]، فيتمُّ الحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال في ذكرها.

**-الحذف بين القدماء والمحدثين:**

يعنى النحويون بالصناعة اللفظية وتحليل ألفاظ الكلام وبيان العلاقة بين تلك الألفاظ من فاعلية، ومفعولية، وسوى ذلك، والكلام يتركب عندهم من أجزاء متلازمة، فما لم يكن منها ظاهرا ملفوظا فهو مقدّر، وفي ذلك يقول يقول سيبويه: "هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض: اعلم أنهم مما يحذفون الكلم -وكان أصله في الكلام غير ذلك- ويحذفون ويُعوّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا"[1].

ولقد بيّن ابن هشام الأنصاري بشكل دقيق الحذف الذي يجب أن يركز عليه النحويون على بيانه في قوله: "الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبرا بدون مبتدأ، أو بالعكس، أو شرطا بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفا بدون معطوف

---

[1]- يراجع الكتاب، سيبويه، ج1 ص211، 212.

[2]- يراجع الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج2 ص190، 191.

[1]- الكتاب، سيبويه، ج1 ص24، 25.

عليه، أو معمولا بدون عامل، نحو قوله تعالى: ﴿**لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[1]، وأما قولهم في النحو: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾[2]، أن التقدير: والبرد، وكذا قولهم: يحذف الفاعل لعظمته، وحقارة المفعول أو بالعكس، أو الجهل به، أو للخوف عليه أو منه، ونحو ذلك فإنه تطفل منهم على صناعة البيان"[3]، وبذلك يوضح ابن هشام ما يدخل من دراسة الحذف ضمن تخصص النحوي.

أما في العصر الحديث تعالت كثير من الأصوات مطالبة بتجديد النحو، ومن بين هذه الأصوات (أحمد عبد الستار الجواري) الذي عزا كثيرا من المحذوفات إلى غلبة المنطق على منهج النحاة، فقال: "وثمة جانب آخر يستهل التأمل والتفكير، ذلك أن القدامى قد احتكموا إلى المنطق ورسومه، فيحذف أو يذكر، ويقدم أو يؤخر، استجابة لدواع لا تتعلق بالمنطق ولا تخضع له"[4]. كما نجد صاحب كتاب ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، قد خلُص إلى أن كثيرا من تقديرات النحويين القدماء للمحذوفات أصبح مقبولا في ضوء النظرية التحويلية التي تضع اعتبارا مهما لما يسمى بالبنية العميقة، أو التركيب الباطن، وتعني ببيان العلاقة بين هذا التركيب والتركيب الظاهر، أو ما يسمى بنية السطحية والبنية العميقة تقابل الأصل المقدر عند القدماء[1].

وخلاصة القول إن النحويين المتقدمين أجمعوا على القول بالحذف، كما قال به أكثر المحدثين ولكنهم رفضوا الكثير من التقديرات. وإن البلاغيين لم يقولوا بالحذف إلا استنادا إلى أقوال النحويين.

---

[1]- سورة العنكبوت الآية61.

[2]- سورة النحل الآية71.

[3]- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت لبنان ط1/1999م، ج2 ص748.

[4]- الحذف بين النحويين والبلاغيين –دراسة تطبيقية، حيدر حسن عبيد، دار الكتاب العلمية بيروت ط1/2003م، ص16.

[1]- يراجع ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية الاسكندرية مصر ط1/1999م، ص265.

**-شروط الحذف:**

ذكر العلماء للحذف في العربية شروطا كثيرة، وقد عدها العلماء المتأخرون ضمن شروط الحذف في القرآن الكريم، وهي كالآتي[1]:

يشترط النحاة لصحة الحذف وجود دليل مقالي أو مقامي وأن لا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي يقتضي عدم صحة التعبير في المعيار النحوي. فالدليل المقالي قد يكون بوجود دليل لفظي على المحذوف كقوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيرًا**﴾[2]، أي: أنزل خيرا، ونحو قولك: شهرا، لمن قال: كم قضيت في الخارج ؟ أي: قضيت شهرا[3].

ومن ذلك أن يكون في التعبير مبتدأ لا خبر له، أو خبر لا مبتدأ له، نحو قوله تعالى: ﴿**فقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قوْمٌ مُنْكَرُونَ**﴾[4]، أو أن يكون في التعبير اسم منصوب، فتعلم أنه لابد له من ناصب فتقدره إن لم يكن مذكورا، نحو تعسا له وتبا له، إلى غير ذلك من المواطن التي يدل عليها المقال.

والدليل المقامي أو الحالي وهو الذي يدل عليه المقام، كأن تقول لمن كان يتكلم وسكت: حديثك، أي: أكمل، وأن يكون المحذوف معلوما للمخاطب أو متعارفا عليه بين الناس نحو (فلان عنده قلب) أو (عنده معدة) على معنى أن عنده مرض قلب أو مرض معدة اعتمادا على الفهم العام الذي تعارف عليه الناس، ولا شك أنهم لا يعنون أن عنده قلبا أو معدة على ظاهر ما يقتضيه الكلام.

ومن ذلك ما يدل عليه السياق كحذف جواب الشرط أو جواب القسم أو حذف تعبير ما اعتمادا على السياق الذي ورد فيه كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ قرْآنًا سُيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ**

---

[1]- يراجع البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص108، 115، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3 ص195، 201.

[2]- سورة النحل الآية30.

[3]- يراجع الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر عمان ط2/2007م، ص75.

[4]- سورة الذاريات الآية25.

**بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾**[1]، لم يذكر الجواب اعتمادا على ما يفهم من السياق.

ويعتبر وضوح المعنى وأمْن اللّبْس من أهم الشروط التي يجب مراعاتها مع كلّ ما يتصل بالنشاط اللغوي وظواهره المختلفة؛ كالاختصار، والاستغناء، والحذف، والتقديم، والتأخير، والتضمين، وغير ذلك.

وألا يكون مؤكّدا: لأنّ الحذف مناف للتأكيد إذْ الحذف مبْنيّ على الاختصار والتأكيد مبْنيّ على الطول، ومن ثمّ ردّ الفارسيّ على الزّجاج في قوله: ﴿**إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ** ﴾[2]، أنّ التقدير: إنّ هذان لهما ساحران، فقال: الحذف والتوكيد باللام متنافيان وأمّا حذف الشيء لدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما؛ لأنّ المحذوف لدليل كالثابت.

ألا يؤدّي حذْفه إلى اخْتصار المخْتصر: ومن ثمّ لم يحْذفْ اسم الفعْل؛ لأنّه اخْتصار للفعْل، وقال ابن جني في المحتسب: "أخبرنا أبو علي قال:حذف الحرف ليس بقياس؛ لأنّ الحروف إنّما دخلت الكلام لضرْب من الاختصار، فلو ذهبْت تحذفها لكنت مخْتصرا لها هي أيضا واختصار المخْتصر إجْحاف به حذف"[3]. ويرى ابن هشام أنّه "جرت عادة النّحويّين أن يقولوا يحذف المفعول اختصارا واقتصارا، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل، ويمثلونه بنحو: كلوا واشربوا؛ أي: أوقعوا هذين الفعلين "[1]، هذا؛ ويشيع الحذف ومظاهره في معظم أبواب النّحو العربيّ والصرف؛ وذلك لأنّ "العرب قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس من شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[2]. ومما يزيد الأمر جلاء، ويبيّن لنا وظيفة الحذف وشدة تأثيره على المتلقي ما ذكره الدكتور محمد أبو موسى في حديثه عن الحذف ضمن حديثه عن أحوال المسند إليه، ومن ذلك قوله: "وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق

---

[1]- سورة الرعد الآية31 .

[2]- سورة طه الآية63.

[3]- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، ج1 ص56.

[1]- مغني اللبيب، ابن هشام، ج1 ص797.

[2]- يراجع المصدر نفسه، ج2 ص692.

الكلام أو دلالة الحال، وأصل بلاغتها في هذه الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسامع، وتعول على إثارة حسه، وبعث خياله وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير، والمتذوق للأدب لا يجد متاع نفسه في السياق الواضح جدا، والمكشوف إلى حد التعرية، والذي يسيء الظن بعقله وذكائه، وإنما يجد متعة نفسه حيث يتحرك حسه وينشط، ليستوضح ويتبين، ويكشف الأسرار والمعاني وراء الإيحاءات والرموز، وحين يدرك مراده، ويقع على طلبته من المعاني يكون ذلك أمكن في نفسه"[1]، ولذلك يقول ابن جني: "إنّ العرب إذا حذفت من الكلمة حرفا -أو حذفت الكلمة كلّها- راعت حال ما بقي منه، فإن كان ممّا تقبله أمثلتهم أقروه على صورته"[2]؛ لأنّ حذف ما حذف من الكلمة يبقي منها بعده مثالا مقبولا، لم يكن لك بدّ في الاعتزام عليه.

ومن الأدلة الصناعية النحوية كقوله تعالى: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[3]، والتقدير (لأنا أقسم)، لأن فعل الحال لا يقسم عليه، وفي قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تفْتَأُ**﴾[4]، والتقدير "لا تفتأ"؛ لأنه لو كان الجواب مثبتا دخلت اللام والنون، ولا بد من تقدير (لا) في هذا التركيب، ومن شروط الحذف: ألا يكون المحذوف كالجزء فلا يحذف الفاعل، ولا نائبه، ولا مشبهه. أي: أنّ الفاعل يضمر أصح من أن يقال حذف، وهناك من ذكر أن الفاعل يحذف إذا بني الفعل للمجهول.

ومن خلال ما ذكر نجد أنّ الشرط الثاني مكمل للأول ومبني عليه، فالمقصود ألا يكون المحذوف كالجزء هو عدم حذف الفاعل ولا نائبه إلا إذا ترك دليلا عليه أو تقدم ذكره وهذا ما رآه (حسن عباس) فذكر أن للحذف شرطين في قوله: "إنّ الحذف جائز في كل ما يدلَ عليه دليل بشرط ألا يتأثر المعنى بحذفه، ويريدون بالدليل: القرينة الحسية، ومنها اللفظية، أو العقلية التي

---

[1]- خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، ص189، 190.

[2]- الخصائص، ابن جني، ج3ص115.

[3]- سورة القيامة الآية1.

[4]- سورة يوسف الآية85.

ترشد إلى لفظ المحذوف ومعناه وإلى مكانه في جملته، ويريدون بعدم تأثر المعنى بقاءه على حاله قبل الحذف، فلا ينقص ولا يصيبه لبس أو خفاء"[1].

كما نجد أنّ (طاهر سليمان حمودة) ذهب مذهب (حسن عباس) بقوله: "لا بدّ عند وقوع الحذف من الدليل على المحذوف يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية، فالقرينة الدّالة تعدّ أهم شروط الحذف يليها في الأهمية ألا يؤدي الحذف إلى لبس في المعنى"[2]، والمقصود هنا أنّ الحذف لا بدّ له من دليل، سواء تمثّل في قرينة حالية أو عقلية.

ومن خلال ما سبق يتضح أن النحويين كانوا لا يحذفون إلا لإفادة معنى خاص، وتضمين الكلام ما يدل على المحذوف.

**-وظائف الحذف:**

للحذف عند علماء العربية وظائف عديدة، أهمها[3]:

**1- الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره:**

ومنه قوله: ﴿**أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي**﴾[4]، أي: ذاتك[5]، فالاحتراز عن العبث يجعل التركيب اللغوي أكثر تمسكا، ويبعد التركيب عن الإطالة المملة، لأنَ ذكر الشيء المعلوم والاستطالة فيه يعد عبثا.

**2- التنبيه:**

والمقصود بهذه الوظيفة أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأنّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء[1]، لأنك إذا قلت مخاطبا أحدهم: الجدار، فيكون المطلوب في هذه اللفظة سرعة لتجنب الخطر، أما إذا قلت: احذر

---

[1]- النحو الوافي، حسن عباس، دار المعارف القاهرة ط3، ج4 ص46.

[2]- الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، ص103.

[3]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص63.

[4]- سورة الأعراف الآية142.

[5]- مغني اللبيب، ابن هشام، ج2 ص794.

[1]- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج2ص146.

الجدار، فيستهلك النطق بهذه الجملة طاقة لغوية، غير واردة في الاختصار، فتفوت الفرصة على المخاطب من تجاوز الجدار والبعد عنه.

**3- التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتقَوْا رَبهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبوَابهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنتهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾[1]، فحذف الجواب (إذا) كان وصف ما يجدونه، ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كنْه ما هنالك[2].

**4- التخفيف لكثرة دورانه في الكلام:**

تحذف (يا) في النداء، كقوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾[3]، أي: أراد (يا يوسف).

**5- صيانته عن ذكره تشريفا:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بينهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ** ﴾[4]، فحذف فيها المبتدأ في جواب الاستفهام أي: (هو رب) لأنَ (موسى) استعظم حال فرعون، وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما[5].

**6- صيانة اللسان عنه وتحقيرا له:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهُمْ لَا يرْجِعُونَ**﴾[1]، أي: هم، أو المنافقون.

---

[1]- سورة الزمر الأية37.

[2]- يراجع الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج2 ص146.

[3]- سورة يوسف الآية29.

[4]- سورة الشعراء الآيتان23، 24.

[5]- يراجع الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج2 ص147.

[1]- سورة البقرة الآية49.

**7- قصد العموم**: كقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[1]، التقدير: (على العبادة)، وعلى أمورنا كلها.

**8- قصد البيان بعد الإبهام:**

كما في فعل المشيئة، كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[2]، أي: (ولو شاء هدايتكم لهداكم) فإنه إذا سمع السامع: (ولو شاء) تعلقت نفسه بمشيئته عليهم، لا يدري ما هو (أي فعل المشيئة) فلما ذكر الجواب، استبان بعد ذلك، وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة الشرط، لأن مفعول المشيئة مذكور في جوابها، وقد يكون الحذف مع غيرها استدلالا بغير الجواب.

**- وظائف الحذف في تفسير البيضاوي:**

وفي خضم ما أفرزته مواقف العلماء من الحذف، تقف الدراسة على مواقع منتقاة من تفسير البيضاوي محاولة استنباط موقف البيضاوي من هذا الإجراء وكيفية التعامل معه.

إنّ المدخل الطبيعي لفهم أي نص من النصوص، هو الإحاطة بمعاني ألفاظه بحسب الوضع اللغوي، والقرآن الكريم تنطبق عليه هذه القاعدة. وقد تناول البيضاوي الحذف في تفسيره، وبيّن وظيفته البلاغية والجمالية، ومن النماذج التي اخترناها من التفسير ما يلي:

**أولا: حذف المسند إليه:**

المسند إليه هو ركن ركين من أركان الجملة، لذلك كان لابدَ من وجوده فيها، وقد يحذف أحيانا لقرينة تدل عليه، ولولا هذه القرينة لما عرف سبب هذا الحذف، ولحذف المسند إليه في تفسير البيضاوي وظائف كثيرة، أهمها:

**1- تكثير الفائدة:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة احتمالين في الحذف:

---

[1]- سورة الفاتحة الآية4.

[2]- سورة النحل الآية09 .

[1]- سورة يوسف الآية18.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص173.

- حذف المسند إليه في قوله (أمري) أو (صبري) صبر جميل، وهو (المبتدأ).

- حذف المسند في قوله (أجمل بي)، أي: فصبر جميل أجمل بي وأولى، وهو (الخبر)

وفي هذين الاحتمالين للحذف تكثير الفائدة، والوظيفة من ترجيح الحذف هنا هي تكثير الفائدة باحتمال أمرين عند الحذف، أي: فصبر جميل أولى من الجزع، والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه إلى أحد إلا إلى الخالق سبحانه وتعالى.

وقد وضّح هذا القول الزمخشري من قبل إذ قال: "(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) خبر أو مبتدأ، لكونه موصوفا، أي: فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أمثل"[1]، واستحسن هذا القول كلا من النسفي، وأبي حيان، وأبي السعود[2]. وأومأ إلى هذا القول —أيضا— ابن عطية، إذ قال: "(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) رفع إما على حذف الابتداء وإما على حذف الخبر: إما على تقدير: فشأني صبر جميل، وإما على تقدير فصبر جميل أمثل"[3]. ويرى الرازي أن الحذف في هذه الآية الكريمة فيه اختلاف، حيث يقول: "منهم من قال: إنّه مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، والتقدير: فصبر جميل أولى من الجزع، ومنهم من أضمر المبتدأ قال الخليل: الّذي أفعله صبر جميل. وقال قطرب: معناه: فصبري صبر جميل. وقال الفرّاء: فهو صبر جميل"[4]، وتبعه في هذا الغرض كلّ من صاحب السراج المنير، والشوكاني في تفسيره[5]، بأنّ الغرض من هذا الحذف هو لتكثير الفائدة.

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه أنّ هناك اتفاق مع البيضاوي في احتمال هذا الحذف، والغاية منه تكثير الفائدة، لأن يعقوب عليه السلام كان واثقا بأن أبناءه كاذبون في الصفة، وواثقا بأنهم ألحقوا بيوسف عليه السلام أذى، ولهذا كان التعبير بحذف المسند إليه في غاية البلاغة.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص451.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص100، مفاتيح الغيب، أبو حيان الأندلسي، ج6 ص251، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج4 ص301.

[3]- المحرر الوجيز، ابن عطية، ج3 ص227.

[4]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج18 ص430.

[5]- يراجع السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج2 ص96، فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص14.

**2- التحقير:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[1]، والشاهد قوله: (متاع قليل)، ويقول البيضاوي: "خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما أعد الله للمؤمنين"[2]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة حذف المسند إليه، وتقديره: ذلك متاع قليل، والغاية من هذا الحذف، أنه بين لهم حقارةَ ما أُوتيَ هؤلاء من حظوظ الدنيا، وذَكَر أنها متاعٌ قليل زائل، فلا ينبغي للعاقل أن يوازن بينه وبين النعيم الخالد المقيم.

والملاحظ هنا أيضا أن كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري، وتبعه الرازي، والنسفي، وصاحب السراج المنير[3]. ويرى أبو السعود أن الحذف في هذه الآية الكريمة مقام ذم، حيث يقول: "خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب اللّه تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع فإذن لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضرّ فقدانه لفاقديه"[4].

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين؛ هو أن في الآية هي حذف المسند إليه، والوظيفة البلاغية من هذا الحذف ترك ذكره تحقيرا للدنيا، لأنه ذمّ لهم وإيذان بأن مصيرهم إلى جهنم، وذلك مما جنته أنفسُهم واكتسبته أيديهم.

**3- دلالة الكلام عليه:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ**﴾[1]، والشاهد قوله: (بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)، ويقول البيضاوي: "إذا بلغت النفس أعالي الصدر وإضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها"[2]، ويشير البيضاوي إلى هذه الكريمة بأنّ فيها حذف المسند إليه، أي: فاعله

---

[1]- سورة آل عمران الآيتان196، 197.
[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص56.
[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص458، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج9 ص471، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص276.
[4]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج2 ص135.
[1]- سورة آل عمران الآيات 26، 27، 28.
[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص267.

ضمير مستتر يعود على الروح، والفائدة من هذا الحذف لدلالة الكلام عليها، ولأنه تعالى يصف تلك الحالة الّتي تفارق الرّوح فيها الجسد.

ويوضّح الزمخشري هذا الكلام فيقول: "والضمير في (بلَغَتِ) للنفس وإن لم يجر لها ذكر، لأنّ الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها"[1]، وتبعه النسفي، وأبو حيان[2]. وأمأ إلى هذه الوظيفة الزركشي بقوله: "ومنها تقدم ما يدل على المحذوف، وما في سياقه، كقوله تعالى: ﴿**كَأَنَهُمْ يوْمَ يرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نهَارٍ بَلَاغٌ**﴾[3]، أي: هذا بلاغ"[4].

ونستنتج من أقوال المفسرين أن في الآية الكريمة حذف المسند إليه، والوظيفة البلاغية هي الحذف وسياق الكلام يدل عليه، فسياق الآية يردع كل من يؤثر الدّنيا على الآخرة، ولهذا جاء ذكر الموت وبلوغ الأنفس التراقي.

**4- الاستغناء:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَينْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾[5]، والشاهد قوله: (وَينْذِرَ الَّذِينَ) وقال البيضاوي: "خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقاً بهم استعظاماً لكفرهم، وإنما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره"[6]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة حذف المسند إليه، وتقدير المحذوف: هو الفاعل المستتر الذي يعود على محمد صلى الله عليه وسلم والغاية من هذا الحذف لحمله على معنى مجردِ الإخبارِ بالخبر الضارِّ من غير اعتبار حُلول المنذَرِ به على المنذَر كما في قوله تعالى: ﴿**أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾[1]، يُفضي إلى خلوّ النظمِ الكريم عن الدلالة على حلول البأسِ الشديدِ على منْ عدا هذه الفرقة، ويجوز أن يكون (الفاعلُ) في الأفعال الثلاثة ضمير الكتاب أو ضمير الرسول صلى الله عليه

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص663.
[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص573، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج10 ص343.
[3]- سورة الأحقاف الآية35.
[4]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص110.
[5]- سورة الكهف الآية4.
[6]- تفسير البيضاوي، ج3 ص272.
[1]- سورة يونس الآية3.

وسلم[1]. وقد تساءل الزمخشري عن وظيفة الحذف في هذه الآية، فقال: "فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر؟ قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه، فوجب الاقتصار عليه. والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به"[2]، واستحسن أيضا هذا الكلام النسفي[3]، حينما بيّن أنّ الغرض من هذا الحذف هو الاستغناء.

ولأبي حيان كلام لطيف يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "وحذف هنا المفعول الأوّل وصرّح بالمنذر به، لأنّه هو الغرض المسوق إليه فاقتصر عليه، ثمّ صرّح بالمنذر في قوله حين كرّر الإنذار فقال: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾، فحذف المنذر أوّلا لدلالة الثّاني عليه، وحذف المنذر به لدلالة الأوّل عليه، وهذا من بديع الحذف وجليل الفصاحة، ولما لم يكرّر البشارة أتى بالمبشّر والمبشّر به، والظّاهر أنّ (لينْذر) متعلّقة (بأنزل)"[4]، وتبعه في هذا القول صاحب (تفسير اللباب)[5]، وهذا من خلال ذِكْر الغرض من هذا الحذف.

ووجه آخر ذكره الشوكاني حيث يقول: "وتقديم الإنذار على التّبشير لإظهار كمال العناية بزجر الكفّار، ثمّ كرّر الإنذار وذكر المنذر لخصوصه وحذف المنذر به، وهو البأس الشّديد، لتقدّم ذكره"[1]. أما الطاهر بن عاشور فيقول: "وقد حذف هنا المنذر به اعتمادا على مقابله المبشّر به"[2]، ويبيّن ابن عاشور سبب الحذف، وهو مقابلة المبشر به.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن الوظيفة البلاغية من حذف المسند إليه، هي للاستغناء عن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه خصّ بالذكر اليهود والنّصارى وبعض كفّار قريْش، وهم القائلون بأنّ الملائكة بنات اللّه، فذكر سبحانه أوّلا قضيّة كلّيّة، وهي إنذار عموم الكفّار، ثمّ عطف عليها قضيّة خاصّة هي بعض جزئيّات تلك

---

[1]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج5 ص203.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص703.

[3]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص286.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7 ص136.

[5]- يراجع اللباب في علوم الكتاب، النعماني، ج12 ص418.

[1]- فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص319.

[2]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15 ص250.

الكلّيّة، تنبيها على كونها أعظم جزئيّات تلك الكلّيّة[1]، وتكرار الإنذار متعلقا بهم واستعظاما لكفرهم.

**5- التفخيم والتعظيم:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ**﴾[2]، والشاهد قوله: (شَهْرُ رَمَضانَ)، ويقول البيضاوي: "خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان، فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس،وإنما سموه بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش، أو لارتماض الذنوب فيه، أو لوقوعه أيام رمض الحر حين ما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة فيها حذف المسند إليه، وتقدير المحذوف: (ذلكم شهر رمضان)، والغرض من حذف اسم الإشارة للتفخيم والتعظيم.

والملاحظ هنا، أنّ البيضاوي يتفق مع الزمخشري، وابن عطية، وتبعهما في هذا الاتفاق كل من صاحب كتاب (اللباب)، وصاحب (السراج المنير)[4]. ووجه آخر ذكره

الرازي، إذ قال: "وهو قول الفرّاء والأخفش أنّه خبر مبتدأ محذوف بدل من قوله: (أيّاما)، كأنّه قيل: هي شهر رمضان، لأنّ قوله: (شَهْرُ رَمَضانَ) تفسير للأيّام المعدودات وتبيين لها"[1]. ويرى النسفي أنّ المحذوف في هذه الآية الضمير، حيث يقول: "خبر مبتدأ محذوف، أي: هو شهر، والرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والألف والنون وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ولأنهم سموا الشهور بالأزمنة التي وقعت فيها"[2].

---

[1]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج21 ص424، 425.

[2]- سورة البقرة الآية185.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص124.

[4]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص227، المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1 ص254، اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني، ج3 ص273، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص119.

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج5 ص250.

[2]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص159.

أمّا العلامة ابن عاشور فيقول: "وحذف المسند إليه جار على طريقة الاستعمال في المسند إليه إذا تقدّم من الكلام ما فيه تفصيل وتبيين لأحوال المسند إليه فهم يحذفون ضميره، وإذا جوّزت أن يكون هذا الكلام نسخا لصدر الآية لم يصحّ أن يكون التّقدير هي شهر رمضان فيتعيّن أن يكون شهر رمضان مبتدأ خبرهم قوله: فمن شهد منكم الشّهر فليصمه، واقتران الخبر بالفاء حينئذ مراعاة لوصف المبتدأ بالموصول الّذي هو شبيه بالشّرط ومثله كثير في القرآن وفي كلام العرب"[1]، لأنّ حذف المسند إليه جار على طريقة الاستعمال.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية الكريمة، نجد أن المفسرين يتفقون مع البيضاوي في الآية الكريمة بأن فيها حذف المسند إليه، والقيمة البلاغية من هذا الحذف للتفخيم والتعظيم، لما فيه من إبهام لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوقه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصرا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانة.

**6- ضيق الصدر عن إطالة الكلام:**

ويرجع ذلك إلى ما يكون فيه المتكلم من ضجر أو حزن، وألم، أو ملل وسأم، أو إلى خوفه من فوات فرصة، أو إلى سماعه أمرا غريبا يدعو إلى التعجب ويثير الاستغراب[2]، كقوله تعالى حكاية عن زوج سيدنا إبراهيم حينما بشرها الملائكة بالإنجاب بعد أن طعنت في السن: ﴿**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**﴾[1]، والشاهد قوله: (وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ)، وقال البيضاوي: "أي: أنا عجوز عاقر فكيف ألد"[2]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة حذف المسند إليه (أنا)، لأنها لما سمعت بشارة الملائكة لها بغلام عجبت من أمرهم، واستبعدت أن تلد بعد بلوغها حد الكبر والعقم. لأنها كانتْ لا تلد في صغر سنها، وعنفوان شبابها، ثمّ عجزتْ وأيستْ فاسْتبعدتْ ذلك، وهو استبعاد بحكم العادة لا تشكك في قدرة الله.

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج2 ص168.

[2]- يراجع المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص153.

[1]- سورة الذريات الآية29.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص149.

ويوضّح ذلك الزمخشري فيقول: "فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب عجوز أنا عجوز، فكيف ألد"[1]، واستحسن ذلك كلّ من النسفي، وأبي حيان، والشوكاني[2]. وقال صاحب (اللباب): "خبر مبتدأ مضمر أي أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ وتفسرها الآية الأخرى، فاستبعدت ذلك ظنّا منها أن ذلك منهم على سبيل الدعاء، فكأنها قالت: يا ليتكم دعوتم دعاء قريبا من الإجابة، فأجابوها بأن ذلك من الله تعالى، وأن هذا ليسبدعاء"[3]. ويرى بعض البلاغيين المحدثين[4]، أنّ المسند إليه إذا وقع بعد القول وما اشتق منه، فوظيفته الاحتراز عن العبث، واستشهدوا بهذه الآية الكريمة: (وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ).

إنّ حذف المسند إليه في الآية الكريمة ليس لمجرد الاحتراز عن العبث، بل هو بالدرجة الأولى للإيحاء بالموقف النفسي الذي كانت عليه زوج إبراهيم عليه الصلاة والسلام آنذاك، وهو شعورها بالعجب والدهشة عند تلقيها تلك البشرى التي طالما تاقت إليها، وتقطعت زهرة شبابها حسرة على فواتها، لأنها لم تقل (أنا عجوز) وهذا لما تحسه من ضيق الصدر عن الإطالة في الكلام بسبب ما انتابها من عقم، وما لحقها من كبر.

وخلاصة القول إنّ البيضاوي حين يتحدّث عن حذف المسند إليه في الآيات الكريمة، لا يهتم كثيرا باستقصاء كل مواضع الحذف، وإنما يوجه اهتمامه الأول إلى قيمة حذف المسند إليه البلاغية والوظيفة الجمالية التعبيرية التي يؤديها في الكلام، وهو بذلك يحقق المتعة الفنية للمتلقي، إذ إنه ينقله من سلبية الأخذ والتلقي إلى إيجابية الحدس والتخييل، وهذا راجع إلى إدراكه الحسي وتذوقه البلاغي.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص400.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص376، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص140، فتح القدير، الشوكاني، ج5 ص106.

[3]- اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين النعماني، ج18 ص86.

[4]- يراجع علم المعاني، عبد العزيز عتيق، ص124.

### ثانيا: حذف المسند:

يحذف المسند عند وجود القرينة الدالة على حذفه، ليفيد وظائف بلاغية متعددة، أهمها:

### 1- دلالة السياق عليه:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق، أي: وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما أفطر فيه"[2]، أي: أرخص لكم في الإفطار للمرض والسفر وأمركم بالقضاء؛ لإرادته بكم اليسر، ولإكمالكم عدة شهر رمضان. والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا للزمخشري، وتبعهما في هذا الغرض كل من النسفي، وصاحب السراج المنير، وأبي السعود، والقاسمي[3]، لأنّ حذف المسند ظاهر من خلال السياق.

وللرازي كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "أجْمعوا على أنّ الْفعْل الْمعلّل محْذوف، ثمّ فيه وجْهان أحدهما: ما قاله الْفرّاء وهو أنّ التّقْدير: ﴿**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾، فعل جملة لما ذكر وهو الأمر بصوم العدّة، وتعليم كيفيّة القضاء، والرّخصة في إباحة الفطر، وذلك لأنّه تعالى لما ذكر هذه الأمور الثّلاثة ذكر عقيبها ألفاظا ثلاثة، فقوله: (ولتكملوا العدّة)، علّة للأمر بمراعاة العدّة،(ولتكبّروا) علّة ما علمتم من كيفيّة القضاء، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) علّة التّرخّص والتّسهيل، ونظير ما ذكرنا من حذف الفعل المنبّه ما قبله عليه"[1].

نستنتج من هذه الأقوال أنّ المسند المحذوف في هذه الآية الكريمة هو الفعل، والوظيفة البلاغية من هذا الحذف، لدلالة السياق عليه، لأن مشروعيّة الصّيام وإن كانت تلوح في صورة

---

1- سورة البقرة الآية185.

2- تفسير البيضاوي، ج1 ص125.

3- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص228، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص159، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص121، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص200، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج2 ص27.

1- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج5 ص258.

المشقّة والعسر فإنّ في طيّها من المصالح ما يدلّ على أنّ اللّه أراد بها اليسر، أي: تيسير تحصيل رياضة النّفس بطريقة سليمة.

**2- الاختصار:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**﴾[1]، والشاهد قوله: (فَضَرْبَ الرِّقَابِ)، ويقول البيضاوي: "أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر، وأنيب منابه مضافا إلى المفعول ضما إلى التأكيد والاختصار، والتعبير به عن القتل إشعارا بأنه ينبغي أن يكون بضرب الرقاب حيث أمكن، وتصوير له بأشنع صورة"[2]، ويشير البيضاوي أن الآية الكريمة قد حذف منها المسند وهذا لفهمه من السياق، وتقدير الكلام: (فاضربوا الرقاب ضربا)، والقصد من هذا الحذف للاختصار، والمراد منها اقتلوهم بأي وجه أمكن.

وهذا هو الذي عليه جمع من المفسرين، ومن أشهرهم[3]: الزمخشري، وابن عطية في تفسيره، والنسفي في مدارك التنزيل، وصاحب السراج المنير.

والظاهر من هذه التفاسير أنها متفقة على أن الآية الكريمة فيها حذف المسند، والوظيفة البلاغية من هذا الحذف الاختصار، لأن السياق يدل على ذلك، وهو أن الله أمر المؤمنين بما يجب فعله عند لقائهم لأعدائهم، والتعبير عن القتل بقوله: (فضرْب الرّقاب)، لتصويره في أفظع صوره. ولتهويل أمر هذا القتال، ولإرشاد المؤمنين إلى ما يجب عليهم فعله.

**3- الذم والوعيد:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "وإنما شاركهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق لا على من ينبغي من حيث إنهما طرفا إفراط

---

[1]- سورة محمد الآية5.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص120.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص316، المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5 ص110، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص322، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج4 ص22.

[1]- سورة النساء الآية38.

وتفريط سواء في القبح واستجلاب الذم، أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله: ومنْ يكن الشّيْطان له قرينا"[1]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة حذف المسند وهو الخبر، والتّقْدير: (وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالهم رئاء النَّاسِ قَرِينُهُمُ الشَّيْطَانُ)، والفائدة من هذا الحذف لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب. ودل على هذا الخبر المحذوف أيضا قوله: ﴿وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً﴾، وهذا من خلال السياق، أي: (الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس) قاصدين بإنفاقهم الرياء والسمعة لا وجه الله تعالى، ولا يؤمنون بالله الذي له الخلق والأمر، ولا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ... هؤلاء الذين يفعلون ذلك يبغضهم الله تعالى، ويجازيهم بما يستحقون من عذاب أليم.

وجوّز هذه الوظيفة الزمخشري إذ قال: "ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأنّ الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليْهمْ وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل اللّه والمراد الذم والتوبيخ"[2]، وهو ما استحسنه أيضا النسفي، وأبو حيان، وأبو أبو السعود العمادي[3].

والظاهر من هذه التفاسير أنها متفقة مع الإمام البيضاوي، على أن في الآية الكريمة حذف المسند (الخبر) والغاية من حذفه أفضل من ذكره لما فيه من وعيد وذم وتوبيخ، وهذا لدلالته من السياق، لأنهم كانوا يصرفون أموالهم في غير مصارفها، ليراهم الناس ويمدحوهم، ويقولوا فيهم: ما أسخاهم وما أجودهم، ولا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى، ولا يصدقون بوحدانية الله تعالى، ولا بمجيء المعاد الذي فيه جزاء الأعمال. ولهذا ذمهم الله عز وجل، ووبخهم على أفعالهم.

**4- التعظيم:**

ومن أمثلته قوله تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾**[1]، والشاهد قوله: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)، ويقول البيضاوي: "وبأن تحسنوا، أو وأحسنوا بالوالدين

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج2 ص74.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص511.

[3]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص358، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص636، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج2 ص176.

[1]- سورة الإسراء الآية23.

إحساناً لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش، ولا يجوز أن تتعلق الباء (بالإحسان)، لأن صلته لا تتقدم عليه"[1]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية حذف المسند (الفعل)، وتقدير الآية: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبأن تحسنوا للوالدين، والقصد من هذا المحذوف للتعظيم، لأن غاية التعظيم لا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام، وهو كالتفصيل لسعي الآخرة.

وهذا الرأي مال إليه القرطبي، حيث قال: "وأمركم بالوالدين إحسانا أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما. ومعنى الكلام: وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين، فلما حذفت "أن" تعلق القضاء بالإحسان، كما يقال في الكلام: آمرك به خيرا، وأوصيك به خيرا، بمعنى: آمرك أن تفعل به خيرا، ثم تحذف "أن" فيتعلق الأمر والوصية بالخبر"[2]، وهذا ما صرح به أيضا جماعة من أهل التفسير في كتبهم، فمن ذلك ابن باديس إذ قال: "وتقدير نظم الآية هكذا:" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبأن تحسنوا للوالدين إحسانا" فحذف الفعل (أن تحسنوا) لوجود ما يدل عليه وهو إحسانا"[3]، وفي تنكيره إفادة للتعظيم، فهو إحسان عظيم في القول والفعل والحال.

فالغاية من هذا الحذف في الآية الكريمة هو التعظيم، ولعل السرّ في ذلك هو الإشعار للمخاطبين بأهمية هذا الأمر المقتضى لوجوب الإحسان إلى الوالدين، حيث إنهما السبب المباشر لوجود الإنسان في هذه الحياة، وهما اللذان لقيا ما لقيا من متاعب من أجل راحة أولادهما، فيجب أن يقابل ما فعلاه بالشكر والاعتراف بالجميل.

وخلاصة القول؛ هناك وظائف أخرى ذكرها البيضاوي لحذف المسند كالإسراع إلى ذكر المسند إليه الذي يمثل هدفا منشودا، ووظيفة لضيق المقام بسبب التحسر والتوجع، وإفادة القصر، وغيرها من الوظائف التي تناولها البيضاوي في تفسيره.

وفي كل الأحوال فإن المعول عليه هو الذوق الفني الجمالي الرفيع، شريطة أن يكون هنالك دليل أو قرينة ترجح الحذف على الذكر.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص252.

[2]- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج17 ص413.

[3]- تفسير في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/(1416هـ-1995م)، ص66.

**ثالثا: حذف المفعول به:**

يرى البلاغيون أن حذف المفعول به يترجح، لأن الحاجة إليه أمس، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر، وأن حذفه يحقق في الأسلوب كثيرا من الوظائف والأسرار البلاغية، وبديهي أن الفعل الذي يعنيه البلاغيون في هذا المقام هو الفعل المتعدي؛ لأن ذلك الفعل في الأصل لا يكتفي بعلاقته مع فاعله، بل يتطلب معها علاقة أخرى هي علاقة المفعولية[1]، وإذا ما خالف ذلك الفعل هذا الأصل وورد في أسلوب ما مجردا من تلك العلاقة الأخيرة كان ذلك مدعاة للتساؤل وحافزا للتأمل والكشف عن دواعي هذا التجريد، ومن تلك الوظائف التي تناولها البيضاوي في تفسيره وبيّن الغاية من حذف المفعول، أهمها:

**1- دلالة الكلام عليه:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثنيْنِ فَكَذَّبُوهُما فعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾[2]، والشاهد قوله: (فَكَذَّبُوهُما فعَزَّزْنا)، ويقول البيضاوي: "وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصود ذكر المعزز به"[3]. وتساءل الزمخشري عن الغاية من حذف المفعول فقال: "فإن قلت: لم ترك ذكر المفعول به؟ قلت: لأنّ الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عزّ الحق وذلّ الباطل، وإذا كان الكلام منصبا إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه، كأن ما سواه مرفوض مطرح"[1]، واستحسن هذا القول أيضا النسفي[2]. وللرازي كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "وترك المفعول حيث لم يقل (**فعَزَّزْناهُما**) لمعنى لطيف وهو أنّ المقصود من بعثهما نصرة الحقّ لا نصرتهما، والكلّ مقوّون للدّين المتين بالبرهان المبين"[3]، ويستشف من كلامه أنّ حذف المفعول بينّه السياق.

---

[1]- يراجع علم المعاني في الموروث البلاغي -تأصيل وتقييم، حسن طبل، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ص114، علم المعاني، عبد الفتاح لاشين، ص155.

[2]- سورة يس الآية14.

[3]- تفسير البيضاوي، ج4 ص264.

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص7.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص98.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج26 ص260.

وبناء على ما تقدم من تفسير لهذه الآية الكريمة أن فيها حذف المفعول به، والوظيفة البلاغية من هذا المحذوف لدلالة الكلام عليه. لأن السياق يتحدث أن بعثهما كان نصرة للحق وإزهاق الباطل.

**2- المبالغة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث أنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالأمر به والمغري عليه حتى عبّر عن سكونه بالسكوت ...وقوله: (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)، حذف المفعول واللام للتعليل، والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم"[2]، ويشير البيضاوي أنّ في الآية الكريمة حذف المسند وهو المفعول به، وتقديره: يرهبون معاصي الله لربهم، والغاية من هذا المحذوف المبالغة.

وإلى هذا المعنى ذهب جلّ علماء التفسير ومن أشهرهم أبو السعود العمادي في تفسيره[3]، حينما بيّن السبب من حذف المفعول لغرض بلاغي وهو المبالغة.

ووجه آخر ذكره أبو حيان، حيث قال: "هي لام الْمفْعول له، أيْ: لأجْل ربّهمْ يرْهبون لا رياء ولا سمْعة، وقال الْمبرّد: هي متعلّقة بمصْدر الْمعْنى الّذين همْ رهْبتهمْ لربّهمْ وهذا على طريقة الْبصْريّين لا يتمشّى، لأنّ فيه حذْف الْمصْدر وإبقاء معْموله وهو لا يجوز عنْدهمْ إلّا في الشّعْر، وأيْضا فهذا التّقدير يخرج الكلام عن الفصاحة"[1]. يستشف من كلامه أنّ الحذف في هذه الآية القصد منه التعليل. وتبعه في هذا القول الشوكاني أيضا[2]، حينما رأى أنّ سبب حذف المفعول به في الآية الكريمة غرضه التعليل.

---

[1]- سورة الأعراف الآية154.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص36.

[3]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص276.

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5 ص185.

[2]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص285.

فمن خلال أقوال المفسرين لا حظنا أن هناك حذف المفعول به في الآية، فقد قدره البيضاوي بأن القصد من حذفه للمبالغة، لأنهم يخافون أشد الخوف من خالقهم عز وجل، وقدره الشوكاني وأبو السعود بأن المحذوف الغاية منه التعليل، وكلا التعبيرين يعبران عن مقصود الآية.

**3- البيان بعد الإبهام:**

ليكون أوقع في النفس كما فعل في المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة، ومنه قوله تعالى: ﴿**كلما أَضَاء لَهُم مَشوا فِيهِوَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَاللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه، أو لازم بمعنى، كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره، وكذلك أظلم فإنه جاء متعدياً منقولاً من ظلم الليل...وقوله (وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ)، أي: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه، ولقد تكاثر حذفه في (شاء) وأراد حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب"[2]، ويشير البيضاوي أن في هذه الآية الكريمة حذف، وهو حذف المفعول به للمسند (أضاء) وتقديره كلما نور لهم ممشى أخذوه، وهذا إذا كان فعل (أضاء) متعد. وحذف المفعول به للمسند (شاء)، لأن الجواب يدل عليه، والقصد ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها. وحذف المفعول هنا في الآية يأتي ليكون بيانا بعد إبهام فيكون أوقع في النفس. لأن المخاطب حين يسمع قوله (ولو شاء)، فإنه يتطلع أو يتشوق إلى شيء مبهم أو مضمر يتعلق بالمشيئة، وعندما يستمع إلى الجواب وهو (لذهب بسمعهم)، فإن هذا الشيء المبهم أو المضمر يتضح له ويظهر.

والملاحظ أنّ كلام البيضاوي جاء موافقا للزمخشري، وتبعه أيضا النسفي[1]. وأوضح هذه الوظيفة أيضا الرازي إذ قال: "وأضاء إمّا متعدّ بمعنى كلّما نوّر لهم مسلكا أخذوه، فالمفعول محذوف، وإمّا غير متعدّ بمعنى كلّما لمع لهم مشوا في مطرح نوره...ومفعول (شاء) محذوف، لأنّ

---

[1]- سورة البقرة الآية20.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص52.

[1]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص78، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص60.

الجواب يدلّ عليه، والمعنى ولو شاء اللّه أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما"[1]، ثم يقول: وهاهنا مسألة، وهي أنّ المشهور أنّ (لو) تفيد انتفاء الشّيء لانتفاء غيره[2]، ويرى أبو حيان أنّه متى كان مفعول المشيئة عظيما أو غريبا، كان الأحسن أن يذكر نحو: لو شئت أن ألقى الخليفة كلّ يوم لقيته، وسرّ ذكره أنّ السّامع منكر لذلك، أو كالمنكر، فأنت تقصد إلى إثباته عنده، فإن لم يكن منكرا فالحذف نحو: لو شئت قمت[3]. وأومأ إلى القول أيضا صاحب السراج المنير إذ قال: "ولو شاء أن يذهب بسمعهم بشدّة صوت الرعد وأبصارهم بلمعان البرق لذهب بهما فحذف المفعول وهو أن يذهب لدلالة الجواب وهو لذهب عليه، ولقد تكاثر حذف المفعول في شاء وأراد إذا وقعا في حيز الشك كما هنا لدلالة الجواب على ذلك المحذوف حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب"[4]، ويستشف من كلامه أن المفعول المحذوف لأفعال المشيئة وما في معناها، إنما هو المصدر المقدر من فعل الجواب.

وذكر صاحب المفتاح وغيره من البلاغيين أنه: "إن كان في تعلّق الفعل بالمفعول غرابة ذكرت المفعول"[5]، وقول العلامة ابن عاشور: "ولا يختص بالمفعول الغريب"[6]، ويستشف من كلام ابن عاشور أن الضمير في (يختص) عائد على الحذف، وليس مراد الظاهر أن الحذف يختص بالمفعول الغريب، وهذا لا كلام فيه.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن الوظيفة البلاغية من هذا المحذوف هي البيان بعد الإبهام، أو التفسير بعد الإضمار، إذا كان المفعول شيئا عاديا بعيدا عن الغرابة، أما إذا كان غريبا أو غير مألوف فإنه يذكر.

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج2 ص316.

[2]- يراجع المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1 ص145.

[4]- السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص29.

[5]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص128.

[6]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج18 ص43.

**4- الاستغناء:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1]، قال البيضاوي أي: "تسترضعوا المراضع لأولادكم، يقال أرضعت المرأة الطفل واسترضعتها إياه، كقولك أنجح الله حاجتي واستنجحته إياها، فحذف المفعول الأول للاستغناء عنه"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن المصدر المؤول من (أن) وما بعدها في هذه الآية الكريمة في محل نصب مفعول (أردتم)، فتكون كلمة (أولادكم) مفعول (تسترضعوا) الثاني، والغاية من حذف المفعول به الأول استغناء عنه، لأن التقدير (وإن أردتم أن تسترضعوا المراضع لأولادكم).

ووضّح هذا الكلام الزمخشري بقوله: "أن تسترضعوا المراضع أولادكم، فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه، كما تقول: استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته، وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأوّل"[3]، واستحسن هذا القول كلّا من الرازي، والنسفي، وأبي حيان[4]. وللعلامة ابن عاشور كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث قال: "والاسترضاع أصله طلب إرضاع الطّفل، أي: طلب أن ترضع الطّفل غير أمّه، (فالسّين والتّاء) في (تسترضعوا) للطّلب ومفعوله محذوف، وأصله (أن تسترضعوا مراضع لأولادكم)، لأنّ الفعل يعدّى (بالسّين والتّاء) الدّالّين على الطّلب إلى المفعول المطلوب منه الفعل فلا يتعدّى إلّا إلى مفعول واحد، وما بعده يعدّى إليه بالحرف وقد يحذف الحرف لكثرة الاستعمال، كما حذف في استرضع واستنجح، فعدّي الفعل إلى المجرور على الحذف والإيصال"[1].

---

[1]- سورة البقرة الآية233.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص144.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص278.

[4]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج6 ص464، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص194، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص508.

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج2 ص429.

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي فهمناه أن حذف المفعول في هذه الآية الكريمة الغاية منه الاستغناء. وهذا راجع لمقتضيات المطابقة بين الكلام وبين الحال أو المقام.

**5- مراعاة الفواصل:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذا سَجى ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "(وَما قَلى) وما أبغضك، وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاته للفواصل"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن هناك حذف المفعول من جملة (قلى)، والتقدير: ما ودعك وما قلاك، أي: ما أبغضك. والغاية من حذفه حرصا على حسن الكلام وتجانس الفواصل (السجع).

أمّا الزمخشري فيرى أنّ الوظيفة البلاغية من هذا المحذوف الاختصار، حيث يقول: "حذف الضمير من قَلى كحذفه من الذّاكرات في قوله والذّاكرين اللّه كثيرا والذّاكرات يريد: والذاكراته ونحوه: فَآوى ... فَهَدى ... فَأَغْنى، وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف"[3]. واستحسن هذه الوظيفة كلّا من النسفي، وأبي حيان، والعلامة ابن عاشور[4]. ويرى الرازي أن حذف الضمير (الكاف) اكْتِفَاءً (بِالْكَافِ الْأُولَى) فِي (وَدَّعَكَ)، وَلِأَنَّ رؤس الْآيَاتِ (بِالْيَاءِ)، فَأَوْجَبَ اتِّفَاقُ الْفَوَاصِلِ حَذْفَ (الْكَافِ)[5]. وللألوسي كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "وحذف المفعول لئلا يواجه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلى وإن كانت في كلام منفي لطفا به صلّى الله عليه وسلم وشفقة عليه عليه الصلاة والسلام أو لنفي صدوره عنه عز وجل

---

1- سورة الضحى الآيات1، 2، 3.

2- تفسير البيضاوي، ج5 ص319.

3- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص765.

4- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص653، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج10 ص495، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج30 ص393.

5- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج31 ص192.

بالنسبة إليه صلّى الله عليه وسلم ولأحد من أصحابه ومن أحبه صلّى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، أو للاستغناء عنه بذكره من قبل مع أن فيه مراعاة للفواصل"[1].

والذي نراه أنّه مناسب جد المناسبة لمنزلته عليه الصلاة والسلام عند ربه؛ هو قول (الألوسي) أي: عدم إيلاء الفعل ضميره عليه الصلاة والسلام، كما عهد أن مما عهد عن الذكر الحكيم أن الله تعالى لا يقسم إلا على أمر عظيم، فلما اختلج في نفسه صلى الله عليه وسلم شيء من الحزن بسبب تأخر الوحي عنه عيه السلام، وبسبب ما ناله من المشركين في ذلك، حسن معه تعظيم منزلته عليه الصلاة والسلام وتكريمه بأن جعل أول ما ينزل عليه بعد ذلك مجللا بشيء عظيم، لذلك كان هذا الخطاب الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم مشتملا على وجوه كثيرة من أساليب تعظيمه تعالى لنبيه، وإكرامه له، ومن تلك الوجوه أن يكون الخطاب مفعما بعبارة الملاطفة والمؤانسة، ومنها أن تتجنب الآية الكريمة وقوع فعل البغض على ضمير النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك من التكريم واللطف مالا يخفى.

وهناك وظائف أخرى تناولها البيضاوي وبيّن قيمتها البلاغية، كحذف المضاف والمضاف إليه. وأن كثرة الاستعمال من أكثر أسباب الحذف ورودا في كتب النحاة، وتدل كثرة وروده في كتب النحاة بارتضاء له، وما كان ذلك إلا لأنه سبب قوي في الحذف، ولهذا كان اهتمام البيضاوي به في تفسيره للآيات وتحليلها بطريقة تبرز خصائص الأسلوب القرآني، وإعجازه البياني والبلاغي دون الوقوع في الخلاف بين النحاة، لأنه كان يأخذ من النحو بمقدار الضرورة بحيث يكون في تناوله خدمة للمعنى ودون أن يتجاوز مقدار الحاجة.

---

[1]- روح المعاني، الألوسي، ج15 ص374.

# المبحث الخامس: التعريف والتنكير

## توطئة:

من الأدوات البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطبين ويقصدها المتكلم؛ أداة التعريف والتنكير، فإذا كان لكل من التقديم والتأخير، والحذف والذكر، وظائفه البلاغية، وأهدافه التي تتعلق بالمعنى، فإن التعريف والتنكير كذلك.

ولقد تكلم علماء النحو عن المعرفة والنكرة، وذكروا أقسام المعارف، فتحدثوا عن العلم، والضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرف بـ(أل)، وغيرها، ولكن حديثهم كان من الناحية الإعرابية المحضة.

أمّا البلاغيون فكان حديثهم من زاوية أخرى، وفي مجال آخر، فقد تحدثوا عن الوظائف التي يكون من أجلها التعريف، سواء كان هذا التعريف بالضمير أم بغيره، كما تحدثوا عن الدواعي التي تقتضي التنكير.

وقبل التحدث عن هذه الوظائف، لابد أن نعرج على المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكل من المعرفة والنكرة.

## أ- المعرفة:

- **لغة:** مصطلح التعريف في اللغة مشتق من لفظة (عرف)، قال ابن فارس: "العين والرّاء والفاء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تتابع الشّيء متّصلا بعضه ببعْض، والآخر على السّكون والطّمأنينة. فالأوّل العرف: عرف الفرس. وسمّي بذلك لتتابع الشّعر عليه. والأصل الآخر المعرفة والعرفان. تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة. وهذا أمر معروف. لأنّ من أنكر شيئا توحّش منه ونبا عنه"[1]. وجاء في اللسان: "عرفه يعرفه عرفة وعرفانا ومعرفة واعترفه إذا علم به، والعرفان: العلم. ورجل عروف وعروفة: عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة. والمعارف: جمع معرف وهو الوجه، لأن الإنسان يعرف به، ومعارف الأرض: أوجهها وما عرف منها"[2].

---

[1]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج4 ص281.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ج9 ص236.

وخلاصة القول في لفظة (عرف) من خلال معجمات اللغة العربية تكاد تتفق على أنّها تدور حول العلم والإدراك.

**– اصطلاحا:** عرّف العلوي (المعرفة)، إذ قال: "اعلم أن المعرفةما دلت على شيء بعينه، والنكرة ما دلت على شيء ليس بعينه، والمعارف خمس؛ المضمرات، والأعلام، وأسماء الإشارة، ثم المعرف باللام، ثم المضاف إلى واحد من هذه إضافة معنوية، لا لفظية، وهي متفاوتة في التعريف"[1]، وعرّفها السكاكي بقوله: "ولا شبهة أن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد، كانت الفائدة في تعريفه أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف، وبعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند إليه، والمسند كلما ازداد تخصصا ازداد الحكم بعدا وكلما ازداد عموما ازداد قربا..."[2]، ويستشف من كلام السكاكي أنه يتحدث عن المسند إليه، والإخبار عنه، فكلما كان المسند إليه عاما كان احتمال ثبوت الحكم له في الخارج وفي نفس المتلقي أقرب.

وبهذا نستنتج أن المعرفة وظيفتها تأكيد الشيء المعرف وهي تزيده توضيحا، لأن النفس تكون أكثر تقبلا وتفاعلا مع ما سبق لها وإن أدركته[3]. وقد حدد النحاة المعارف في سبعة أسماء هي: الضمير، مثل: (أنا، أنت...)، والعلم، مثل: (خالد، وفاطمة)، واسم الإشارة، مثل: (هذا، أولئك)، واسم الموصول، مثل: (الذي، التي)، والمعرف بأل التعريف، مثل: (الرجل، والمرأة)، والمضاف إلى غير الضمير من المعارف السبعة، مثل: (زوجة خالد، وكتاب الرجل)، والنكرة المقصودة في النداء، مثل: (يا رجل).

**–أدوات التعريف:**

**أولا: التعريف بالضمير:** والأصل في الضمير أن يكون دالا على متكلم، أو مخاطب، أو غائب في حال الإفراد أو التثنية أو الجمع، وهي كالآتي[4]:

---

[1]– الطراز، العلوي، ج2 ص8.

[2]– مفتاح العلوم، السكاكي، ص178.

[3]– يراجع الأسس النفسية للأساليب البلاغية، ناجي عبد المجيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ط1984/1م، ص119.

[4]– يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص135، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص91، أساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، ص144.

**1- مقام التكلم:**

ومن وظيفته أن يؤتى به حينما يكون المقام مقام تكلم، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[1]، فالله سبحانه يعرف نفسه بضمير المتكلم (أنا)، لأن المقام مقام تكلم.

**2- ضمير المخاطب:**

ومن وظيفته أن يؤتى به حينما يكون المقام مقام خطاب، ومنه قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[2]، حيث نجد الضمير المخاطب في الآية الكريمة (أنت) هو المسند إليه، وقد جاء في مقام الخطاب.

**3- ضمير الغيبة:**

وهو الذي نتحدث فيه عن الغائب، لذا فهو يختلف عما قبله، لأن الغائب الذي نتحدث عنه لابد أن يسبق له ذكر، حتى يرتبط كلامنا بعضه ببعض، مثال ذلك قال تعالى: ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[3]، فالضمير هنا (هو)، سبق ما يدل عليه.

وللبلاغيين كلام في ضرورة تقدم ذكر المسند إليه بالنسبة لضمير الغائب: لفظا كما سبق في الآية، وإما معنى كقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[4]، والشاهد قوله: (ارجعوا)، فإنه لم يتقدم صراحة لفظ يدل على هذا الضمير – أعني (هو)– لكن تقدم ما يدل عليه في المعنى؛ كأنه قيل: وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا فالرجع أزكى لكم. ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمَا السُّدُسُ مِمَّا ترَكَ**﴾[5]، والمعنى:

---

[1]- سورة طه الآية14.

[2]- سورة البقرة الآية286.

[3]- سورة يونس الآية109.

[4]- سورة النور الآية28.

[5]- سورة النساء الآية11.

ولأبوي المتوفى (الميت)، ولم يسبق له ذكر، ولكن لما كانت الآية تتحدث عن الإرث والتركة، فإن ذلك يعلم من السياق.

والملاحظ أن الضمير قد يخرج عن التعبير المباشر لما وضع له إلى وظيفة بلاغية أخرى، كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾[1]، فقد أخرج الكلام في صورة الخطاب مع إرادة العموم تنبيها إلى سوء ما جرى لهم ذلا وانكسارا من أهوال يوم القيامة، حتى صار في غاية الظهور والوضوح.

**ثانيا: التعريف بالعلمية**: وهو العلم الذي يعين مسماه مطلقا، ويؤتى بالمسند إليه عَلَماً لأغراض عدة منها[2]:

### 1- لاستحضاره في ذهن السامع لتمييزه عن غيره:

فذكر العلم بدلا عن الضمير يقق وظائف لا يحققها الأخير، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يرْفَعُ إِبرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبنَا تقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[3]، والشاهد قوله: (إبراهيم... وإسماعيل)، قد ذكر المسند إليه علما، وذلك ليمتاز عن غيره بإحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص الدال عليه، وهو ما يعني أن ذكر الضمير لا يحقق هذه الوظيفة، لأنه لو جاء على هذه الصورة: (وإذ يرفعا القواعد من البيت)، فلن يكون له التميّز الذي جاء في الآية بذكر اسميهما.

### 2- لتعظيم المسند إليه أو إهانته كما في الألقاب:

ومثاله كقولنا: كتب حجة الإسلام الغزالي عددا من المؤلفات، ومثاله أيضا كقولنا: وقف أبو جهل في وجه دعوة الحق.

### 3- التبرك:

ومن أمثلته: الله أكرمني، في جواب: هل أكرمك الله؟ وغيرها من الوظائف؛ كالتفاؤل، والتشاؤم، والتلذذ.

---

[1]- سورة السجدة الآية12.

[2]- يراجع جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص93، أساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، ص147، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص136.

[3]- سورة البقرة الآية127.

**ثالثا: التعريف بالإشارة:**

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة، إذا تعيّن طريقا لإحضار المشار إليه في ذهن السامع، بأن يكون حاضرا محسوسا، ولا يعرف المتكلم والسامع اسمه الخاص، ولا معينا آخر، أما إذا لم يتعين طريقا لذلك فيكون لوظائف أخرى منها[1]:

**1- التعظيم:**

ومن وظيفته أن يكون باستعمال اسم الإشارة القريب، وتارة يكون بالبعيد، والسياق هو الذي يقرر ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2]، حيث استعمل اسم الإشارة (التي) للقريب، والوظيفة من استخدامه هي تعظيم القرآن (الذي هو المسند إليه في الآية الكريمة)، لأنه قريب من قلب المستمع أو المخاطب بما يضمه من محتوى طيب يهدي للتي هي أقوم، ونزل من القلب منزلة القرب الحسي.

وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين**﴾[3]، حيث استعمل اسم الإشارة (ذلك) للبعيد، والوظيفة من استخدامه تعظيم المشار إليه أو المسند إليه، وذلك لعلو مكانته وبعد منزلته، وخوطب باسم الإشارة للبعيد، لأنه نزل منزلة البعيد في المسافة الذي يساوي مع العالي في المكانة.

**2- التحقير:**

ومن وظيفته أن يكون في القرب وفي البعد، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بعَثَ اللَّهُ رَسُولًا**﴾[4]، ونجد أن اسم الإشارة (الذي) استخدم للقريب أيضا، ولكنه جاء على عكس استخدامه في الآية السابقة، ووظيفته تحقير المسند إليه، والحط من شأنه، لأن المشار إليه هو الرسول صلى اله عليه وسلم، وقد أراد الكفار باستخدام اسم الإشارة القريب أن يقللوا من شأنه صلى الله عليه وسلم، ويحطوا من قدره وقيمته.

---

[1]- يراجع جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص94، أساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، ص148، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص139.

[2]- سورة الإسراء الآية9.

[3]- سورة البقرة الآية1.

[4]- سورة الفرقان الآية41.

ومما سبق يتبين لنا أن أسماء الإشارة تستخدم لوظائف عديدة منها: استخدام اسم الإشارة للقريب بقصد، استخدام اسم الإشارة للبعيد بقصد، إظهار الاستغراب، والتعريض بغباوة المخاطب.

**رابعا: التعريف باسم الموصول:** والاسم الموصول من الأسماء المبهمة، ولذا فهو يحتاج إلى الصلة دائما، فالصلة هي التي تزيل إبهامه، والوظائف البلاغية التي يؤتى من أجلها بالاسم الموصول كثيرة ومنها[1]:

**1- تفخيم الأمر أو تهويله:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**﴾[2]، ففي الآية الكريمة تعبير عن دخول قوم فرعون أو جنوده إلى البحر فغطاهم الماء الذي أغرقهم، وقد عبرت الآية عن هول اللحظة التي غشيهم فيها الماء، فاستخدم الاسم الموصول الذي لا يحدد حجم الماء بقدر ما يعطي صورة مهولة عظيمة لهذا المشهد الكبير. فالوظيفة البلاغية من استخدام الموصول (ما) هي تفخيم الأمر أو تهويله وتضخيمه.

**2- زيادة تقرير الغرض الذي سيق الكلام من أجله:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾[3]، وجاءت الآية الكريمة لتقرر عفة يوسف عليه السلام، ونزاهته وهو في بيت امرأة العزيز، فاستخدم الاسم الموصول (التي) بدلا من استخدام اسمها الصريح أو لقبها (امرأة العزيز) لتؤكد على هذه النزاهة وتلك العفة لدى يوسف عليه السلام، وهو السياق الذي جاء به الكلام.

ومن هنا كانت الوظيفة البلاغية من استخدام الموصول هنا زيادة الغرض الذي سيق من أجله الكلام.

وهناك وظائف أخرى لاستخدام الموصول منها الحث على التعظيم، والحث على الترحم، والتهكم وتعليل الحكم وغيرها، مما لا يتسع المجال لذكره.

---

[1]- يراجع جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص95، أساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، ص150، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص140.

[2]- سورة طه الآية78.

[3]- سورة يوسف الآية23.

**خامسا: التعريف بالألف واللام:**

ويؤتى بالمسند إليه معرّفا بـ(أل) العهدية أو (أل) الجنسية، حيث يقول الجرجاني: "اللام موضوعة للدلالة على تعيّن المسند، كما أن التنوين موضوعا للدلالة على عدم تعينه، وأما كونه جنسا، أو استغراق جنس، أو عهدا، فإنما يستفاد من قرائن الأحوال، فإذا لم تكن القرينة، لم تخرج اللام عن دلالتها على تعيّن المسمى"[1]، وهو قسمان[2]:

**أ- (أل) العهدية:**

تدخل على المسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجا بين المتخاطبين، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

**1- العهد الصريح:** وهو أن يتقدم ذكر المعرف صراحة، كقوله تعالى: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**﴾[3]، فتعريف (الرسول) باللام للعهد الخارجي الصريح، لأن المعهود قد تقدم له ذكر صريح في قوله (رسولا).

**2- العهد الكنائي:** وهو أن لا يتقدم للمعرف بـ(أل) ذكر صريح، وإنما يتقدم ما يدل عليه كناية، كقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى**﴾[4]، فكلمة (أنثى) ذكرت مرتين: مرة منكرة في قوله (إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى)، ومرة معرفة في قوله (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى)، وهذا عهد صريح، لأن الكلمة نفسها قد ذكرت منكرة أولا.

**3- العهد العلمي أو الحضوري:** قد لا يسبق للمعرف بـ(أل) ذكر، لا صراحة ولا كناية، لكن للمخاطب علم به[5]، كقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ**

---

[1]- الكافي في علوم البلاغة العربية، علي العاكوب، سعد الشتيوي، ص115.

[2]- يراجع جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص96.

[3]- سورة المزمل الآية15، 16.

[4]- سورة آل عمران الآية36.

[5]- يراجع علم المعاني -دراسة وتحليل، محمود أبو زيد، ص84، الكافي في علوم البلاغة، علي العاكوب، ص113.

**الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾**[1]، فاللام في لفظة (الرسول) لام العهد العلمي، لأن (الرسول) معلوم من قبل ومعروف، لكنه لم يسبق له ذكر صريح أو كنائي قبل، وإنما معلوم لدى المخاطبين.

**ب- (أل) الجنسية:** وهي عندما يكون مدخولها موضوعا للحقيقة والماهية، وهي تبعا لمدخولها ثلاثة أقسام[2]:

**1- لام الحقيقة أو لام الجنس:** وهي التي يراد بمدخولها الحقيقة نفسها بصرف النظر عما يقع تحتها من أفراد، كقوله تعالى: **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنيَا﴾**[3]، فالمسند إليه (المال) معرفا ب(أل) للإشارة بها إلى الحقيقة نفسها، أي: جنس المال، وكذا جنس البنين في المعطوف.

**2- لام العهد الذهني:** وهي التي تدخل على فرد مبهم من أفراد الحقيقة إذا قامت القرينة على ذلك، كقوله تعالى: **﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾**[4]، فالمسند إليه (الذِّئْبُ) معرفا ب(أل) للإشارة بها إلى فرد غير معين من أفراد حقيقة (الذئب)، والقرينة الدالة هي (أَنْ يَأْكُلَهُ)، إذ دل الأكل على ذئب من الذئاب لا على الحقيقة، لأن الحقيقة أمر عقلي لا وجود له في الخارج، فلا يحصل منه أكل.

**3- لام الاستغراق:** وهي التي يراد بها جميع أفراد الحقيقة عند قيام القرينة على ذلك، كقوله تعالى: **﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾**[5]، فالمقصود جميع الناس، بدليل الاستثناء بعده الذي هو علامة إرادة العموم.

## سادسا: التعريف بالإضافة:

ويؤتى بالمسند إليه معرفا بالإضافة إلى شيء من المعارف، ابتغاء تحقيق جملة من الوظائف البلاغية، من أهمها[6]:

---

[1]- سورة الفرقان الآية27.

[2]- يراجع الكافي في علوم البلاغة، العاكوب، ص114، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص97، 98.

[3]- سورة الكهف الآية46.

[4]- سورة يوسف الآية13.

[5]- سورة العصر الآية1، 2.

[6]- يراجع الكافي في علوم البلاغة، العاكوب، ص116، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص98، البلاغة في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ص143، 144.

**1- الاختصار والإيجاز:** كون الإضافة أخصر طريق وأوجزه، مثل: كتابي جديد، وأصلها (الكتاب الذي هو لي) جديد، وقد قامت الإضافة هنا مقام التطويل.

**2- التشريف:** تضمن الإضافة تعظيما لشأن المضاف أو المضاف إليه أو غيرهما، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[1]، فجيء بالمنسد إليه (عبادي) معرفا بالإضافة لتضمن هذه الإضافة تعظيما لشأن المضاف (عباد)، لأنهم بذلك عباد الله سبحانه وتعالى.

وهناك وظائف أخرى ذكرها البلاغيون كالتحقير، والتخلص، إلى غير ما هنالك من وظائف تدل عليها القرائن.

## - ووظائف التعريف في تفسير البيضاوي:

تخرج هذه الأداة عن وظائفها الحقيقة إلى معان ووظائف بلاغية أخرى، ذكرها الإمام البيضاوي في تفسيره، وبيّن قيمتها البلاغية ، ومن أهمها الآتي:

**1- التعظيم:**

والمراد بهذه الوظيفة التقدير والإجلال الذي يقترن بالمحبة له والهيبة منه، فالتعظيم وظيفته إجلال المعظم وتقديره وإظهار تميزه عن غيره، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[2]، والشاهد قوله: (يَوْمِ الدِّينِ)، ويقول البيضاوي: "والمعنى يوم جزاء الدين، وتخصيص اليوم بالإضافة: إما لتعظيمه، أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه، وإجراء هذه الأوصاف على الله تعالى من كونه موجداً للعالمين رباً لهم منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها، مالكاً لأمورهم يوم الثواب والعقاب، للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه"[3]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية تعظيم للمضاف، لأنه يوم الجزاء.

وقال النسفي: "وهذا إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع، أي: مالك الأمر كله في يوم الدين والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع

---

[1]- سورة الحجر الآية42.

[2]- سورة الفاتحة الآيتان4، 5.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص28.

أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار فكانت الاضافة حقيقية فساغ أن يكون صفة للمعرفة"[1]، وتبعه في الرأي أبو السعود العمادي[2]. ويرى الشوكاني أن: "هذه الْإِضافة إلى الظّرْف على طريق الاتّساع، كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار ويوم الدّين وإنْ كان متأخّرا فقدْ يضاف اسْم الْفاعل وما في معْناه إلى الْمسْتقْبل، كقوْلك: هذا ضارب زيْدا غدا"[3]، أما القاسمي يرى أن هذه الإضافة تتضمن الوعد والوعيد، فيقول: "يتضمن الوعد والوعيد معا، لأن معنى الدين الخضوع، أي: إن له تعالى في ذلك اليوم السلطان المطلق والسيادة التي لا نزاع فيها، لا حقيقة ولا ادعاء، وإن العالم كله يكون فيه خاضعا لعظمته- ظاهرا وباطنا- يرجو رحمته، ويخشى عذابه، وهذا يتضمن الوعد والوعيد"[4].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن الإضافة هنا جاءت للتعظيم، لأنه لا يدعى أحد هنالك شيء، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ**﴾[5]، والشاهد قوله: (الْمُهْتَدِي)، ويقول البيضاوي: "والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء، وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها"[6]، ويشير البيضاوي أن مجيء المسند إليه (أل) في (المهتدي) للإشارة إلى التعظيم، وهذا ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة. وهذا هو الذي عليه جمع من المفسرين، ومنهم الزمخشري حيث يقول: "ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فلطف بهم وأعانهم، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة، وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح، واهتدى إلى السعادة، ومن تعرّض للخذلان، فلن يجد من يليه ويرشده

---

[1]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص30.

[2]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص295.

[3]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص26.

[4]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج1 ص238.

[5]- سورة الأعراف الآية183.

[6]- تفسير البيضاوي، ج3 ص43.

بعد خذلان الله"[1]. ومن هنا نجد أن أداة التعريف خرجت عن وظيفتها الحقيقية إلى وظيفة أخرى وهي التعظيم.

**2- التنبيه:**

وتأتي هذه الوظيفة لإدارة تنبيه المخاطب على خطأ وقع فيه بما تضمنته صلة الموصول مما يخالف معتقده[2]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3]، ويقول البيضاوي: "كرر فيه اسم الإشارة تنبيهاً على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الأثرتين وإن كلاً منهما كاف في تمييزهم بها عن غيرهم"[4]، فيرى البيضاوي أن تكرار المسند إليه اسم الإشارة (أولئك) في الآية الكريمة تنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحد من الهداية والفلاح، وعلق الزمخشري على الآية بقوله: "وفي اسم الإشارة الذي هو (أولئك) إيذان بأنّ ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عدّدت لهم"[5]. وفي ذلك يقول النسفي: "فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره ففيه تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح"[6]، وتبعه صاحب تفسير السراج المنير[7].

ووجه آخر يراه الشوكاني في هذه الآية الكريمة، إذ يقول: "وفي تكرير اسم الإشارة دلالة على أنّ كلّا من الهدى والفلاح مستقلّ بتميّزهم به عن غيرهم، بحيث لو انفرد أحدهما لكفى تميّزا على حياله. وفائدة ضمير الفصل الدّلالة على اختصاص المسند إليه بالمسند دون غيره"[8]. أما العلامة الطاهر بن عاشور يوضح وظيفة هذه الإشارة في الآية، بقوله: "وأصل الإشارة أن تعود إلى ذات مشاهدة معيّنة إلّا أنّ العرب قد يخرجون بها عن الأصل فتعود إلىذات مستحضرة

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص708.

[2]- يراجع البلاغة العربية -أسسها، علومها، فنونها، حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ج1 ص339.

[3]- سورة البقرة الآية5.

[4]- تفسير البيضاوي، ج1 ص40.

[5]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص43.

[6]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص43.

[7]- يراجع السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص44.

[8]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص44.

من الكلام بعد أن يذكر من صفاتها وأحوالها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلّم والسّامع، فإنّ السّامع إذا وعى تلك الصّفات وكانت مهمّة أو غريبة في خير أو ضدّه صار الموصوف بها كالمشاهد، فالمتكلّم يبني على ذلك فيشير إليه كالحاضر المشاهد، فيؤتى بتلك الإشارة إلى أنّه لا أوضح في تشخّصه، ولا أغنى في مشاهدته من تعرّف تلك الصّفات، فتكفي الإشارة إليها، هذا أصل الاستعمال في إيراد الإشارة بعد ذكر صفات مع عدم حضور المشار إليه"[1].

ونستنتج من هذه الأقوال أن الوظيفة البلاغية التي خرج إليها اسم الإشارة (أولئك) في الآية الكريمة؛ الفائدة منها التنبيه، وذلك بعد ذكر المشار إليه بأوصاف قبله، وهي الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق من الذين رزقهم الله. ومن وظائف اسم الإشارة أننا نجده يخلص الكلام، ويطوي جملا كثيرة، وفيه لون من الإيجاز والتنبيه معا.

### 3- إرادة البيان:

والمقصود بهذه الوظيفة الكشف عما في الضمير، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2]، ويقول البيضاوي: "الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الوظيفة البلاغية من مجيء المسند إليه (هذا) لإفادة البيان، لأن الذي يتلاءم مع فطرة العقول والنفوس، هو دين الإسلام.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري بقوله: "وهذا صراط ربك ولا تتّبعوا السّبل الطرق المختلفة في الدين، من اليهودية والنصرانية، والمجوسية، وسائر البدع والضلالات فتفرّق بكمْ فتفرقكم أيادى سبا عنْ سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام"[4]، وتبعه النسفي، وأبو السعود العمادي، والشوكاني[1]، وهذا ما جنح إليه العلامة ابن عاشور بقوله: "والإشارة إلى

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص241.

[2]- سورة الأنعام الآية153.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص190.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص80.

[1]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص549، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص201، فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص202.

الإسلام: أي وأنّ الإسلام صراطي فالإشارة إلى حاضر في أذهان المخاطبين من أثر تكرّر نزول القرآن وسماع أقوال الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، بحيث عرفه النّاس وتبيّنوه، فنزل منزلة المشاهد، فاستعمل فيه اسم الإشارة الموضوع لتعيين ذات بطريق المشاهدة مع الإشارة، ويجوز أن تكون الإشارة إلى جميع التّشريعات والمواعظ الّتي تقدّمت في هذه السّورة، لأنّها صارت كالشّيء الحاضر المشاهد"[1].

الملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه أن اسم الإشارة في هذه الآية؛ الغرض منه إرادة البيان والكشف عما في الضمير.

**4- الإظهار وتقوية الحجة:**

والمقصود بهذه الوظيفة استخدام الحجج، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ**﴾[2]، والشاهد لفظة (الحجر)، ويقول البيضاوي: "اللام فيه للعهد على ما روي أنه كان حجرا طوريا. مكعبا حمله معه، وكانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، تسيل كل عين في جدول إلى سبط، وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلاً، أو حجراً أهبطه آدم من الجنة، ووقع إلى شعيب عليه السلام فأعطاه لموسى عليه السلام مع العصا، أو الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الأدرة، فأشار إليه جبريل عليه السلام بحمله، أو للجنس وهذا أظهر في الحجة"[3]، ويرى البيضاوي أن تعريف المسند إليه باللام في (الحجر) أنه يحتمل وظيفتين: إما أن كون (اللام) للعهد، وهذا يحتمل أن يكون حجرا معينا، وإما يكون (اللام) للجنس فلا يحتمل التعيين، وهو أقوى حجة. ومنه فإن كانت (اللام) للعهد فهي إشارة إلى معهود ذهني معروف عند موسى عليه السلام، وإن كانت للجنس فهي أظهر في المعجزة.

وقد وضّح هذه الوظيفة الزمخشري بقوله: "واللام إمّا للعهد والإشارة إلى حجر معلوم، وإمّا للجنس، أي: اضرب الشيء الذي يقال له الحجر، وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة"[1]،

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج18 ص170.

[2]- سورة البقرة الآية60.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص83.

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص143.

وتبعه الرازي، والنسفي، وأبو حيان، وأبو السعود[1]. والظاهر من هذه التفاسير أنها متفقة على أن الآية الكريمة تحتمل وظيفتين في المسند إليه المعرف (باللام) وهو الإظهار وتقوية الحجة.

### 5- الإهانة:

والمقصود بهذه الوظيفة الإذلال والاحتقار، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾[2]، والشاهد قوله: (عَذَابَ الْهُونِ)، ويقول البيضاوي: "يريدون العذاب المتضمن لشدة وإهانة، فإضافته إلى الهون لعراقته وتمكنه فيه"[3]، ويستشف من كلام البيضاوي أن إضافة (العذاب) إلى المسند إليه (الهون)، وذلك لوصف الْعَذَابُ الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْهَوَانُ الشَّدِيدُ. وإلى هذا المعنى ذهب جل علماء المفسرين ومن أشهرهم: الزمخشري، النسفي[4]. وقال صاحب البحر المحيط: "إنّ هذا في القيامة كان عبارة عن يوم القيامة أو عن وقت خطابهم في النّار، وأضاف العذاب إلى الهون لتمكّنه فيه لأنّ التّنكيل قد يكون على سبيل الزّجر والتّأديب، ولا هوان فيه وقد يكون على سبيل الهوان"[5]. وذكر هذا الوجه الشوكاني: "الّذي تصيرون به في إهانة وذلّة بعد ما كنتم فيه من الكبر والتّعاظم"[6]. ويرى العلامة طاهر بن عاشور أن وظيفة الإضافة هنا للاختصاص، إذ يقول: "وإضافة العذاب إلى الهون لإفادة ما تقتضيه الإضافة من معنى الاختصاص والملك، أي العذاب المتمكّن في الهون الملازم له"[7].

وبناء على ما تقدم من شرح لهؤلاء المفسرين، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن الإضافة في هذه الآية الكريمة الغرض منها الإهانة، لأنه سيأتي اليوم الذي يتلقون عذاب الذل والهوان لا بظلم من الرحمن، وإنما بسبب أنهم كانوا في دنياهم يفترون على الله الكذب، وبسبب أنهم كانوا

---

[1]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج3 ص527، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص92، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1 ص366، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص105.

[2]- سورة الأنعام الآية93.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص172.

[4]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص46، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص522.

[5]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4 ص586.

[6]- فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص160.

[7]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج7 ص380.

معرضين عن آياته، وهناك وظائف كثيرة للتعريف، والتي تناولها البيضاوي في تفسيره وبين فيها جمال البلاغة القرآنية، كالتحقير، والمبالغة، والتأكيد والوصف والتمييز وغيرها من الوظائف.

وخلاصة القول؛ تعتبر أداة التعريف من الأدوات التي ساهمت في إبراز بلاغة الكلام، وما تحمله من قيم فنية وجمالية، تضفي بنا إلى معان عميقة تظهر مدى عظمة هذا الإعجاز القرآني وبلاغته. ولذا استعان البيضاوي بها في تفسيره حتى يثير في المتلقي أفكارا ومشاعر مثلما يثير أسلوبه إحساسا بروح الجمال ومتعته.

## ب- النكرة:

يجد المتتبع لما ذكره النحويون في تعريف النكرة، أنهم قد وجدوا صعوبة في إيجاد تعريف فاصل بينها وبين المعرفة بسبب تداخل الشكل مع المعنى والمعنى مع الشكل، حتى اكتفى بعضهم بالقول بأن المعرفة ضد النكرة.

- **لغة:** جاء في معجم مقاييس اللغة: "النّون والْكاف والرّاء أصْل صحيح يدلّ على خلاف الْمعْرفة الّتي يسْكن إليْها الْقلْب. ونكر الشّيْء وأنْكره: لمْ يقْبلْه قلْبه ولمْ يعْترفْ به لسانه"[1]. قَالَ الشاعر[2]:

**وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ * مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا.**

وقال ابن منظور: "نكر: النكر والنكراء: الدهاء والفطنة. ورجل نكر ونكر ونكر ومنكر من قوم مناكير: داه فطن، والنكر الأمر الشديد، والنكرة إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة. والنكرة: خلاف المعرفة. ونكر الأمر نكيرا وأنكره إنكارا ونكرا: جهله"[3]. وقال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**﴾[1]، ومعنى الآية: "فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تَصِل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة

---

[1]- مقاييس اللغة، أحمدبن فارس، ج5 ص476

[2]- ديوان الأعشى أبو بصير ميمون بن قيس الوائلي، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب القاهرة ط/1950م، ص101.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، ج5 ص232.

[1]- سورة هود الآية70.

وأضمرها، قالت الملائكة -لما رأت ما بإبراهيم من الخوف-: لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم"[1]، وهذا ما يفسر فطنة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وقال صاحب معجم الصحاح: "النكرة ضد المعرفة، وقد نكرت الرجل -بالكسر- نكرا ونكورا، وأنكرته واستنكرته بمعنى...وقد نكّره فتنكّر، أي: غيّره فتغيّر إلى مجهول"[2]. ومن خلال هذه التعاريف اللغوية نستشف أن مادة (نكر) ترجع إلى معنى الجهل وعدم المعرفة.

**-اصطلاحا:**

أورد علماء النحو والبلاغة تعاريف جمة ومتنوعة لمصطلح (النكرة) من الناحية الاصطلاحية، اختلفت لفظا وعبارة، واتفقت مضمونا ومعنى. ومن هذه التعاريف ما ذهب إليه النحاة، حيث عرّفوا (النكرة) بأنها: ما دل على غير معيّن، وقبل الدخول (أل) المعرفة عليه، أو وقع موقع ما يقبل (أل)[3]. أو هي عبارة عما شاع في جنس موجود أو مقدر[4]. أما صاحب معجم المصطلحات البلاغية فقال: "النكرة ما دل على شيء لا بعينه"[5]. وبيّن العلوي الفرق بين المعرفة والنكرة فقال: "المعرفة: ما دلت على شيء بعينه، والنكرة: ما دلت على شيء لا بعينه"[6]، أي: أن المعرفة ترتبط دلاليا بالوضوح والبيان، وحقيقة الشيء والإعلام، والتسمية والماهية، أما التنكير فيرتبط بالجهل بحقيقة الشيء، وعدم تعيينه أو تحديده، فهو ضد البيان والوضوح[1].

من خلال ما سبق يتضح أن وظيفة التنكير تقع لفوائد وتستعمل لمقاصد لا يمكن للتعريف أن يقوم بها لا من الوجهة اللغوية ولا من الوجهة البلاغية والدلالية، وكلها تستقي من السياق ومن مطابقته لمقتضى الحال والمقام.

---

[1]- التفسير الميسر، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص 423.

[2]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت ط4/(1407هـ-1987م)، ج2 ص836.

[3]- يراجع الكامل في الدراسات النحوية، محمد محمود هلال، مطبعة السعادة القاهرة ط/1970م، ص111.

[4]- يراجع شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار إحياء التراث العربي بيروت، ص93.

[5]- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج2 ص282.

[6]- الطراز، العلوي، ص208.

[1]- التعريف والتنكير في النحو العربي -دراسة في الدلالة والوظائف النحوية، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، ص19.

## -وظائف التنكير في تفسير البيضاوي:

مما سبق؛ نجد أن الوظيفة الحقيقية للتنكير الإبهام، ولكنه قد يخرج الإبهام عن وظيفته الأصلية إلى وظائف بلاغية متعددة، فقد يأتي لإفادة التعظيم والتكثير، والتعميم ، والتحقير، والتقليل وغيرها مما يستفاد من السياق. وقد تحدث البيضاوي عن هذه الوظائف البلاغية التييفيدها التنكير في تفسيره، وبيّن القيمة البلاغية منها، وأهم هذه الوظائف الآتي:

### 1- التعظيم:

والمراد بهذه الوظيفة أن المتكلم يلجأ إلى التعبير بالنكرة لإفادة معنى التعظيم، وللدلالة على أن النكرة بلغت من أهمية الشأن[1]، وهذه الوظيفة من أكثر الوظائف التي ذكرها البيضاوي، ولكن سنكتفي بذكر أهمها؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتقُونَ**﴾[2]، والشاهد قوله: (حياة)، ويقول البيضاوي: "وعرف (القصاص) ونكر (الحياة)، ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعاً من الحياة عظيماً"[3]، ويرى البيضاوي أن تنكير (الحياة) في الآية الكريمة تدل على حياة عظيمة، حرية بأن يحافظ عليها. وهذا القول صرّح به جماعة من أهل التفسير في كتبهم، فمن ذلك الزمخشري إذ قال: "كلام فصيح لما فيه من الغرابة، وهو أنّ القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جعل مكانا وظرفا للحياة، ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأنّ المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة"[1]، وكذلك ذكر نحوه الرازي، والنسفي، وأبو حيان، وصاحب السراج المنير، وأبو السعود، والقاسمي[2]، ويقول العلامة الطاهر بن عاشور بعبارة أكثر وضوحا: "والتنكير في حياة

---

[1]- يراجع أساليب المعاني، السيد جعفر، ص302.

[2]- سورة البقرة الآية179.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص122.

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص222.

[2]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج5 ص229، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص156، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص129، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج2 ص8.

للتّعظيم بقرينة المقام، أي في القصاص حياة لكم أي لنفوسكم فإنّ فيه ارتداع النّاس عن قتل النفوس"[1].

نستنتج من هذه الأقوال أن جل المفسرين والبلاغيين اتفقوا على تنكير لفظة (حياة) لإفادة التعظيم، ليدل على أن في القصاص حياة متطاولة.

**2- التعميم:**

والغرض من هذه الوظيفة الاشتراك في الصفات سواء كان في صفات الحق كالحياة والعلم، أو صفات الخلق كالغضب والضحك، وبهذا الاشتراك يتم الجمع وتصح نسبته[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاتقُوا يوْمًا لَا تَجْزِي نفْسٌ عَنْ نفْسٍ شَيْئًا وَلَا يقْبَلُ مِنهَا عَدْلٌ وَلَا تنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ ينْصَرُونَ**﴾[3]، والشاهد قوله: (نفْسٌ عَنْ نفْسٍ)، ويقول البيضاوي: "وإيراده منكراً مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي والجملة صفة ليوماً"[4]، والذي يفهم من كلام البيضاوي أن لفظة (نفس) نكرة في سياق النفي، فتكون عاما، فلا تجزي ولا تغني نفس عن نفس أبدا.

ويوضح أبو حيان فائدة التنكير بعبارة أكثر شمولا، فيقول: "نفسعنْ نفْس شيْئا كلاهما نكرة في سياق النفْي فتعمّ. ومعْنى التنْكير: أنّ نفْسا من الْأنفس لا تجْزي عنْ نفْس من الْأنفس شيْئا من الْأشياء"[5]، وهذا ما جنح إليه العلامة ابن عاشور: "وتنكير النفس في الموضعين وهو في حيّز النفي يفيد عموم النفوس، أي: لا يغني أحد كائنا من كان فلا تغني عن الكفّار آلهتهم ولا صلحاؤهم على اختلاف عقائدهم في غناء أولئك عنهم"[1]. أما الزمخشري فيرى أن الغرض من هذا التنكير الإقناط، حيث يقول: "ومعنى التنكير أن نفسا من الأنفس لا تجزى عن نفس منها شيئا من الأشياء، وهو الإقناط الكلى القطاع للمطامع"[2]، وتبعه الرازي[3]. وقد خالفهم الشوكاني

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج2 ص144.

[2]- يراجع التعريفات، الشريف الجرجاني، ص203.

[3]- سورة البقرة الآية48.

[4]- تفسير البيضاوي، ج1 ص78.

[5]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص302.

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص484.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص135.

[3]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج3 ص494.

في تفسيره لهذه الآية، فقال: "المراد أن هذا اليوم لا تقضي نفس عن نفس شيئا، ولا تكتفي عنها، ومعنى التنكير التحقير، أي: شيئا يسيرا حقيرا"[1].

والذي يترجح لنا أن الصواب هو ما ذهب إليه البيضاوي، لأنه حمل الآية على الوجهين وهما: التعميم والإقناط.

**3- التحقير:**

والمقصود بهذه الوظيفة أن يلجأ المتكلم إلى التعبير بالنكرة لإفادة معنى التحقير، وهذه الوظيفة مفادها من السياق، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ**﴾[2]، والشاهد قوله: (أُوتُوا نَصِيبًا)، ويقول البيضاوي: "وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير"[3]، ويستشف من كلام البيضاوي أن التنكير في هذه الآية الكريمة يحتمل وظيفتين وهما: التعظيم، والتحقير. وقد أشار إلى ذلك الزمخشري في كتابه الكشاف بقوله: "حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم"[4]، ويرى صاحب السراج المنير –إضافة إلى ما ذكره البيضاوي- أن: "النصيب يحتمل التعظيم والتحقير، أمّا التعظيم فظاهر وهو ما اقتصر عليه (الزمخشريّ)، وأمّا التحقير ففيه نظر، إذ النصيب المراد به الكتاب أو بعضه لا حقارة فيه وقد يقال: إن تحقيره بالنسبة إليهم حيث لم يعملوا به"[5].

وعقب العلامة الكازروني على كلام البيضاوي، فقال: "فالأول أن يعطوا نصيبا وافرا من التوراة، والثاني أن يعطوا شيئا قليلا، لكن الأول أنسب بهذا المقام، لأن المقام مقام توبيخ وهو يناسب العلم الكثير"[1]، ولأبي السعودكلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "والتعبير عنه بالنصيب للإشعار بكمال اختصاصِه بهم وكونِه حقاً من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعملُ

[1]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص168.
[2]- سورة آل عمران الآية23.
[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص10.
[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص348.
[5]- السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص205.
[1]- حاشية العلامة الخطيب الكازروني على تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ج2 ص21.

بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحملُه على التحقير لا يساعده مقامُ المبالغة في تقبيح حالِهم"[1]، ومن ثم رد الشوكاني على القائلين بأن التنكير في هذه الآية يحتمل وجهين، فيقول: "وتنكير (النّصيب) للتّعظيم، أي: نصيبا عظيما، كما يفيده مقام المبالغة، ومن قال: إنّ التّنكير للتّحقير فلم يصب"[2]، ونجد العلامة ابن عاشور قد خالفهم في هذه الوظيفة، حيث يقول: "وتنْكير (نصيبا) للنّوْعيّة، وليْس للتّعْظيم لأنّ الْمقام مقام تهاون بهمْ، ويحْتمل أنْ يكون التّنْوين للتّقْليل"[3].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه، أن الصواب هو ما ذهب إليه البيضاوي وهو رأي أكثر المفسرين، خلافا لما ذهب إليه الشوكاني، والطاهر بن عاشور.

**4- المبالغة:**

إن المراد بهذه الوظيفة أن الكلمة قد تنكر للدلالة على المبالغة في الشيء، من ذلك قوله تعالى: ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[4]، ويقول البيضاوي: "بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه، أو حال بمعنى أنهم مجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين، فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم، واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان"[1]، وإذا حللنا كلام البيضاويوجدناه يبين أن في قوله (لَوْمَةَ لَائِمٍ) مبالغتان، إحداهما في وحدة اللومة، والثانية في تنكير (لائم)، إذ هو يفيد أنهم لا يخافون أي لومة من أي لائم كان، سواء كان من الأقارب أو الأباعد، أو الأصحاب، أو غيرهم.

---

[1]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج2 ص20.

[2]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص376.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج3 ص208.

[4]- سورة المائدة الآية54.

[1]- تفسير البيضاوي، ج2 ص131.

ويوضح هذا الغرض الزمخشري، حيث يقول: "وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام"[1]، وتبعه النسفي، وصاحب (السراج المنير)، وأبو السعود[2].

وقال الرازي: "واللّومة المرّة الواحدة من اللّوم، والتّنكير فيها وفي اللائم مبالغة، كأنه قيل: لا يخافون شيئا قطّ من لوم أحد من اللّائمين"[3]، وللألوسي كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "وفي اللومة مع تنكير لائم مبالغتان على ما قيل، ووجه ذلك العلامة الطيبي بأنه ينتفي بانتفاء الخوف من اللومة الواحدة خوف جميع اللومات لأن النكرة في سياق النفي تعم، ثم إذا انضم إليها تنكير فاعلها يستوعب انتفاء خوف جميع اللوّام، فيكون هذا تتميما في تتميم أي لا يخافون شيئا من اللوم من أحد من اللوّام"[4]. والظاهر من هذه التفاسير أنها متفقة مع الإمام البيضاوي في الوظيفة البلاغية التي أخذها التنكير وهي المبالغة.

**5- التقليل:**

والقصد إرادة معنى تقليل المسند إليه، كقوله تعالى: ﴿**سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**﴾[5]، والشاهد قوله: (ليلا)، ويقول البيضاوي: "وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء"[6]، ويشير البيضاوي أن الغاية من تنكير المسند إليه (ليلا) في الآية الكريمة هو التقليل، لأن المدة التي أسري فيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- كانت في بعض الليل.

وتساءل الزمخشري عن ذكر (الليل) في هذه الآية فقال: "قلت: أراد بقوله لَيْلًا بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة،

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص648.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص454، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص382، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص52.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج12 ص380.

[4]- روح المعاني، الألوسي، ج3 ص331.

[5]- سورة الإسراء الآية1.

[6]- تفسير البيضاوي، ج3 ص247.

وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية"[1]، وهو ما استحسنه كل من الرازي، والنسفي، والشوكاني[2]، ويرى القاسمي أن تنكير المسند إليه (ليلا) للتأكيد، حيث يقول: "فقوله (لَيْلًا) للتأكيد أو للتجريد عن بعض القيود. مثل: أسعفت مرامه. مع أن الإسعاف قضاء الحاجة. أو للتنبيه على أنه المقصود بالذكر"[3].

أمّا العلامة ابن عاشور فيرى أن الفائدة من هذا التنكير التعظيم، حيث يقول: "فتنكير ليلا للتّعظيم، بقرينة الاعتناء بذكره مع علمه من فعل أسرى، وبقرينة عدم تعريفه، أي هو ليل عظيم باعتبار جعله زمنالذلك السّرى العظيم، فقام التّنكير هنا مقام ما يدلّ على التّعظيم"[4].

نستنتج من أقوال المفسرين أن هناك ليس اختلاف في الوظيفة، لأن البيضاوي جعل تنكير (الليل) على أساس المدة الزمنية التي استغرقها السير وهي مدة قليلة، وأيضا ليدل على قصرالليل، أما العلامة ابن عاشور فجعل تنكير (الليل) للتعظيم، وهذا ليتوسّل بذكر اللّيل كما هو صالح للسفر.

وبهذا يتضح لنا أن البيضاوي قد أدرك بحسه الوظيفة البلاغية، وما يحويه من لطائف وأسرار، منها إشارته إلى خروج أداة التنكير عن وظيفتها الحقيقية إلى وظائف أخرى ينبض بها بيان القرآن الكريم.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص646.

[2]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج20 ص291، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص244، فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص245.

[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج6 ص427.

[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15 ص9.

## المبحث السادس: الالتفات

**توطئة:**

تناول علماء البلاغة في تتبعهم لموضوعات علم البلاغة أدوات أخرى، تتصل اتصالا مباشرا بعلم المعاني، وتمتاز بكونها أدوات فنية تخرج صيغها عن مقتضى الظاهر، وهي تعبر عن وظائف بلاغية، وأسرار بيانية تقتضيها مقامات المخاطبين وأحوالهم المختلفة.

وقد تباينت أراء البلاغيين في تصنيف بعض هذه الأساليب بين مباحث علم المعاني وعلم البديع، ولكن عند التأمل نجد أن وظيفتها لا تقتصر على تحسين المعنى وتزيينه فقط، بل هي أدوات أساسية في نظم الكلام وتأليفه، فوجودها ضروري في أي تعبير بليغ، فبواسطتها يختار اللفظ بعناية، ويعبر عن المعنى بدقة، ويوفر لهما قدر من الجمال الفني، يكون مناسبا لمقتضيات الأحوال، ومتطلبات الإيضاح والبيان. ولعل من أبرز أدوات علم المعاني الالتفات.

**-مفهوم الالتفات:**

**أ-لغة:** مصطلح الالتفات في اللغة مشتق من لفظة (لفت) الثلاثية، وتقدم لنا معجمات اللغة لفيفا من الوظائف التي توجهنا إلى أصل اشتقاقه بحيث تكاد تشبه بعضها البعض، حيث يقول الخليل: "لفت اللفت:اللَّفْتُ: لَيُّ الشيءِ عن جهته كما تَقبِضُ على عُنُق إنسانٍ فتلفته، واللَّفتُ والفَتْل واحدٌ. ولَفَتُّ فلاناً عن رأيه، أي: صَرفتُه عنه، ومنه الالتِفات"[1].

وقال ابن فارس: "(لَفَتَ) اللّام والفاء والتّاء كلمة واحدة تدلّ على اللّيّ وصرف الشّيء عن جهته المستقيمة. منه لفتّ الشّيء: لويته. ولفتّ فلانا عن رأيه: صرفته. والألفت: الرّجل الأعسر"[2]. وقال ابن منظور: "لفت: لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه. وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه"[1]، قال تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾[2]،

---

[1]- العين، الخليل، ج8 ص121.

[2]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5 ص258.

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج2 ص84.

[2]- سورة يونس الآية78.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾[1]، أي: أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب.

وخلاصة القول في لفظة (لفت) من خلال معجمات اللغة العربية تكاد تتفق على أنها إما الصرف عن الشيء، أو الإقبال على الشيء.

**ب–اصطلاحا:** أورد علماء البلاغة تعاريف جمة ومتنوعة لمصطلح الالتفات، اختلفت لفظا وعبارة، واتفقت مضمونا ومعنى. ومن هذه التعاريف ما ذهب إليه (ابن معتز) حيث عرفه بقوله: "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[2]، وعرفه العلوي بقوله: "هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"[3]، وقال ابن الأثير: "وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض"[4].

وعرفه الزركشي بقوله: "وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسّامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لخاطره من الملال والضّجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"[5]، وللقرطاجني كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "والصورة الالتفاتية: هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض، وأن ينعطف من إحداهما إلى الأخرى انعطافا لطيفا من غير واسطة، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحول"[1].

ويقول السكاكي: "واعلم أن هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر،

---

[1]– سورة هود الآية81.

[2]– البديع في البديع، عبد الله المعتز، دار الجيل ط1/(1410هـ–1990م)، ص152.

[3]– الطراز، العلوي، ج2 ص132.

[4]– المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص135.

[5]– البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص314.

[1]– منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ابن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية تونس، ص101.

ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني"[1]، وبيّن صاحب الإيضاح بأنه: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"[2]، أي: التعبير عنه عن طريق التكلم، والخطاب، والغيبة.

ومن خلال هذه التعريفات نستشف أن (الالتفات) هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أو عن صيغة إلى صيغة، كأن يعدل عن التكلم إلى الخطاب، أو عن التكلم إلى الغيبة، أو عن الخطاب إلى الغيبة بالعكس، أو أن يعدل المتكلم من المفرد إلى المثنى، لوظيفة تقتضي ذلك العدول كأن يكون لتأكيد أو إزالة الشك عنه أو غير ذلك.

**-أغراض الالتفات:**

الالتفات من الأدوات البلاغية ذات اللطائف النفيسة، والتي لها شأن في علم البلاغة، وهو فن بديع من فنون القول يشبه تحريك آلات التصوير السينمائي، بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها[3]، وهذا الذي جعل الزركشي يقسمه إلى وظيفتين أساسيتين، وهما: "وظائف عامة، ووظائف خاصة، فمن الوظائف العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب بصفائه، واتساع مجاري الكلام، ولفت انتباهه، أما الخاصة فتختلف باختلاف محاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم"[4]، وبيّن الزمخشري هذه الوظيفة أيضا فقال: "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد"[1]، أي: أنه أحد طرق العرب في الافتنان في الأسلوب لجذب الانتباه وإيقاظ النفس وتحريكها لقبول ما يلقى إليها، وإيقاظ النفس وتطريتها، وبعث النشاط فيها غاية من الغايات التي يسعى إليها المتكلم.

---

[1]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص199.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج2 ص86.

[3]- يراجع البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني، ج1 ص480.

[4]- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص314.

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص14.

وذكر ابن الأثير أن الالتفات لا يختص بضابط واحد يجمعه، وإنما يكون على حسب مواقعه في كل جملة، وهدفه حينئذ العناية بالمعنى المقصود[1]، وتكون وظيفته إذن أداء المعنى على أكمل صورة، وأدق تعبير، ومن أبرز تلك الوظائف: قصد تعظيم شأن المخاطب، والتنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه، وقصد المبالغة، وقصد الدلالة على الاختصاص، وقصد الاهتمام، وقصد التوبيخ، والدلالة على علو المكانة[2].

ومن وظائف الالتفات نذكر الآتي[3]:

**1- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب**: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ**﴾[4]، فقد جاء الكلام بضمير الغائب: (جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ)، ثم انتقل إلى ضمير الخطاب (كنزتم)، ولم يقل (ما كنزوا).

**2- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة**: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا**﴾[5]، فقد جاء بضمير الخطاب (كنتم)، ثم انتقل إلى الغائب، فقال (وجرين بهم)، ولم (وجرين بكم).

**3- الالتفات من التكلم إلى الغيبة**: ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[1]، فقد جاء الكلام بضمير المتكلم (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ)، ثم انتقل إلى ضمير الغائب (لربك)، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، والأصل أن يقول (فصل لنا).

**4- الالتفات من الغيبة إلى التكلم**: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ**

---

[1]- يراجع المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص173.

[2]- يراجع الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج2 ص129، الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص56.

[3]- يراجع أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر، ص398، 399، البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني، ص484.

[4]- سورة التوبة الآية35.

[5]- سورة يونس الآية22.

[1]- سورة الكوثر الآيتين1، 2.

**الْعَلِيمِ﴾**[1]، فقد التفت من الغيبة في قوله (فَقَضَاهُنَّ) و(وَأَوْحَى)، إلى التكلم بقوله (وَزَيَّنَّا)، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: وزيّن السماء.

**5- الالتفات من الخطاب إلى التكلم**: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[2]، فقد التفت من الخطاب (فَاقْضِ)، إلى التكلم في (تَقْضِي)، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (نقضي).

**6- الالتفات من التكلم إلى الخطاب**: ومنه قوله تعالى: **﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[3]، فقد عبر عن المعنى أولا بطريق التكلم، فقال: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ)، ثم التفت فعبر عنه بطريق الخطاب، فقال: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (وإليه أرجع)، وذلك لما في الالتفات من وظيفة التلطف والترفق مع المخاطب، فأبرز الكلام في صورة من ينصح نفسه تلطفا بهم، فهو لا يبغي لهم إلا ما يبغيه لنفسه فإذا انقضى غرضه، كشف عن مراده، وبيّن أن القصد إليهم وهو تحذيرهم من أنهم راجعون إلى الله تعالى.

**-وظائف الالتفات في تفسير البيضاوي**: لقد كشف الإمام البيضاوي عن الوظيفة التي تضفيها هذه الأداة على الكلام، والقيمة البلاغية الجمالية المستفادة من وروده في الكلام، وسنتعرض لبعض الوظائف البلاغية للالتفات كما بينها البيضاوي، وأهمها:

**أولا: الوظائف البلاغية للالتفات من الغيبة إلى الخطاب:**

ووظيفته أن يكون أولا بلفظ الغيبة ثم يحدث عدول وانتقال من ذلك إلى الخطاب، ومن أهم وظائفه ما يلي:

**1- تعظيم شأن المخاطب:**

ومن أمثلته قوله تعالى: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**[1]، وقال البيضاوي: "خوطب بذلك، أي: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة، ليكون أدل على الاختصاص، وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من

---

[1]- سورة فصلت الآية12.

[2]- سورة طه الآية72.

[3]- سورة يس الآية22.

[1]- سورة الفاتحة الآيات1، 2، 3، 4.

الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً، بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه، ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عياناً ويناجيه شفاهاً"[1]، ويستشف من كلام البيضاوي أن النص جار وفق أسلوب الغائب في قوله (الحمد لله رب العلمين)، ثم انتقل إلى أسلوب الخطاب في قوله (إِيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، والهدف من هذا تعظيم شأن المخاطب.

وتساءل الزمخشري عن تفسيره لهذه الآية فقال: "فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم"[2]، وتبعه النسفي، وصاحب السراج المنير[3]، ولأبي حيان كلام لطيف يحسن إيراده في هذا السياق، وذلك حيث يقول: "التفات لأنّه انتقال من الغيبة، إذ لو جرى على نسق واحد لكان إيّاه. والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التّكلّم، ومن الخطاب للغيبة أو التّكلّم، ومن التّكلّم للغيبة أو الخطاب. والغيبة تارة تكون بالظّاهر، وتارة بالمضمر، وشرطه أن يكون المدلول واحدا. ألا ترى أنّ المخاطب ب(إيّاك) هو اللّه تعالى؟ وقالوا فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام، والاقتدار على التّصرّف فيه"[1]، وذكر أبو السعود هذا النوع من الالتفات فقال: "التفات من الغيبة إلى الخطاب وتلوينٌ للنظم من باب إلى باب جارٍ على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلَك البراعة حسبما يقتضي المقام لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كلّ واحد من الآخرين"[2].

نستنتج من هذه الأقوال أنّ جلّ المفسرين اتفقوا على انتقال من الغيبة إلى الخطاب في هذه الآية الكريمة، لإفادة تعظيم شأن المخاطب.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج1 ص28.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص11.

[3]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص30، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص9.

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج1 ص40.

[2]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص15.

**2- الدلالة على التشريف:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**يَاأَيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكررا، ثم الرجوع إليه في قوله: (خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)، إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة لأجله"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أنه قد بدئ سياق الآية الكريمة بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم (أحللنا لك)، ثم عدل عن ذلك إلى الإخبار عنه بطريق الغيبة (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ)، ثم عدل عن ذلك مرة أخرى إلى طريق الخطاب (خالصة لك). والغرض من هذا كله للتشريف. والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري، والرازي[3].

والذي يظهر من سياق كلامهم أن إيثار العدول إلى الغيبة بلفظ (النبي) يتآزر في وظيفته مع وصف المرأة الواهبة نفسها بصفة الإيمان (وامرأة مؤمنة)، فالإيمان هو وصف لكل من وقع عليهن فعل الإحلال في الآية الكريمة، ولكن هذا الوصف قد أوثر ذكره مع الواهبة نفسها لكي يتضافر مع العدول إلى لفظ النبي في رفع الحرج الذي قد يبلغ ذروته في صدره صلى الله عليه وسلم نحو خصوصية الهبة، ومن هنا كانت الوظيفة البلاغية لهذا الالتفات في الآية الكريمة، التشريف، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يستحق هذا التشريف.

---

[1]- سورة الأحزاب الآية50.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص235.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص554، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج25 ص177.

**ثانيا: الوظائف البلاغية من الخطاب إلى الغيبة:**

والمقصود بهذه الوظيفة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، وأهمها:

**1- المبالغة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن هناك انتقال من الخطاب (كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ) إلى الغيبة (وَجَرَيْنَ بِهِمْ)، لتحقيق وظائف عدة منها، أنهم لما كانوا في الفلك وهي راسية بهم خوطبوا، فلما جرت بهم وابتعدوا إلى داخل البحر لاءم أن يلتفت من خطابهم إلى الغيبة، وأنهم وقت الركوب استحضروا الخشوع، وذكروا الله لأنهم خافوا الهلاك وتقلب الرياح، فخوطبوا عندئذ ونودوا نداء الحاضرين فلما جرت بهم بما تشتهي أنفسهم بريح (طيبة) وآمنوا الهلاك، لم يبق حضورهم، وتلك عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب[3]، فلما غابوا عند جري الفلك بهم بريح طيبة، التفت عنهم، والغرض من هذا الالتفات المبالغة.

وقد تساءل الزمخشري عن الغرض في هذا الانتقال، حيث قال: "فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟قلت: المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح"[1]، وهو ما استحسنه كل من النسفي، والشوكاني[2]، ويرى الرازي أن الالتفات في هذه الآية الغرض منه المقت والتبعيد، حيث يقول: "(حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ) خطاب الْحضور، وقوله: (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) مقام الغيبة، فههنا انتقل من مقام الحضور إلى مقام الغيبة، وذلك يدلّ على المقت والتّبعيد والطّرد، وهو اللّائق بحال هؤلاء، لأنّ من كان صفته أنّه يقابل إحسان اللّه تعالى إليه بالكفران، كان اللّائق به ما ذكرناه"[3]، ووجه آخر ذكره الرازي

---

[1]- سورة يونس الآية22.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص109.

[3]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج2 ص186، المثل السائر، ابن الأثير، ص168، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3 ص318.

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص337.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص14، فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص494.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج17 ص234.

فقال: "والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوى أحوالهم ليعجّبهم منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح"[1].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه أن في الآية التفات، والوظيفة البلاغية منه المبالغة، لأن الالتفات إلى الغيبة، للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم، كأنه يذكر لغيرهم مساوئ أحوالهم ليعجّبهم منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح، ولذا عدل عن الْخطاب إلى الْغيْبة حتّى لا يكون الْمؤْمنون يخاطبون بصدور مثْل هذه الْحالة الّتي آخرها الْبغْي.

## 2- الدلالة للتعظيم والتعميم:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾[2]، ويقول البيضاوي: "والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفاً لحالهم، أو للتعميم كأنه قال: فمن فعل ذلك (فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ)، والراجع منه محذوف إن جعلت (مَا) موصولة تقديره: المضعفون به، أو فَمُؤْتُوه أولئك هم المضعفون"[1]، ويشير البيضاوي أن الانتقال من الخطاب (وَمَا آتَيْتُمْ) إلى الغيبة (فَأُولَئِكَ هُمُ)، ولم يقل: (أنتم المضعفون)، لِلتّنويه بهؤلاء مع ما في الإشارة من التعظيم لدلالته على علو المرتبة وترك ما أتوا، وارتفاع منزلتهم عند الله تعالى.

ولعلّ مما يوضّح ذلك قول الزمخشري: "التفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم: (هم المضعفون). فهو أمدح لهم من أن يقول: (فأنتم المضعفون). والمعنى: المضعفون به، لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى ما"[2]، وتبعه أبو حيان[3]، وأومأ إلى هذا القول النسفي: "التفات حسن لأنه يفيد التعميم كأنه قيل من فعل هذا فسبيله سبيل

---

[1]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج4 ص134.

[2]- سورة الروم الآية39.

[1]- تفسير البيضاوي، ج4 ص207.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص481.

[3]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8 ص391.

المخاطبين والمعنى المضعفون به لأنه لا بدله من ضمير يرجع إلى ما الموصولة"[1]، وذكر هذا الوجه أيضا الألوسي فقال: "والالتفات عن الخطاب حيث قيل: فأولئك دون فأنتم للتعظيم كأنه سبحانه خاطب بذلك الملائكة عليهم السلام وخواص الخلق تعريفا لحالهم"[2].

والذي يظهر من خلال سياقاتهم في الكلام، أن في الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة، والغرض منه التعظيم أو التعميم، لأن في عدوله عن الخطاب إلى الإخبار إيماء إلى أنه لم يخص به المخاطبون، بل هو عام في جميع المكلفين إلى قيام الساعة.

**ثالثا: الوظائف البلاغية للالتفات من الغيبة إلى التكلم:**

والمراد بهذه الوظائف الانتقال من الغيبة إلى التكلم، منها:

**1- التعظيم:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[3]، ويقول البيضاوي: "وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات"[4]، ويشير البيضاوي إلى خروج ضمير الغائب (أسرى بعبده) إلى المتكلم (لنريه)، والظاهر أن يقال: (ليريه)، والوظيفة البلاغية من ذلك تعظيم تلك البركات والآيات المعجزة.

ويوضح ذلك الزمخشري فيقول: "ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم، فقيل: أسرى ثم باركنا ثم ليريه، على قراءة الحسن، ثم من آياتنا، ثم إنه هو، وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة"[1]، وهو ما استحسنه الشوكاني أيضا[2]، وهذا ما جنح إليه أيضا الألوسي: "وصرف الكلام من الغيبة التي في قوله سبحانه (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) إلى صيغة

---

[1]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص702.

[2]- روح المعاني، الألوسي، ج11 ص45.

[3]- سورة الإسراء الآية1.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص247.

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص646.

[2]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص245.

المتكلم المعظم في (باركْنا)، و(نريه آياتنا)، لتعظيم البركات والآيات لأنها كما تدل على تعظيم مدلول الضمير تدل على عظم ما أضيف إليه وصدر عنه كما قيل إنما يفعل العظيم العظيم"[1].

نستنتج من هذه الأقوال أن الالتفات في الآية الكريمة أفاد قيمة بلاغية، وهي إخراج الغائب إلى صيغة المتكلم لتعظيم الدلائل والمعجزات الإلهية.

## 2- المبالغة في الترهيب:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[2]، ويقول البيضاوي: "نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحاً بالمقصود فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير"[3]، ويستشف من كلام البيضاوي أن الانتقال من الغيبة إلى التكلم في هذه الآية الكريمة، لغرض تربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري، إذ قال: "نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم، وجاز لأنّ الغالب هو المتكلم، وهو من طريقة الالتفات، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم"[4]، وتبعه الشوكاني[5]، وكذلك ذكر نحوه الرازي، إذ قال: "وهذا رجوع من الغيبة إلى الحضور، والتّقدير: أنّه لما ثبت أنّ الإله واحد وثبت أنّ المتكلّم بهذا الكلام إله، فحينئذ ثبت أنّه لا إله للعالم إلّا المتكلّم بهذا الكلام، فحينئذ يحسن منه أن يعدل من الغيبة إلى الحضور"[1].

أما العلامة ابن عاشور فيرى أن الالتفات في هذه الآية الغرض منه الاهتمام، حيث يقول: "ووقع في ضمير (فإيّاي) التفات من الغيبة إلى التّكلّم لمناسبة انتقال الكلام من تقرير دليل وحدانيّة اللّه على وجه كلّيّ إلى تعيين هذا الواحد أنّه اللّه منزّل القرآن تحقيقا لتقرير العقيدة الأصليّة. وفي هذا الالتفات اهتمام بالرّهبة لما في الالتفات من هزّ فهم المخاطبين"[2].

---

[1]- روح المعاني، الألوسي، ج8 ص14.

[2]- سورة النحل الآية51.

[3]- تفسير البيضاوي، ج3 ص229.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص610.

[5]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص202.

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج20 ص219.

[2]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج14 ص172.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شروح هؤلاء المفسرين، أن في الآية التفات خرج من الغيبة إلى التكلم، والهدف من ذلك المبالغة في الترهيب.

**رابعا: الوظائف البلاغية من التكلم إلى الغيبة:**

والمقصود بهذه الوظيفة الانتقال من التكلم إلى الغيبة لغرض بلاغي، ومنها:

**1- التنبيه:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[1]، ويقول البيضاوي: "تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه، وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة التفات من التكلم في قوله (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)، إلى الغيبة عند دعوتهم إلى الإيمان (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)، والظاهر أن يقال: (فآمنوا بالله وبي)، ولكن الآية عدلت عن ذلك إلى ما جاءت عليه.

والوظيفة من الالتفات هنا أن الإيمان بالرسول ليس إيمانا لذاته، فالرسل لا يتبعون لذواتهم، بل لأنهم رسل من عند الله، ولذا جاء وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالنبوة والأمية، وفي هذا أكبر دليل على صدقه، وهو ما لا نجده، لو أن التعبير جرى على مقتضى الظاهر (فآمنوا بالله وبي...).

وما يؤكد ما ذهب إليه البيضاوي في تفسيره لهذه الآية، ما قاله من قبل الزمخشري: "فإن قلت: هلا قيل: فآمنوا بالله وبي، بعد قوله: إني رسول الله إليكم؟ قلت: عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أنّ الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن

[1]- سورة الأعراف الآية158.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص38.

بالله وكلماته، كائناً من كان، أنا أو غيرى، إظهاراً للنصفة وتفادياً من العصبية لنفسه"[1]، وتبعه النسفي، وأبو حيان[2].

ويرى أبو السعود أنّ الوظيفة من هذا التفات المبالغة، إذ يقول: "وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالةِ على طريقة الالتفاتِ إلى الغيبة المبالغة في إيجاب الامتثالِ بأمره"[3]. أما العلامة ابن عاشور، فيقول: "الْتفات من التّكلّم إلى الْغيْبة لقصد إعلان تحقّق الصّفة الْموعود بها في التّوراة في شخص محمّد صلّى الله عليْه وسلّم"[4]، وقد ذكر ابن الأثير الفائدة من هذا اللون في وظيفتين أساسيتين فقال: "فقدر أولا في صدر الآية: (إني رسول الله إلى الناس) ثم أخرج كلامه من الخطاب إلى معرض الغيبة لغرضين: الأول منهما إجراء تلك الصفات عليه، والثاني الخروج من التعصب لنفسه"[5].

والذي يظهر لنا أن ما ذهب إليه البيضاوي أولى، لأنه بيّن لنا الوظيفة الأساسية لهذا اللون، وهو التنبيه، حيث نبه أنه رسول الله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وأنه نبي أوحى الله إليه بشريعة عامة كاملة باقية إلى يوم الدين، وأنه أمي ما قرأ ولا كتب ولا جلس إلى معلم ولا أخذ علمه عن أحد ولكن الله تعالى أوحى إليه بالقرآن الكريم عن طريق جبريل عليه السلام، وأفاض عليه من لدنه علوما نافعة ومبادئ توضح ما أنزله عليه من القرآن الكريم.

### 2- التفخيم:

ومن أمثلته قوله تعالى: **﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى﴾**[1]، وقال البيضاوي: "والانتقال من التكلم إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله إلى ضمير الواحد العظيم الشأن،

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص166.
[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص162، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5 ص196
[3]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص280.
[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج9 ص139.
[5]- المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص11.
[1]- سورة طه الآيات1، 2، 3، 4.

ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام والتنبيه على أنه واجب الإيمان به والانقياد له من حيث أنه كلام من هذا شأنه، ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه"[1]، ويستشف من كلام البيضاوي أن التفات في التكلم من قوله (مَا أَنْزَلْنَا) إلى الغيبة (مِمَّنْ خَلَقَ)، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (أنزله الله)، وهذا لغرض بلاغي الوظيفة منه تعظيم الشأن وتفخيمه.

وقد تساءل الزمخشري عن الفائدة من الانتقال، إذ قال: "فإن قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟ قلت: غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة. ومنها أنّ هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة. ومنها أنه قال: (أَنْزَلْنا) ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين"[2]، ويرى الرازي أن الوظيفة البلاغية من هذا الانتقال لأمور: "أولا: أنّ هذه الصّفات لا يمكن ذكرها إلّا مع الغيبة، وثانيها: أنّه قال: (أنْزلْنا) ففخّم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثمّ ثنّى بالنّسبة إلى المختصّ بصفات العظمة والتّمجيد فتضاعفت الفخامة من طريقين. وثالثها: يجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل عليه السّلام والملائكة النّازلين معه"[3]، ولأبي حيان كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "وكان في قوله (ممّنْ خلق) التفات إذ فيها الخروج من ضمير التّكلّم وهو في (ما أنزلْناه) إلى الغيبة، وفيه عادة التّفنّن في الكلام وهو ممّايحسن إذا لا يبقى على نظام واحد وجريان هذه الصّفات على لفظ الغيبة والتّفخيم بإسناد الإنزال إلى ضمير الواحد المعظّم نفسه، ثمّ إسناده إلى من اختصّ بصفات العظمة الّتي لم يشركه فيها أحد فحصل التّعظيم من الوجهين"[1]، وذكر أبو السعود أيضا هذه الوظيفة، بقوله: "ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغَيبة بعد نسبته إلى نون العظمة

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج4 ص22.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص49.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج22 ص6.

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج7 ص308.

لبيان فخامتِه تعالى بحسب الأفعال والصفات إثرَ بيانها بحسب الذات بطريق الإبهام ثم التفسيرِ لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقِهما بالذكر مع أن المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما"[1].

نستنتج من هذه الأقوال السابقة أنّ البيضاوي يتفق مع جلّ المفسرين، أنّ في الآية الكريمة التفات، والوظيفة البلاغية منه الانتقال لتضخيم شأن هذا المنزل الكريم.

وبالتالي يبدو لنا أن هذا النوع من الالتفات يكثر وجوده في القراءات القرآنية، وقد أشار البيضاوي إلى هذه القراءات إشارة ولم يعلق في كثير منها، والوظائف التي تعود على المتلقي من هذا النوع هي تأدية المعنى المقصود التعبير عنه.

**خامسا: الوظيفة البلاغية من التكلم إلى الخطاب:**

والمقصود بهذه الوظيفة التعبير بالانتقال من التكلم إلى الخطاب لأغراض بلاغية، وأهمها:

**1- التفخيم:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾[2]، ويقول البيضاوي: "وإنما عدل الخطاب تفخيماً لشأنه وتنبيهاً على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له، ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة التفات، حيث كان سياق الكلام يقتضي (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ)، ولكنه عدل عن ذلك كما خوطب بقوله (جاءوكَ)، لكي يحقق وظيفة بلاغية من هذا الانتقال وهو التفخيم.

وقد وضّح الزمخشري هذا الكلام بقوله: "ولم يقل: واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات، تفخيما لشأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره، وتنبيها على أن شفاعة من اسمهالرسول من اللَّه بمكان"[1]، وتبعه النسفي، والقاسمي[2]، وذكر أبو حيان هذه الوظيفة فقال: "والتفت في قوْله: (وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ)، ولم يجيء على ضمير الْخطاب في

---

[1]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص3.

[2]- سورة النساء الآية64.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص81.

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص527.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص370، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج3 ص198.

(جاءوك) تفخيما لشأن الرّسول، وتعظيما لاستغفاره، وتنبيها على أنّ شفاعة من اسمه الرّسول من اللّه تعالى بمكان، وعلى أنّ هذا الوصف الشّريف وهو إرسال اللّه إيّاه موجب لطاعته"[1]، وبيّن الشوكاني الوظيفة من الالتفات فقال: "(اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) على طريقة الالْتفات، لقصْد التّفْخيم لشأْن الرسول صلّى الله عليه وسلّم"[2].

وهذا هو اختيار جمع من المفسرين، وعلى ذلك يكون الالتفات في الآية الكريمة قد خرج عن وظيفته الحقيقية إلى وظيفة بلاغية، الغاية منها التفخيم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يستحق هذا الشأن.

**2- المناصحة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ ترْجَعُونَ**﴾[3]، ويقول البيضاوي: "تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح، حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره"[4]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يبيّن لنا هذه الوظيفة من الالتفات في الآية الكريمة، حيث التفت من التكلم في قوله (وَمَا لِيَ) إلى الخطاب في قوله (ترْجَعُونَ)، والظاهر أن يقال: (وإليه أرجع)، فضلا عما تفيده أداة الالتفات من تحريك وإثارة وإيقاظ لمشاعر السامع وأحاسيسه وتنبيه لذهنه وفكره، لما فيه من التنويع وعدم المضي على وتيرة واحدة. وحتى لا ينفروا من قبول النصح.

ويقول صاحب الكشاف: "ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، ولقد وضع قوله: ﴿وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ مكان قوله: (وما لكم لا تعبدون الذي

---

[1]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص692.
[2]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص557.
[3]- سورة يس الآيتان21، 22.
[4]- تفسير البيضاوي، ج4 ص266.

فطركم). ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع، وقد ساقه ذلك المساق"[1] ، وهذا ما استحسنه كل من أبي حيان، وأبي السعود أيضا[2].

وأومأ إلى هذا القول الرازي، حيث قال: "وفي العدول عن مخاطبة القوم إلى حال نفسه حكمة أخرى ولطيفة ثانية: وهي أنه لو قال: (مالكم لا تعْبدون الّذي فطركم)، لم يكن في البيان مثل قوله: (وما لي)، لأنّه لما قال: (وما لي) وأحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كلّ أحد أنّه لا يطلب العلّة وبيانها من أحد لأنّه أعلم بحال نفسه"[3]، وقال صاحب اللباب في علوم الكتاب: "أصل الكلام وما لكم لا تعبدون ولكنه صرف الكلام عليهم ليكون الكلام أسرع قبولا ولذلك جاء قوله: (وإليْه ترْجعون) دون (وإليه أرْجع)"[4].

ويرى الشوكاني أن الوظيفة منة هذا الالتفات المبالغة في التهديد، حيث يقول: "ثمّ أبرز الكلام في معرض النّصيحة لنفسه، وهو يريد مناصحة قومه فقال: (وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي)، أي: أيّ مانع من جانبي يمنعني من عبادة الّذي خلقني. ثمّ رجع إلى خطابهم لبيان أنّه ما أراد نفسه، بل أرادهم بكلامه فقال: وإليه ترجعون ولم يقل إليه أرجع، وفيه مبالغة في التّهديد. ثمّ عاد إلى المساق الأوّل لقصد التّأكيد ومزيد الإيضاح"[5].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه أنّ السياق في الآية كان يقتضي أن يقول المتكلم: وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه أرجع، ولكنه انتقل إلى خطاب المخاطبين: ليكون تأثيره فيهم أوقع، حيث يذكرهم بأنهم راجعون إلى الله الذي سيحاسبهم على ما فعلوا خيرا أو شرا، وعليهم أن يعبدوه ولا يقصروا في عبادته، ومن ثم يبدو الالتفات ليس مجرد تغيير في الأسلوب، ولكنه تغيير يهدف إلى وظيفة معنوية أكبر هي التأثير في المخاطب وجذبه إلى ما يريده المتكلم.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص10.

[2]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج9 ص56، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج7 ص163.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج26 ص263.

[4]- اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي، ج16 ص191.

[5]- فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص419.

وخلاصة القول؛ نجد أن البيضاوي كان له القدرة على توظيف أداة الالتفات، مما يؤكد بعد غوره في قضايا كثيرة من البلاغة، كما نجده يعتمد في كثير من أمثلته وتفسيراته على أقوال البلاغيين كأمثال الجرجاني، إلا أنه يفصّل أحيانا في بعض الأمور.

وقد رأينا أن البلاغيين حددوا ستة أنواع من الالتفات، أما البيضاوي فقد ذكر خمسة أنواع هي: الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، والانتقال من الخطاب إلى الغيبة، والثالث الانتقال من الغيبة إلى التكلم، والرابع الانتقال من التكلم إلى الغيبة، والخامس الانتقال من التكلم إلى الخطاب، أما النوع الأخير فلم يسمه.

ونلحظ أيضا أن الالتفات في تفسير البيضاوي من أكبر أدوات علم المعاني بعد الإنشاء الطلبي، كما نلحظ اتفاق البيضاوي مع البلاغيين في وظيفة أساسية وهي أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن وأبلغ في تجديد نشاط السامع، وأكثر إيقاظا لمشاعره وتنبيها لأحاسيسه، وعندئذ يقع في نفسه موقعا حسنا، ويحقق وظائفه وفوائده المرجوة.

# الفصل الثاني

# الفصل الثاني: أدوات عــلم البيــان ووظائفها في تفسير البيضاوي

## توطئة:

للبيان منزلة عظمى في سماء البلاغة العربية؛ لتشعب مباحثه، وكثرة أبوابه وفصوله التي من شأنها أن تبرز المعنى وتظهره في أبهى صورة، لما ينماز به هذا العلم من إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، فيمد علم البيان المتكلم بشتى فنون التعبير الجميل عن المعنى القائم في نفسه، ومن ثم يتخير منها ما يشاء في إظهار مقاصده ومعانيه، وذلك من تشبيه ومجاز، وكناية واستعارة، وهذه خصيصة ينماز بها عن سائر علوم البلاغة.

**-ماهية علم البيان:**

**البيان لغة:** حدد اللغويون المعنى اللغوي لجذر البيان بين الكشف والإيضاح، فقد جاء في مقاييس اللغة: "الباء والياء والنّون أصل واحد، وهو بعد الشّيء وانكشافه، وبان الشّيْء وأبان إذا اتّضح وانْكشف"[1]، وقال ابن منظور: "البيان الفصاحة واللسن، وكلام بين فصيح. والبيان: الإفصاح مع ذكاء. والبين من الرجال: الفصيح. ابن شميل: البيّن من الرجال السمح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل. وفلان أبين من فلان، أي: أفصح منه وأوضح كلاما. ورجل بيّن: فصيح... البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللِّسن، وأصله الكشف والظهور"[2]، أي الكشف والوضوح والظهور.

وقد وردت لفظة البيان في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، من ذلك قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[3]، وجاء في التفسير: "خلق الإنسان، علّمه البيان عمّا في نفسه تمييزًا له عن غيره"[4]، وأيضا قوله تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ**

---

[1]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج1 ص328.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ج13 ص67.

[3]- سورة الرحمن الآيات1، 2، 3.

[4]- التفسير الميسر، جماعة من العلماء، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض السعودية، ص1057.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وجاء في التفسير: "هذا القرآن بيان وإرشاد إلى طريق الحق، وتذكير تخشع له قلوب المتقين، وهم الذين يخشون الله، وخُصُّوا بذلك؛ لأنّهم هم المنتفعون به دون غيرهم"[2]، لأنّ القرآن الكريم كان لهم بيانا واضحا للطريق المستقيم.

وفي الحديث الشريف جاء لفظ البيان فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا"[3]. والسياق الذي ورد الحديث فيه؛ يظهر منه أن البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ[4]، وهو من الفهم وذكاء القلب والقدرة على الإقناع، وشدة تأثير الكلام في النفوس.

وقال الباقلاني: "القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المشاهد"[5]،ويقول الجاحظ: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع إلى حقيقته"[6]، والمقصود هنا أنّه اسم لكلّ ما يكشف بيان المعنى بهدف حصول السامع على حقيقة ما يقال له، فهو طريقة لإفهام السامع عمّا يقوله القائل.

ونخلص من هذا، أنّ البيان في معناه اللغوي لا يخرج عن الكشف والإيضاح، وعلو الكلام، وإظهار المقصود.

**البيان اصطلاحا**: يوجد العديد من التعريفات للبيان في الاصطلاح نذكر منها:

1- هو علم يستطيع الدارس بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة واضحة الدلالة مع مطابقة كل منها لمقتضى الحال، وتقييد الاختلاف بين الألفاظ بالوضوح لتخرج

---

[1]- سورة آل عمران الآية138.

[2]- التفسير الميسر، جماعة من العلماء، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص128.

[3]- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة ط1422/1هـ، ج1 ص19 (باب الخطبة).

[4]- يراجع النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن محمد الجزري، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج1 ص174.

[5]- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ص276.

[6]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1 ص76.

الألفاظ المترادفة كالليث والأسد مختلفة التراكيب متفقة المعنى، فإنها وإن كانت طرقا مختلفة لإيراد المعنى الواحد، فاختلافهما إنما هو اللفظ والعبارة لا في الوضوح والخفاء[1].

2- وقيل: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[2].

3- وقيل: "هو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير، وفي صورتها وأجراس كلمتها عذوبة النطق وسهولة اللفظ والإلقاء، والخفة على السمع"[3].

4- وعرفه القزويني فقال: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[4].

ومعنى ذلك أنّ مجال علم البيان هو الصور الأدبية التي يبدعها المتكلم، فيستطيع من خلالها التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، بعضها أكثر جمالا من بعض، ويكون تأثيرها في النفوس على قدر ما فيها من إبداع من رسم تلك الوظائف، وجعلها قريبة إلى العقل والوجدان.

وعليه فقد سار القزويني في الاتجاه الذي خطّطه السكاكي، وتوصل إلى الاستنتاج الذي توصل إليه، وقسّم البيان كما قسّمه، فقال: "ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له، إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز، وإلا فهو كناية، ثم المجاز منه الاستعارة، وهي ما تبنى على التشبيه، فيتعيّن التعرّض له، فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز، وقدّم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من الابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه، وقدّم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل"[5]، ثم استقرّ علم البيان فيما بعد بتقسيماته المعروفة، ليدلّ على التشبيه والمجاز والكناية، فهي مفردات هذا العلم.

---

1- يراجع علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، دار القلم بيروت لبنان ط1980/1م، ص189.

2- مفتاح العلوم، السكاكي، ص77.

3- يراجع أسرار البلاغة، الجرجاني، ص3، 6.

4- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص326.

5- المصدر نفسه، ص236.

**-وظائف علم البيان:** يبحث علم البيان عن طريقة دلالة اللفظ المفرد أو المركّب على المعنى الذي يريده المتكلم، وعن جهة الربط بين المعنى الوضعي للفظ والمعنى الذي استعمل فيه اللفظ وهو ما عرف بالمجاز والكناية.

والهدف الذي يسعى إلى تحقيقه هو وضوح الدلالة على المراد، فبقدر ما في الكلام من الوضوح والبعد عن الخفاء ينزل منزلته من البلاغة، والمتكلم يختار في ضوء ذلك من الأساليب أوضحها دلالة على مراده[1]، ويتوخى في كلامه إصابة تمام المراد غير منقوص بخفاء أو لبس، أو نحو ذلك من عيوب الإبانة.

وتحدّث ابن خلدون عن وظيفة علم البيان فقال: "ثم يتبع هذه الإفادة لمقتضى الحال التفنن في انتقال الذهن بين المعاني بأصناف الدلالات؛ لأنّ التركيب يدلّ بالوضع على معنى، ثم ينتقل الذهن إلى لازمه أو ملزومه أو شبهه، فيكون فيها مجازا: إما باستعارة، أو كناية كما هو مقرّر في مواضعه، ويحصل للفكر بذلك الانتقال لذة كما تحصل من الإفادة وأشد؛ لأنّ في جميعها ظفرا بالمدلول من دليله، والظفر من أسباب اللذة كما علمت"[2]، فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بتراكيب مختلفة لتوضيح المقصود.

ويشمل علم البيان الموضوعات التالية: التشبيه، والمجاز، والاستعارة، الكناية، والتعريض. وقد بيّن الإمام البيضاوي الوظيفة البلاغية لهذه الموضوعات، وسيأتي تفصيلها على النحو الآتي:

---

[1]- يراجع مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، حامد صالح خلف الربيعي، ص594.

[2]- المقدمة، ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث القاهرة2004م، ص740.

## المبحث الأول: التشبيه

### توطئة:

التشبيه صورة جمالية يستنبطها المتكلم لبيان المعنى وتقريبه من السامع. وهو ذو مجال واسع وصور رحبة، يستلهمه الناثر والشاعر لتوضيح فكرته، وتجميل عبارته، وترسيخ هدفه، بحيث يربط به المتكلم بين الصفة والموصوف ليس لإظهار الصورة الجمالية وحسب، بل لتقريب مقصوده وشرح مراده، والكشف عن أسراره ومواطن التأثير فيه.

**-مفهوم التشبيه:**

**أ- التشبيه لغة:** يعود إلى أصل هذه المادة: "(الشين والباء والهاء)، وتدور حول تشابه الأشياء وتشاكل بعضها مع البعض الآخر في صفات معينة"[1]. وجاء في اللسان: "الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء: ماثله، والتشبيه: التمثيل"[2]، أي تمثيل شيء بشيء آخر كي يتوضّح الموصوف.

ولم يفرّق اللّغويون بين التشبيه والتمثيل في المعنى اللغوي، لأنّهما لفظان مترادفان على معنى واحد، وهذا الذي مال إليه ابن الأثير حينما قارن بين صيغتي شبّه ومثّل بقوله: "يقال: شبّهت هذا الشّيء بهذا الشيء، كما يقال: مثّلته به"[3]، فالتشبيه والتمثيل لفظان مترادفان.

**ب- التشبيه اصطلاحا:** يدل التشبيه في اصطلاحات البلاغيين على مشاركة أمر لأمر في صفة ما من الصفات، فهو محاولة للربط بين شيئين تجمع بينهما صفة أو صفات مشتركة. ووجه آخر ذكره أبو الهلال العسكري إذ قال: "التشبيه: الوصف بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء فى الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه. وذلك قولك: زيد شديد كالأسد؛ فهذا القول الصواب فى العرف وداخل فى محمود المبالغة، وإن لم يكن زيد فى شدّته كالأسد على الحقيقة"[4]، وقال ابن الأثير: "التشبيه أن تثبت للمشبه حكما من

---

1- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج3 ص243.

2- لسان العرب، ابن منظور، ج13 ص503.

3- المثل السائر، ابن الأثير، ج1 ص377.

4- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت 1419هـ، ص239.

أحكام المشبه به"[1]، وقال القزويني: "هو الدلالة على مشاركة أمر لأخر في معنى"[2]، وقال العلوي: "هو الجمع بين الشيئين، أو الأشياء بمعنى ما، بواسطة الكاف ونحوها"[3]، وقال السكاكي: "إن التشبيه مستدع طرفين، مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما في وجه، وافترقا من آخر، أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس"[4]، وهذا ما يمثّل ما انتهى إليه البلاغيون في تحديد مصطلح التشبيه؛ إذ قيل: "ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر"[5]، فهو مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه.

وخلاصة القول أنّ هذه التعريفات تدور في فلك واحد؛ خلاصته أن التشبيه مشاركة أمر لآخر في معنى، أو الإخبار بالشبه، وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر؛ ولا يستوعب جميع الصفات، أو هو بيان شيء أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو مقدّرة، تقرّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه.

**-أركان التشبيه**: يتألف التشبيه من أربعة أركان وهي[6]:

**1- المشبه**: وهو الشيء الذي يراد تشبيهه، وإلحاقه بغيره (وهو الموصوف).

**2- المشبه به**: وهو الشيء الذي تصف به المشبه (وهو الصفة).

ويسمّى المشبه والمشبه به: طرفي التشبيه، ولا يجوز حذفهما، فإذا حذف أحدهما تحولت الجملة من التشبيه إلى الاستعارة.

**3- أدوات التشبيه**: هي ألفاظ تستخدم في الجملة لتدل على التشبيه والمماثلة، وهي أدوات وصل بين ركني التشبيه: المشبه والمشبه به. وأدوات التشبيه بعضها أسماء كقولنا: مثل، شبه، شبيه، وبعضها أفعال كقولنا: يماثل، يشبه، يشابه، يضارع، يضاهي، وأمّ الأدوات هي الكاف.

---

[1]- المثل السائر، ابن الأثير، ج1 ص153.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص328.

[3]- الطراز، العلوي، ج1 ص263.

[4]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص177.

[5]- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج2 ص170.

[6]- يراجع الجامع في علوم البلاغة –المعاني –البيان –البديع، محمد ألتونجي، دار العزة والكرامة للكتاب وهران الجزائر ط2013/1م، ص145.

**4- وجه الشبه:** هو الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به، ويمكن أن يذكر الوجه أو يحذف من التشبيه.

**-أهداف التشبيه:** يعد التشبيه صورة فنية قائمة على الربط والمقارنة بين شيئين تجمعهما صفة أو مجموعة من الصفات المشتركة، والهدف من ذلك المبالغة، والطرافة، وإضفاء صفة الجمال على التعبير، وفي هذا يقول القزويني: "وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما، أو افتخارا، أو غير ذلك"[1]، ولا عجب في هذا فكلما جاء التشبيه في أعطاف المعاني أفادها كمالا، وكساها حلة وجمالا.

ولعبد القاهر الجرجاني وقفة مع التشبيه، بيّن فيها وظيفته ومنزلته في البلاغة، حيث يقول: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"[2]، وبالجملة فوظيفة التشبيه لها أثر ومزية في تحسين الكلام وتزيينه، من أجل تلبية حاجة المخاطب إلى الإفهام والبيان، مع الإمتاع والتأثير والإقناع.

وقد تناول البيضاوي التشبيه فبيّن وظائفه البلاغية، وكان أحيانا يذكر نوع التشبيه في الآية، وأحيانا لا يذكره بل يبين وظيفته في الآية دون ذكر نوعه، وهذا ما سنبينه من خلال دراستنا للآيات التي ورد فيها.

---

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص237.

[2]- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص115.

## -أنواع التشبيه ووظائفه في تفسير البيضاوي:

### أولا: التشبيه البليغ:

وهو ما حذف منه وجه الشبه والأداة، وهو من أبلغ أنواع التشبيه؛ لأنه يجعل من المشبه والمشبه به لحمة واحدة لا تنفصل، وحذف الأداة ووجه الشبه يفتح الباب أمام الذهن للتطلع إلى استكشاف جميع الصفات الممكنة بين الطرفين، وسمي بليغا لما فيه من مبالغة في اعتبار المشبه عن المشبه به، وهو أرقى أقسام التشبيه إذ يتماثل فيه المشبه بالمشبه به، وهو أقوى التشابيه، لأنه يحتاج إلى إعمال الفكر، وأدعى إلى تأثّر النّفس بالصورة[1]، حتى ليظن السامع أن طرفي التشبيه متحدان.

ومن أمثلة هذا النّوع التي ذكرها البيضاوي وبيّن وظائفها البلاغية نذكر الآتي:

#### 1- التأكيد في المبالغة:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "وهو تعليل وتقرير للأمر بالإصلاح ولذلك كرره مرتباً عليه بالفاء فقال: (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)، ووضع الظاهر موضع الضمير مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في التقرير والتخصيص، وخص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الله تعالى شبه المؤمنين بالإخوة في توادهم وتراحمهم وتماسك صفوفهم، وحذف الأداة ووجه الشبه، وجعل المشبه عين المشبه به، فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبنى على تشبيه الإيمان.

وهذا ما أشار إليه الزمخشري إذ قال: "وبيان أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق: ما إن لم يفضل الأخوّة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن

---

[1]- يراجع معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ص330.

[2]- سورة الحجرات الآية10.

[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص135.

غايتها"[1]، وقال الرازي: "تأكيدا للأمر وإشارة إلى أنّ ما بينهم ما بين الأخوّة من النّسب والإسلام كالأب"[2].

وقد ذكَر هذا العلامة الطاهر بن عاشور حيث قال: "وتفريع الأمر بالإصلاح بين الأخوين، على تحقيق كون المؤمنين إخوة تأكيدا لما دلّت عليه إنّما من التّعليل فصار الأمر بالإصلاح الواقع ابتداء دون تعليل"[3]، فالغاية من هذا التشبيه التأكيد في المبالغة.

نستخلص من أقوال المفسرين أنّ الوظيفة البلاغية للتشبيه البليغ غرضها المبالغة في التأكيد ووجوب الإصلاح، والتخصيص عليه.

**2- الاختصار:**

ومنه قوله تعالى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾**[4]، قال البيضاوي أي: "شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل، بخيطين أبيض وأسود، واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله: (مِنَ الْفَجْرِ)، عن بيان (الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)، لدلالته عليه. وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل"[5]، يشير البيضاوي أن في الآية الكريمة تشبيه بليغ، حيث شبّه (بِالْخَيْطِ الْأَبْيَضِ) ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق، (وَبِالْأَسْوَدِ) ما يمتدّ معه من غبش اللّيل، شبّهها بخيطين أبيض وأسود، وحذف أداة التشبيه، ووجه الشبه لإعمال الفكر.

وأوضح هذا الغرض النسفي إذ قال: "أخرجه من باب الاستعارة وصيّره تشبيهاً بليغاً،كما أن قولك: رأيت أسدا مجازا، وعن (عدي بن حاتم) قال: (عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتى فنظرت إليهما فلم يتبين لي الأبيض من الأسود فأخبرت النبي عليه

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص366.
[2]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج28 ص106.
[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج26 ص244.
[4]- سورة البقرة الآية187.
[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص126.

السلام بذلك فقال: إنّك لعريض القفا)[1]، أي: سليم القلب؛ لأنّه ممّا يستدل به على بداهة الرجل وقلة فطنته، إنّما ذلك بياض النهار وسواد الليل"[2]، والمراد هنا إن أبصرت الخيطين.

وتساءل الزمخشري عن فحوى هذه الآية فقال: "فإن قلت: أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه؟ قلت: قوله: (مِنَ الْفَجْرِ) أخرجه من باب الاستعارة، كما أن قولك: رأيت أسداً. مجاز. فإذا زدت (من فلان) رجع تشبيها. فإن قلت: فلم زِيدَ (مِنَ الْفَجْرِ) حتى كان تشبيها؟ وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة؟ قلت: لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر (مِنَ الْفَجْرِ) لم يعلم أن الخيطين مستعاران، فَزِيدَ (مِنَ الْفَجْرِ) فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة"[3]، واستحسن هذا القول أبو حيان[4]، والظاهر أنّ حذف وجه الشبه من الآية الكريمة، وذكر المشبه والمشبه به، جعل في الآية تشبيها بليغا، والفائدة منه هي الاختصار.

فالبيضاوي إذًا يتوافق مع الزمخشري في أنّ الآية فيها تشبيه بليغ، حيث حذفت أداة التشبيه، ووجه الشبه، وبقي المشبه والمشبه به. وعليه تكون الوظيفة البلاغية في هذا السياق، تقتضي الاختصار من جهة، والتأمل والتأويل في إيحاء معنى يناسب فيه وجه الشبه المحذوف من جهة أخرى.

### 3- الإيضاح والبيان:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[5]، بيّن البيضاوي هذا التشبيه ولم يوضّح نوعه فقال: "شبّهن بها تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ)، أي: فائتوهن كما تأتون المحارث"[6]، ونلاحظ هنا أنّ البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن

[1]- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث (1407هـ-1986م)، ص159. (كتاب الصوم).

[2]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص161.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص229.

[4]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص215.

[5]- سورة البقرة الآية223.

[6]- تفسير البيضاوي، ج1 ص139.

الزمخشري مع تغيير بعض الألفاظ، وتبعهما في هذا الغرض كلّا من النسفي، وأبو حيان[1]، وذكر هذا الرازي أيضا فقال: "وهذا على سبيل التّشبيه، ففرج المرأة كالأرض، والنّطفة كالبذر، والولد كالنّبات الخارج، والحرث مصدر، ولهذا وحّد الحرث فكان المعنى نساؤكم ذوات حرث لكم، فيهنّ تحرثون للولد، فحذف المضاف، وأيضا قد يسمّى موضع الشّيء باسم الشّيء على سبيل المبالغة"[2]، يستشف من كلام الرازي أن الغرض من هذا التشبيه المبالغة.

أمّا الطاهر بن عاشور فقال: "قصد به الارتفاق بالمخاطبين والتّأنّس لهم لإشعارهم بأنّ منعهم من قربان النّساء في مدّة المحيض منع مؤقّت لفائدتهم... وتشبيه النّساء بالحرث تشبيه لطيف كما شبّه النّسل بالزّرع"[3]، يفهم من كلامه أن الوظيفة البلاغية التي خرج إليها التشبيه البليغ هي الرفق والاستئناس.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شروح هؤلاء المفسرين، أن ما ذهب إليه البيضاوي أولى، لأنه بيّن لنا التشبيه البليغ في هذه الآية، حيث شبه النساء بالأرض التي تحرث للزرع، وشبه النطفة بالبذر الذي يوضع في تلك الأرض، وشبه الولد بالزرع الذي ينبت من الأرض، وهنا حذفت الأداة ووجه الشبه، وهذا تشبيه بليغ. ووظيفته البلاغية هنا البيان، لأن السياق يبيّن أن الآية جاءت بيانا وتوضيحا للمكان المسموح استعماله إلا في وقت الحيض، ودلّ ذلك على أنّ الغرض الأصيل هو طلب النسل.

### 4- التنبيه:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَهَارَ نُشُورًا**﴾[4]، يقول البيضاوي: "شبه ظلامه باللباس في ستره"[5]. وأشار الرازي إلى هذه الآية فقال: "اعلم أنّه تعالى شبّه اللّيل من حيث إنّه يستر الكلّ ويغطّي باللّباس السّاتر للبدن، ونبّه على ما

---

[1]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص266، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص185، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص428.

[2]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج6 ص421.

[3]- يراجع التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج2 ص370، 371.

[4]- سورة الفرقان الآية47.

[5]- تفسير البيضاوي، ج4 ص126.

لنا فيه من النّفع"[1]، وقال الزمخشري: "شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر"[2]، والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري؛ إلا أنهما ذكرا التشبيه ولم يبيّنوا نوعه.

وأومأ إلى هذا الرأي أبو حيان إذ قال: "تشبيها بالثّوب الّذي يغطّي البدن ويستره من حيث اللّيل يستر الأشياء"[3]، واستحسن هذا الكلام أيضا صاحب تفسير السراج المنير[4]، أي أنّ في الآية الكريمة تشبيه، والغرض منه التنبيه.

أمّا الطاهر بن عاشور فوضّح هذه الصورة إذ قال: "(ولباسا) مشبّه به على طريقة التّشبيه البليغ، أي: ساترا لكم يستر بعضكم عن بعض. وفي هذا السّتر منَن كثيرة لقضاء الحوائج الّتي يجب إخفاؤها"[5].

والملاحظ هنا، أنّ هذا التشبيه لا يختلف ببنيته التركيبية عن بنية التشبيه السابق من الصياغة، ومما يعزز وظيفة هذا التشبيه، هو حذف أداته، وكان من الممكن أن يقول الليل كاللباس، ولكن حذف الأداة أبلغ.

ومن هنا الوظيفة البلاغية لهذا النوع، هي الإخبار والتنبيه على طريقة التشبيه البليغ، لأن سياق الآية يبيّن لنا أن فيه إشارة إلى أن النّوم واليقظة أنموذج للموت والنّشور.

### 5- التشويق:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[6]، والشاهد في الآية: (**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**)، يقول البيضاوي: "عرضها كعرضهما، وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسّعة على طريقة التمثيل، لأنه دون الطول"[7]، ويستشف من كلام البيضاوي أنّ في الآية الكريمة تشبيه بليغ، والفائدة من هذا التشبيه؛ المبالغة في التشويق إلى الجنّة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24 ص465.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص284.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8 ص111.

[4]- يراجع السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج2 ص664.

[5]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19 ص44.

[6]- سورة آل عمران الآية133.

[7]- تفسير البيضاوي، ج2 ص38.

ويوضّح هذا الغرض الزمخشري، حيث يقول: "والمراد وصفها بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه. وخص العرض، لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة.

وقد وضّح الطاهر بن عاشور هذا النّوع فقال: "على طريقة التّشبيه البليغ، بدليل التّصريح بحرف التّشبيه في نظيرتها في آية سورة الحديد"[1].

نستنتج من هذا الكلام أنّ الإمام البيضاوي يتفق مع المفسرين بأنّ في الآية الكريمة تشبيه بليغ، حيث حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، وبقي المشبه والمشبه به. والوظيفة البلاغية في هذه الآية الكريمة، التشويق إلى الجنة والفوز بها.

وخلاصة القول أنّ البيضاوي استعان بهذا النوع في تفسير بعض الآيات لما فيه من جمال فني، وإبداع في التعبير، وإيقاظ للعقول، وتحريك للوجدان.

**ثانيا: التشبيه التمثيلي:** وهو تشبيه مركب يقوم على تعدّد وجه الشّبه، قال القزويني: "التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد، أمرين أو أمور"[2]، وهذا النوع هو ذات التشبيه المركّب الذي يكون وجه الشبه به متعدّد، سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين، أو كان أحدهما مفردا والآخر مركبا، وهو بذلك محتاج إلى ضرب من التأمّل والتّأويل كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني، ولعلّ هذا الأمر هو الذي يفرّق بين التشبيه العادي والتشبيه التمثيلي، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا[3]، وهذا التشبيه من أرقى أنواع التشبيهات، وأكثرها استعمالا في الكلام المنظوم والمنثور؛ فهو من أكثر التشبيهات استعمال في القرآن الكريم.

ولذا تحدث عنه البيضاوي في تفسيره بكثرة، والسبب في توظيفه راجع إلى وظائفه البلاغية، وقدرته الفنية على استمالة المخاطبين والتأثير في نفوسهم، ومن النماذج التي اخترناها من تفسير البيضاوي الآتي:

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج4 ص88.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص371.

[3]- يراجع أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص95.

**1- التخصيص:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[1]، الشاهد (يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً)، قال البيضاوي أي: "العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي، أنه شبه حال الكفار في انخداعهم بأعمالهم بإنسان ظمآن يرى سرابا، فيحسبه ماء، فإذا اقترب منه لم يجد ما كان يرجوه ويأمله، ووجه الشبه هو الخيبة والخسران.

فالنّسق اللغوي والنّظم الإلهي يُضفي حياة على صورة التشبيه، ويكسبها ظلالا إيحائية لا يستطيع طرفا التشبيه وحدهما أن يقوما بها، فالنظم الإلهي في التركيب اللغوي يبرزان حالة نفسية حركية تصور معاناة سائر في صحراء قاحلة، تناوشه أحاسيس الظمأ، ويحاول تهدئتها بقرب إدراكه الماء الذي يتكشف في نهاية الطريق عن وهم خادع[3]، والمعنى لو أنّ القرآن اختار التعبير الذي لا خيال فيه، وقال مثلا: (والذين كفروا أعمالهم غير مثمرة) لم يكن له في النفس هذا الأثر القوي، الذي يصور عدم جدوى هذه الأعمال، إذ يقرنه بشيء نراه بأعيننا، ونكاد نؤمن بوجوده إيمانا لا يتسرب إليه الشك[4]، فالصورة التي أتى بها القرآن تزيدنا اقتناعا بعدم جدوى أعمالهم.

ومن هنا الوظيفة البلاغية لهذا التشبيه التخصيص، لأنها تشحذ ذهن المخاطب، وتحريك طاقته الفكرية حتى يتأمل في المقصود ويدرك الكلام، والغرض منها أيضا أنها تصور الأمور المعنوية والذهنية في صورة حسية مشاهدة حتى تتمكن الصور في نفس السامع وتستقر في ذهنه.

**2- الوصف:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[5]، ويقول البيضاوي: "أن يراد به تشبيه الكافر (بالأعمى) لتعاميه عن آيات

---

[1]- سورة النور الآية39.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص109.

[3]- يراجع البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص56.

[4]- يراجع المرجع نفسه، ص62.

[5]- سورة هود الآية24.

الله، و(بالأصم) لتصامه عن إسماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه، وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين، أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة"[1]، ويستشف من كلامه أن في الآية الكريمة تشبيه تمثيلي، حيث مثّل الكافر بالأعمى، ومثّل المؤمن بالسميع، والفائدة البلاغية لهذا التشبيه هي الوصف.

ووجه آخر ذكره أبو السعود حيث قال: "حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه غرابة من الأحوال والصفات، والكلام وإن أمكن أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بالأعمى وبالأصمّ وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الأدخل في المبالغة والأقرب إلى ما يشير إليه لفظ المثل... وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع، فإن اعتبار ذلك ينزع إلى كون التشبيه تمثيليا بأن ينتزع من حال الفريق الأول في تصامّهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران"[2]، يبيّن هنا أنّ الغرض من هذا التشبيه في الآية الكريمة هو المبالغة.

وبهذا نستنتج أنّ ما أراده البيضاوي هو عطف الصفات بعضها على بعض، وهذا ناتج من تشبيه شيء بشيء، أي: تشبيه الفريق الأول بالعمى والصمم، وتشبيه الفريق الثاني بالسميع والبصير[3]، وبذلك نلاحظ أن ما يراه المفسرون في نوع هذا التشبيه؛ هو التشبيه التمثيلي، ووظيفته البلاغية في هذه الآية الكريمة الوصف، لأنه يرسم صور فنية جميلة مكمونة في عدة أجزاء، فهو يجمع صفة الكافر بصفة شخص متصف بالعمى والصمم، فلا يهتدي لمقصوده، وصفة المؤمن بصفة شخص متصف بالبصر والسمع، فاهتدى لمطلوبه، وصفتهما الحسية التي تطابق حالهما كمثل الأعمى الفاقد لحاسة البصر في خلقته والأصم الفاقد لحاسة السمع الذي حرم من وسائل العلم والمعرفة الإنسانية، ومن هو كامل حاستي السمع والبصر فهو يستمد العلم.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص128.
[2]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص114.
[3]- يراجع البلاغة والمعنى في النص القرآني، عبد الهادي حسين، ص142.

### 3- البيان والإيضاح:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[1]، قال البيضاوي: "عقوبة لهم، لأن الإهلاك عن سخط أشد، والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة، وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه للريح دون الحرث"[2]، وقد اصطلح الزمخشري على هذه الوظيفة التشبيهية إذ قال: "شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه اللَّه، بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما"[3]، وتبعه في هذا الغرض كل من النسفي، وصاحب السراج المنير[4]، فالوظيفة البلاغية من هذا التشبيه التمثيلي هي البيان والإيضاح.

وقد تساءل الرّازي عن العلاقة بين المشبّه والمشبّه به فقال: "المثل الشّبه الّذي يصير كالعلم لكثرة استعماله فيما يشبّه به وحاصل الكلام أنّ كفرهم يبطل ثواب نفقتهم، كما أنّ الرّيح الباردة تهلك الزّرع. فإن قيل: فعلى هذا التّقدير مثل إنفاقهم هو الحرث الّذي هلك، فكيف شبّه الإنفاق بالرّيح الباردة المهلكة، قلنا: المثل قسمان منه ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين، وهذا هو المسمّى بالتّشبيه المركّب"[5]. ووجه آخر ذكره أبو حيان فقال: "والظّاهر تشبيه ما ينفقونه بالرّيح، والمعنى: تشبيهه بالحرث. فقيل: هو من التّشبيه المركّب لم يقابل فيه الإفراد بالإفراد"[6]، فيرى أبو حيّان أنّ التشبيه في هذه الآية تشبيه مركّب وليس تشبيه تمثيلي.

---

[1]- سورة آل عمران الآية117.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص34.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص405.

[4]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص285، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص241.

[5]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج8 ص336.

[6]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص314.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين هو أنّ في الآية تشبيه تمثيلي، مركب من عدة صور، والوظيفة البلاغية منه البيان والإيضاح، وهذا لما امتاز به الأسلوب القرآني من صياغة فنية، والقدرة على استمالة المخاطبين والتأثير في نفوسهم.

**4- الترغيب:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، قال البيضاوي أي: "مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف، وأسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب، كما يسند إلى الأرض والماء، والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى"[2]، والملاحظ أنّ كلام البيضاوي في هذه الآية الكريمة، جاء موافقا لكلام الزمخشري، وتبعهما في هذا الغرض كل من صاحب السراج المنير، وأبي السعود[3]، والمراد هنا أنّ هذا المثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته.

ووجه آخر ذكره الألوسي حيث يقول: "وإسناد الإنبات إلى الحبة مجاز لأنها سبب للإنبات -والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى- وهذا التمثيل تصوير للإضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس"[4]، فالله سبحانه شبه نفقة المنفق في سبيله بمن بذر بذرا؛ فأنبتت كل حبة سبع سنابل، اشتملت كل سنبلة على مائة حبة، والله يضاعف بحسب حال المنفق وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها؛ فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبيت عند النفقة[5].

---

[1]- سورة البقرة الآية261.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص157.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص310، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص176، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص257.

[4]- روح المعاني، الألوسي، ج2 ص32.

[5]- الأمثال في القرآن، ابن القيم الجوزية، ص50.

ومن هنا كانت الوظيفة البلاغية في هذه الآية الكريمة هي إثارة عاطفة الطّمع، والرغبة في الأشياء من أجل التحفيز إلى العمل، والغرض أيضا من هذه الوظيفة هو تجسيد لفكرة مجردة وهي (الإنفاق) في صورة محسوسة كأنها مشاهدة، التي تساعده على إدراك تلك الحقيقة والتأثر بها.

**5- المبالغة:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾[1]، يقول البيضاوي: "واذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة. (أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ) فالتفت بسببه وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه، أو نجع في النبات حتى روى ورف، وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض، لكنه لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته... والمشبه به ليس الماء ولا حاله، بل الكيفية المنتزعة من الجملة، وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفاً ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية تشبيه تمثيلي، وهو تشبيه الحياة الدنيا بالهيئة الحاصلة من كون النبات بعد نزول الماء شديد النظرة والاخضرار، ثم بعد ذلك تراه قد يبس فتطيره الرياح كأن لم يكن، ووجه الشبه هنا التلف والهلاك عقب الإعجاب والاستحسان، (فالكاف) لم تدخل على المشبه به وهو النبات، وإنما دخلت على لفظ الماء باعتباره عنصرا مهما في تكوين النبات وأوراقه وفروعه وثماره.

وللزمخشري كلام لطيف يحسن إيراده في هذا السياق، وهو قوله: "إنّ الماء في هذه الآية ليس مشبّها به، بل إنّ المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر"[3]، ووجه آخر ذكره الرماني فقال في تفسير هذه الآية: "هذا بيان قد أخرج ما لم يجريه عادة إلى ما قد جره به، وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة، ثم الهلاك بعده وفي ذلك العبرة لمن اعتبر"[4].

---

[1]- سورة الكهف الآية45.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص283.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص80.

[4]- النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص7.

والذي توصلنا إليه أن كلام البيضاوي يتفق مع المفسرين أن في الآية الكريمة تشبيه تمثيلي، ووظيفته البلاغية هنا المبالغة، لأن سياق الآية يبيّن أن المثل المضروب لها قصير موجز، والتصوير فيه سريع خاطف، يتلاءم مع حال الدنيا في سرعة زوالها، فيلقي التصوير السريع ظلّ الفناء في ذهن الإنسان وحسّه، كي يستقر هناك بقوة وثبات مع كشف المعنى وتصويره.

## 6- وظيفة بيان حال المشبه:

إذا كان المشبه مبهما وغير واضح، فنوضح المشبه به، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**﴾[1]، وقال البيضاوي أي: "كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء"[2]، والغرض من هذه الوظيفة التحقير.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[3]، قال البيضاوي أي: "فمثل المرائي في إنفاقه، (كَمَثَلِ صَفْوانٍ) كمثل حجر أملس"[4]، والغرض من هذه الوظيفة المبالغة.

## 7- بيان مقدار حال المشبه:

كقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه"[6]، والغرض من هذه الوظيفة المبالغة.

---

[1]- سورة القمر الآية31.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص167.

[3]- سورة البقرة الآية264.

[4]- تفسير البيضاوي، ج1 ص158.

[5]- سورة النحل الآية77.

[6]- تفسير البيضاوي، ج3 ص235.

## 8- تقرير حال المشبه في ذهن السامع:

كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، أي: "كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها، ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل أو صفة إذ ليس المراد من الْحِمارِ معينا"[2]، وبذلك تتحقق الوظيفة من التشبيه، لأن المشبه به أكثر بيانا في وجه الشبه من المشبه، مما يجعل الصورة تتمكن في النفس وتستقر في ذهن السامع، والغرض من ذلك تقوية الشأن والتمكين في نفس المتلقي والتأثير فيه.

## 9- تزيين التشبيه:

كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[3]، حيث شبههن ببيض النعام المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان[4]، فوظيفة التشبيه في هذه الآية لم تأتي لبيان حال المشبه فقط، وإنما أراد تزيين حال المشبه.

## 10- تقبيح المشبه:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[5]، قال البيضاوي أي: "تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والنظر"[6]، والمعنى أنهم شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر، والغرض من هذه الوظيفة نفسية المشبه.

---

[1]- سورة الجمعة الآية5.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص211.

[3]- سورة الصافات الآية49.

[4]- يراجع تفسير البيضاوي، ج5 ص10.

[5]- سورة المنافقون الآية4.

[6]- تفسير البيضاوي، ج5 ص214.

وخلاصة القول إنّ الوظيفة البلاغية في التشبيه التمثيلي، هي ألطف ذريعة في تسخير الوهم للعقل، وأقوى وسيلة للفهم، ولهذا استعان البيضاوي بهذا النوع بكثرة في تفسيره، لما فيه من إثارة واستمالة المخاطبين والتأثير في نفوسهم.

**ثالثا: التشبيه المقلوب:** وذلك بأن يقصد المتكلم إيهام أن المشبه به أقوى وأتم من المشبه في وجه الشبه[1]، ويسمى أيضا: "المعكوس والمنعكس"[2]، وهو نوع طريف من التشبيه يخرج عن وضعه العادي، وذلك بأن "يجعل المشبه مشبها به، ويجعل المشبه به مشبها"[3]. ووظيفة هذا التشبيه هنا المبالغة في وصف الشيء المراد وصفه.

وقد بيّن عبد القاهر الجرجاني أن هذا النوع من التشبيه يفتح بابا (إلى دقائق وحقائق)، وذلك بجعل (الفرع أصلا والأصل فرعا)، ومن أمثلة ذلك تشبيه النجوم بالمصابيح، وتشبيه الورد بالخد[4]، وذكر (العلوي) أن له موقعا عظيما في إفادة البلاغة[5]، أي له تأثير في المتلقي بعد إيصال المعنى إلى القلب.

وقد تناول البيضاوي هذا النوع من التشبيه، وبيّن قيمته البلاغية، ومن أغراضه الآتي:

**1- التعجب:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[6]، يقول البيضاوي: "ترك متابعة الهدى إلى متابعة الهوى فكأنه يعبده"[7]، أي: وضع قوله: (اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) بدلا من قوله (هواه إلهه)، فقد جعل هواه معبود يخضع له ويطيعه، كما يخضع العابد لمعبوده.

---

[1]- علم البيان، عبد الفتاح لاشين، ص86.

[2]- الطراز، العلوي، ج1 ص309.

[3]- القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص95، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص275.

[4]- يراجع الطراز، العلوي، ج1 ص187.

[5]- يراجع المصدر نفسه، ج1 ص148.

[6]- سورة الجاثية الآية23.

[7]- تفسير البيضاوي، ج5 ص108.

وقد وضح الزمخشري هذا الكلام حيث قال: "هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه؛ لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده، فإذا رأى ما هو أحسن رفضه إليه، فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها"[1]، واستحسن هذا القول، كُلّ من أبي حيان، وصاحب تفسير (اللباب في علوم الكتاب)، والشوكاني[2]، ومعنى ذلك: أفرأيت من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوى من الأشياء دون إله الحق الذي له الألوهية على كل شيء؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره، وهذا تشبيه مقلوب.

ومما يعزّز وظيفة هذا النوع أيضا أبو السعود إذ يقول: "تعجب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنّه عبده، أي: أنظرت فرأيته فإنّ ذلك ممّا يقْضى منه العجب"[3].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة؛ ومن خلال شرح المفسرين لها، أن فيها تشبيه مقلوب، والوظيفة البلاغية منه للتعجب من حال هؤلاء المشركين، ولتسلية النبي صلّى الله عليه وسلّم عما أصابه منهم من أذى.

## 2- المبالغة:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[4]، ويقول البيضاوي: "ذلك بأنّهُمْ قالوا إنّما الْبيْع مثْل الرّبا، أي: ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله. وكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة، كأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا به البيع"[5]، ويستشف من كلامه أن في الآية الكريمة تشبيه مقلوب؛ إذ مقتضى الكلام أن يقال: (إنما الربا

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص291.

[2]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج9 ص422، اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي، ج17 ص365، فتح القدير، الشوكاني، ج5 ص11.

[3]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص73.

[4]- سورة البقرة الاية275.

[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص161.

مثل البيع)، أي: في الحل، لأن الكلام في أصله بشأن الربا، فشبه البيع بالربا، وقد بلغ من اعتقادهم في حِل الربا أنّهم جعلوه قانونا في الحِل حتى شبهوا به البيع[1]، وقد نقل القرآن الكريم مقولتهم هذه للإشارة إلى جهلهم المفرط، ورد عليهم بقوله: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا).

ويوضّح هذه الوظيفة أيضا النسفي إذ يقول: "ولم يقل إنّما الربا مثل البيع مع أنّ الكلام في الربا لا في البيع، لأنه جيء به على طريقة المبالغة وهو أنّه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل حتى شبّهوا به البيع (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) إنكار لتسويتهم بينهما إذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه"[2]، ولأبي حيان كلام يحسن إيراده في هذا السياق، حيث يقول: "مستندهم في ذلك التّسوية عندهم بين الرّبا والبيع، وشبّهوا البيع وهو المجمع على جوازه بالرّبا وهو محرّم، ولم يعكسوا تنزيلا لهذا الّذي يفعلونه من الرّبا منزلة الأصل المماثل له البيع، وهذا من عكس التّشبيه، وهو موجود في كلام العرب"[3].

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين؛ أن في الآية الكريمة تشبيه مقلوب، لأنهم شبّهوا البيع الذي هو مجمع على حلّه؛ بالربا الذي هو محرم، ولم يعكسوا تنزيلًا لهذا الذي يفعلونه من الربا منزلة الأصل المماثل له البيع، وهذا من عكس التشبيه، ويسمى: التشبيه المقلوب، وهو أن يجعل المشبه مشبها به، والمشبه به مشبها، وهو أعلى مراتب التشبيه.

وكانت الوظيفة البلاغية هنا للمبالغة، وهذا لإقناع المسلمين بأنّ ما قاله الكفّار هو شبهة محضة، وأنّ اللّه العليم قد حرّم هذا وأباح ذلك، وما ذلك إلّا لحكمة وفروق معتبرة لو تدبرها أهل التّدبّر لأدركوا الفرق بين البيع والرّبا.

**3- التعظيم:**

ومثال عن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ**

[1]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص506.

[2]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص244.

[3]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص707.

**الرَّجِيمِ﴾**[1]، ويوضّح البيضاوي في تفسيره للآية الشاهد: (**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**) حيث يقول: "بيان لقوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ) أي: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت، واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والأنثى سيان فيما نذرت"[2]، والملاحظ أنّ كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري، وتبعهما النسفي، وأبو حيان[3]، بأنّ في الآية الكريمة تشبيه مقلوب.

ويوضّح هذه الوظيفة صاحب السراج المنير بقوله: "من التعظيم للموضوع والرفع منه، ومعناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها"[4].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية وعلى ما أشار إليه الإمام البيضاوي، فإن في الآية تشبيه مقلوب، والغرض من وظيفته البلاغية في هذه الآية الكريمة للتعظيم.

فيتضح مما سبق؛ أن الوظيفة البلاغية هي جواز استعمال المعكوس منه، كل ذلك يرتبط بشعور المتفنن اتجاه المتلقين وغاية من ذلك الاستخدام، لأن استخدام أجمل التشبيهات، وأكثرها قبولا لدى الطباع هي تلك التي إذا انعكست وشبه فيها المشبه به بالمشبه؛ فإن الكلام يستقيم مع صحة المعنى وسلامته، وصواب الشبه وصحته[5]، وهذا النوع يعتبر مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع.

**رابعا: التشبيه الضمني:** وهو نوع من التشبيه لا يأتي على الصورة المعهودة من حيث ذكر عناصره بصورة صريحة، بل يلمح من خلال الكلام[6]، ويفهم ضمنا من غير ذكر ولا تصريح بالتشبيه، ويكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه.

---

[1]- سورة آل عمران الآية36.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص14.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص354، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص250، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص116.

[4]- السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص210.

[5]- يراجع المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص160.

[6]- يراجع علم البيان، عبد الفتاح لاشين، ص103، علوم البلاغة، المراغي، ص234، علم البيان، بكري الشيخ، ص52.

وقد تناول البيضاوي هذا النوع من التشبيه في تفسيره وبين وظيفته البلاغية، ومن النماذج التي اخترناها ما يأتي:

**1- المبالغة:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾[1]، والشاهد في قوله: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا)، يقول البيضاوي: "تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله: فَكَرِهْتُمُوهُ تقريراً وتحقيقاً لذلك"[2]، فالبيضاوي يلمح في تفسيره هذه الآية الكريمة بأن هناك تشبيه ضمني يفهم من السياق.

وأوضح هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه، وفيه مبالغات شتّى، منها: الاستفهام الّذي معناه التّقرير، ومنها: جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبّة، ومنها: إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأنّ أحدا من الأحدين لا يحبّ ذلك، ومنها: أنّه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتّى جعل الإنسان أخا، ومنها: أنّه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتّى جعله ميتا"[3]، واستحسن هذا القول أيضا أبو حيان، وأبو السعود[4]، بأنّ في الآية الكريمة تشبيه ضمني.

ويتساءل الرازي في تفسيره لهذه الآية فيقول: "ما الحكمة في هذا التّشبيه؟ نقول هو إشارة إلى أنّ عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظّاهر، وذلك لأنّ عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم النّاس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطّريق الأولى، وقوله (**لَحْمَ أَخِيهِ**)، آكد في المنع، لأنّ العدوّ يحمله الغضب على مضغ لحم العدوّ، فقال أصدق

---

[1]- سورة الحجرات الآية12.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص136.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص373.

[4]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج9 ص520، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص122.

الأصدقاء من ولدته أمّك، فأكل لحمه أقبح ما يكون"[1]، ووجه آخر ذكره السمعاني في هذه الآية حيث يقول: "كما يكره أحدكم أن يأكل لحم أخيه وهو ميت، فكذلك فليكره أن يذكره بالسوء وهو غائب، فإن قال قائل: أيش التشابه بينهما في المعنى؟ والجواب: أنه إذا أكل لحمه وهو ميت فقد هتك حرمته، وهو لا يشعر به، وإذا ذكره بالسوء بظهر الغيب فقد هتك حرمته، وهو لا يشعر به"[2].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، أن في الآية تشبيه ضمني، لأنه أشار إلى أنّ عرض الإنسان كدمه ولحمه، والإنسان يتألم قلبه كما يتألم جسمه من قطع اللحم، وهذا من باب القياس الظاهر، لأنّ عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه، ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذه الآية الكريمة هي المبالغة في الأمر.

**2- إقامة الحجة:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ ينَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾[3]، والشاهد في قوله: (**وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ ينَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**)، يقول البيضاوي: "هو تمثيل لهم في عدم قبولهم الحق واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة"[4]، وقد أشار إلى هذا الغرض من قبل الطبري إذ قال: "تشبيه من الله جلّ ثناؤه، لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواعظه ببعيد، فهم كما مع صوت من بعيد نودي، فلم يفهم ما نودي"[5]، وقال الزمخشري: "أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم، فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء"[6]، وتبعه كل من النسفي، وأبي حيان في هذا الغرض[7].

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج28 ص110.
[2]- تفسير السمعاني، ج5 ص228.
[3]- سورة فصلت الآية44.
[4]- تفسير البيضاوي، ج5 ص73.
[5]- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج21 ص481.
[6]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص202.
[7]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص239، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج9 ص312.

فبالرغم من خلو الآية من التشبيه الصريح، إلا أنها تضمنت معنى التشبيه. وكانت الوظيفة البلاغية هنا؛ وظيفة حجاجية، لأن القرآن يكون في حقه هدى وشفاء، ولأنه برهان.

**3- التهديد:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**﴾[1]، قال البيضاوي: "تعليل اخر للأمر بالتوكل من حيث إنه يقطع طعمه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً، وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله: (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) فإن إسماعهم في هذه الحالة أبعد"[2]، وإذا حللنا كلام البيضاوي في هذه الآية الكريمة، نجده قد فهم ضمنيا من سياق الآية التشبيه، إذ لا يوجد تشبيه صريح يؤخذ به وهو ما يؤدي إلى مفهوم التشبيه الضمني عند البلاغيين، فطن إليه المفسرون عند تفسيرهم للنص القرآني.

ونلاحظ أيضا أن البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري مع تغيير بعض الألفاظ[3]. ويرى ابن عاشور أن في هذه الآية استعارة، حيث يقول: "مستعاران للقوم الّذين لا يقبلون القول الحقّ ويكابرون من يقوله لهم. شبّهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتفاء فهمهم معاني القرآن، وشبّهوا بالصّمّ كذلك في انتفاء أثر بلاغة ألفاظه عن نفوسهم"[4]، ولعلّ ما ذهب إليه البيضاوي أوْلى، لأن هذا الاختلاف ما بينهما، لا يؤثر ولا يحتاج إلى تأويلات، لأن ظاهر الآية واضح.

ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذه الآية الكريمة التهديد، والتحقير والازدراء بهم، وعدم الانتفاع.

**خامسا: التشبيه التخيلي:** وهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان، تحقيق أو تخييلا، أي: لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل[5]، وهو تشبيه المحسوس بالمعقول. ولعلّ هذا النوع هو

---

[1]- سورة النمل الآية80.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص164.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص383.

[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج20 ص34.

[5]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص244.

الأكثر في القرآن الكريم، لأنه يرسم الصورة العقلية بصورة حسية تقرب المعنى وترسخه في الأذهان.

ولقد سلك البيضاوي خطى المفسرين كالزمخشري والرازي، في الوقوف أمام الصورة التشبيهية في قوله تعالى: ﴿**إِنهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[1]، والشاهد قوله: (**كَأَنَّهُ رُءوسُ الشَّياطِينِ**)، قال البيضاوي أي: "في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالملك. وقيل الشَّياطِينِ حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلها سميت بها لذلك"[2]، ويرى الزمخشري أن الطلع قد شبه برؤوس الشياطين وذلك دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوّره المصورون: جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله، كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه، فشبهوا به الصورة الحسنة، كقوله تعالى: ﴿**مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[3]، وهذا تشبيه تخييلي[4].

ويتساءل الرازي عن هذا التشبيه ويجيب بقوله: "وأمّا تشبيه هذا الطّلع برؤوس الشّياطين ففيه سؤال، لأنّه قيل إنّا ما رأينا رؤوس الشّياطين فكيف يمكن تشبيه شيء بها؟ وأجابوا عنه من وجوه منها: وهو الصّحيح أنّ النّاس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشّياطين نهاية القبح والتّشويه في الصّورة والسّيرة، فكما حسن التّشبيه بالملك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله (إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)، فكذلك وجب أن يحسن التّشبيه برؤوس الشّياطين في القبح وتشويه الخلقة، والحاصل أنّ هذا من باب التّشبيه لا بالمحسوس بل بالمتخيّل"[5]، ويتضح من كلام المفسرين أن هناك لفتة بلاغية، حيث جعلوها صالحة للتشبيه بها، فالتناسب هنا بين الطرفين، تناسب نفسي، يستمد معينه من التخيل، والأثر النفسي الذي تتركه

---

[1]- سورة الصافات الآية65.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص12.

[3]- سورة يوسف الآية31.

[4]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص46.

[5]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج26 ص336.

الصورة قوي الإيحاء، عميق الدلالة. وهذه الصورة ليست شكلية حسية، وإنما هي تخييلية ذات أثر نفسي.

ومن السمات البلاغية في هذه الآية الكريمة هي لجوء الصورة إلى المبالغة في نقل الحالات النفسية في الصدور، وإثارة ذهن السامع.

وخلاصة القول أنّ البيضاوي سلك طريقة المفسرين بالاستعانة بأنواع التشبيه في تفسيره، والغرض من ذلك إقناع المتلقي والتأثير في النفوس. كما أنّ التشبيه يخرج الخفي إلى الجلي، ويدني البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها توكيدا وفضلا.

فهذه التشبيهات وغيرها كثيرة، تظهر لنا بلاغة هذا النّوع البياني، وقدرته على التوضيح والتمثيل، وأنّه من أكثر الأساليب البيانيّة قدرة على التوغّل في النّفس والتّأثير فيها.

كما يعدّ التشبيه أكثر الأدوات استعمالا في فنون القول، وأكثرها بلاغة وتوصيلا للمعاني المراد إبلاغها إلى الآخرين، فقد طبعت النفوس على المقارنة والمفاضلة بالأشياء، وهي تجد حاجيتها الذهنية أو الشعورية في ملاحظة عناصر التشابه والاختلاف بينها، والتشبيه مع ما فيه من جمال فني، وإبداع في التعبير وإيقاظ للعقول، وتحريك للوجدان، تدل كلها على بلاغة التشبيه ووظيفته الإبلاغية في توصيل المعاني إلى النفوس.

# المبحث الثاني: المجاز

## توطئة:

المجاز باب من أبواب التوسع في المعاني، وزيادة في مدلولات الألفاظ، وله طريقة جميلة في التعبير عن المعنى، إذ يخرج باللغة عن التعبير المباشر إلى التعبير الفني الجميل.

ووظيفته الأساسية يؤدي إلى إيجاز التعبير عن المعنى، إذ يخرج باللغة عن التعبير المباشر إلى التعبير الفني الجميل، فبواسطته يمكن اختصار الكلام، وحذف فضوله.

### -مفهوم المجاز:

**لغة**: جاء في اللسان "(جوز): جزت الطريق وجاز الموضع جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره وجازه وجاوزه وأجاز غيره، وجازه: سار فيه وسلكه وجاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته. والمجاز والمجازة الموضع"[1]، وجاء في المعجم الوسيط: "المجاز: المعبر، ومن الكلام: ما تجاوز ما وضع له من المعنى"[2]، فالمجاز لغة يعني إذا التجاوز والتسامح والتخطي، والتعبير.

**اصطلاحا**: نال المجاز عناية كثير من اللغويين والبلاغيين الذين حرصوا على وضع تعريفات متعددة له، اختلفت أحيانا في ألفاظها لكنها لم تختلف في مضمونها، ومن أهم هذه التعريفات تعريف ابن سنان الخفاجي الذي يقول فيه: "هو اللفظ الذي أريد به ما لم يوضع لإفادته"[3]. وعرفه عبد القاهر الجرجاني فقال: "المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصفه بأنه مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع أولا "[4]. وقال أيضا: "أمّا المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها الملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز وان شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها لملاحظة بين ما تجوز بها

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، مادة (جوز).

[2]- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة، ج1 ص147.

[3]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مطبعة صبيح القاهرة 1925م، ص40.

[4]- أسرار البلاغة، الجرجاني، ص342.

إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[1]. وذهب القزويني بأنّ المجاز هو "الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب، على وجه يصحّ، مع قرينة عدم إرادة المعنى الحقيقي"[2].

ويرى العلوي أنّ أحسن تعريف للمجاز هو: "ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي"[3]. ويتضح من سبق أن للمجاز له شروط وهي[4]:

- لابد من علاقة تسوغ نقل الكلمة من الحقيقة إلى غير الحقيقة.
- لا مانع أن تكون العلاقة قائمة على المشابهة أو على غير المشابهة.
- لا بد من قرينة ملحوظة أو ملفوظة تميز اللفظ الحقيقي من اللفظ المجازي.

**-أهداف المجاز:** لقد أشار البلاغيون إلى أن خروج المتكلم من الحقيقة إلى المجاز يحقق أهداف كثيرة، لعل أبرزها: التوسع، والتشبيه، والتوكيد[5]، فالتوسع يعني الزيادة في المعاني الجديدة، والتشبيه عادة ما يكون عن طريق الاستعارة، التي توجد علاقة التشابه بين شيئين، يكون أحدهما مذكورا، ولآخر محذوفا، وأما التوكيد فلتمكين المعاني في النفوس، وعليه فإن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأكثر مبالغة في التعبير.

ففي قوله تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[6]، مجازا في كلمة (النَّجْدَيْنِ)؛ لأن المعنى الحقيقي لكلمة (النجد) هو الطريق الواضح المرتفع، وقصد بالنجدين هنا طريقي الخير والشر. فكان التوسع في زيادة معان لكلمة (النجد)، وكان التشبيه لطريقي الخير والشر بالنجدين واضحا ودالا على الاستعارة، وجاء التوكيد واضحا من خلال عرض المعنويات في صورة المحسوسات[7].

---

[1]- أسرار البلاغة، الجرجاني، ص304.

[2]- تلخيص المفتاح، القزويني، ص149.

[3]- الطراز، العلوي، ج1 ص63.

[4]- البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ج2 ص67.

[5]- يراجع الخصائص، ابن جني، ج2 ص442.

[6]- سورة البلد الآية10.

[7]- يراجع علوم البلاغة -البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، ص186.

**-قرينة المجاز:** يفهم من كلام البلاغيين أن القرينة هي الدليل الذي يساعد العقل على فهم المراد من الكلام[1]؛ فوظيفة المتكلم إزالة اللبس عن الكلام في حالة خروجه من الحقيقة إلى المجاز، ولا يتحقق ذلك إلا باستخدام أنواع القرائن التي يكون بعضها متعلقا بعلامات في اللفظ نفسه، وبعضها متعلقا بالنظر العقلي في المعاني المجاورة، وبعضها متعلقا بالسياق العام للنص.

ويمكن تعريف القرينة بأنّها الأمر الذي يجعله المتكلم دليلا على أنّه أراد باللفظ غير ما وضع له[2]، فهي تصرف الذهن من المعنى الوضعي، إلى المعنى المجازي.

وبناء عليه فإن القرينة دليل مساعد من جهة اللغة أو العقل أو الحال، تكون وظيفته تحديد المراد، وإزالة الالتباس.

**-أقسام المجاز:** يقسم علماء البلاغة المجاز إلى قسمين: المجاز العقلي، والمجاز المرسل.

**أ- المجاز العقلي:**

**تعريفه:** هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[3]. والمجاز العقلي مستنبط من تركيب الكلام دون النظر إلى لفظ معين أو صيغة مفردة، وهذا ما يميزه عن المجاز اللغوي[4]، فالمجاز العقلي يكون في الإسناد.

**وظيفته:** للمجاز العقلي وظيفة حجاجية تتصل بالعقل واللغة والاعتقاد المشترك بين المتخاطبين، وتتضح هذه الوظيفة عند الربط بين الاستدلال، ومفهوم البيان[5]، فوظيفة البيان تتعلق بالكيفية التي يتم فيها توظيف الأدوات البيانية في سياق تخاطبي معين من أجل تحصيل المطلوب.

وبيّن عبد القاهر وظيفته فقال: "إنه كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا، وأن

---

[1]- يراجع أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص320.

[2]- يراجع جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ص216.

[3]- يراجع أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص385.

[4]- يراجع مجاز القرآن -خصائصه الفنية وبلاغته العربية، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي بيروت ط1/(1420هـ-1999م)، ص117.

[5]- يراجع حجاجية المجاز والاستعارة، حسن المودن، ص158.

يضعه بعيد المرام، قريبا من الأفهام"[1]، والمقصود هنا أنّ المجاز يعتمد على الاتساع في طرق البيان، وقوة الفكر أثناء التحليل.

**-علاقات المجاز العقلي ووظائفه في تفسير البيضاوي:**

وللمجاز العقلي عدة علاقات بين المسند والمسند إليه، ذكر منها البلاغيون الفاعلية، والمفعولية، والمصدرية، والزمانية، والمكانية، والسببية، وغيرها[2]. ولقد وقف البيضاوي عند آيات المجاز العقلي كما وقف غيره من قبل من غير أن يصرح بالتسمية، وإنما يفهم ذلك من خلال تفسيره وشرحه لهذه الآيات، ومن أشهر علاقات المجاز العقلي التي وظفها البيضاوي في تفسيره ما يأتي:

**أولا: العلاقة الزمانية:**

وفيها يسند الفعل-أو ما في معناه- إلى الزمان الذي وقع فيه، وليس إلى الفاعل الحقيقي. ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذه الأداة ما يلي:

**1- المبالغة:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[3]، الشاهد قوله: (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا)، يقول البيضاوي: "يبصر فيه أو به، وإسناد الإبصار إليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل إلى الحال"[4]. وقد سبقه الزمخشري في هذا الطرح[5]، أي أنّ في الآية الكريمة مجاز عقلي، وعلاقته هي الزمانية، وهو إسناد الإبصار إلى النهار، والنهار لا يبصر.

وقال العلامة ابن عاشور: "ودلّت مقابلة تعليل إيجاد اللّيل بعلّة سكون النّاس فيه، بإسناد الإبصار إلى ذات النّهار على طريقة المجاز العقليّ وإنّما المبصرون النّاس في النّهار على احتباك، إذ يفهم من كليهما أنّ اللّيل ساكن أيضا، وأنّ النّهار خلق ليبصر النّاس فيه إذ المنّة بهما سواء،

---

[1]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص295.

[2]- يراجع شروح التلخيص، القزويني، ج1 ص235، علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص149.

[3]- سورة غافر الآية61.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص214.

[5]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص175.

فهذا من بديع الإيجاز مع ما فيه من تفنّن أسلوبي الحقيقة والمجاز العقليّ"[1]، ووظيفة المجاز العقلي الإسناد، حيث أسند الفعل أو ما في معناه إلى الزمن الذي وقع فيه.

ومثاله أيضا قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ**﴾[2]، قال البيضاوي: "أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند إليهن على المجاز تطبيقاً بين المعبر والمعبر به"[3]، فالفعل (يأكلن) من الفعل المجازي، فأسند الفعل إلى الزمن، وهو سبع سنوات، ووظيفة المجاز العقلي في هذه الآية إسناد الأكل إلى السنين مجاز، والعلاقة هي الزمانية.

وبناء على ذلك فإنّ أغلب ضروب المجاز العقلي لا تخلو من مبالغة بديعية تثري الأسلوب وتُضفي عليه رونقا وجمالا، مما يقوي الأسلوب، ويسرح بالعقل بعيدا، والغرض من ذلك تجميل المعاني.

## 2- الترهيب:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾[4]، يقول البيضاوي: "مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة"[5]، ومفاد ذلك هي الدعوة إلى عبادة الله تعالى من خلال تخويف الكفار من العذاب، لأنهم كانوا يعبدون الأوثان، ولذا أسند المصدر إلى زمانه، فالعلاقة هي علاقة الزمانية. والوظيفة البلاغية هي الترهيب.

وأوضح هذا الغرض الزمخشري، إذ قال: "وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازى لوقوع الألم فيه. فإن قلت: فإذا وصف به العذاب؟ قلت: مجازى مثله، لأنّ الأليم في الحقيقة هو

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج24 ص183.

[2]- سورة يوسف الآية48.

[3]- تفسير البيضاوي، ج3 ص166.

[4]- سورة هود الآية27.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص132.

المعذب، ونظيرهما قولك: نهارك صائم، وجدّ جدّه"[1]، واستحسن هذا الغرض النسفي[2]، وأومأ إلى هذا الرازي إذ قال: "والمعنى أنّه لما حصل الألم العظيم في ذلك اليوم أسند ذلك الألم إلى اليوم، كقولهم نهارك صائم، وليلك قائم"[3]، أما أبو حيان فقد وضّح هذه الوظيفة بقوله: "ووصفه بالأليم من باب الإسناد المجازيّ مبالغة"[4]، فيرى أبو حيان أنّ الآية الكريمة فيها مجاز عقلي، والغرض منه المبالغة.

وبناء على ما تقدم، فإنّ البيضاوي يتّفق مع المفسرين في هذه الآية الكريمة بأن علاقتها علاقة زمانية، ووظيفتها البلاغية هنا المبالغة، لأن وصف اليوم بالْأليم مجاز عقليّ، وهو أبلغ من أنْ يوصف العذاب بالأليم، لأنّ شدّة العذاب لما بلغت الغاية جُعل زمانه أليما.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ**﴾[5]، قال البيضاوي: "الموعود إلى جماعة من الأوقات قليلة"[6]، وقال الرازي: "وهو القصد، كأنّه يعني الوقت المقصود بإيقاع هذا الموعود فيه"[7]، فقد نسب الفعل إلى اليوم، وهو ليس الفاعل الحقيقي، وإنّما هو زمان لذلك الفعل، فالعلاقة هي الزمانية، والوظيفة البلاغية هي اقتران الزمان بالعذاب؛ لأن المقصود بأمة معدودة الحين والوقت.

### 3- التأكيد:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ**﴾[8]، قال البيضاوي: "والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال، ووصف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه"[9]، يفهم من كلام البيضاوي أن هذا العذاب إما في الدنيا بعذاب

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص388.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص53.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج17 ص363.

[4]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج2 ص559.

[5]- سورة هود الآية8.

[6]- تفسير البيضاوي، ج3 ص129.

[7]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج17 ص320.

[8]- سورة هود الآية84.

[9]- تفسير البيضاوي، ج3 ص144.

الاستئصال، وإمَّا يوم القيامة، ففي هذه العلّة تذكير لهم بعذاب الآخرة، كما أنَّ العلة الأُولى فيها تذكير لهم بنعيم الدنيا، ووصف اليوم بالإحاطة؛ لأنَّ العذاب واقع في اليوم، ففيه إسناد مجازيّ علاقته الزمانية، ووظيفته البلاغية لتأكيد الإحاطة القطعية للعذاب.

**ثانيا: العلاقة السببية:** وفيها يسند الفعل – أو في معناه – إلى ما كان سببا فيه، وليس إلى فاعله الحقيقي، ونجد هذا النوع قد تناوله البيضاوي وبيّن وظيفته البلاغية، ومن أبرز الوظائف ما يلي:

**1- التعظيم:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**﴾[1]، يرى البيضاوي أن في هذه الآية مجاز، إذ يقول: "عذابنا أو أمرنا به، ويؤيده الأصل وجعل التعذيب مسبباً عنه بقوله: (جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها)، فإنه جواب (لما) وكان حقه: جعلوا عاليها سافلها، أي: الملائكة المأمورون به، فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيماً للأمر"[2]. ويشير البيضاوي أنّ الوظيفة البلاغية في هذا المجاز العقلي، هي التعظيم للأمر، أما العلاقة فسببية.

وعقّب شهاب الدّين الخفاجي في حاشيته على هذا الكلام إذ قال: "فالإسناد إليه باعتبار اللغة وإن كان هو الفاعل الحقيقي وكونه مسبباً شاملا لكونه أمرآ أيضا، وبين نكتة الإسناد إليه بأنّ تعظيم ذلك الأمر، وتهويله ما يتولاه العظيم من الأمور فهو عظيم، ويقوي هذا ضمير العظمة أيضا"[3]. وقد أوضح هذا الغرض أبو السعود حيث قال: "وإسناد الجعل والإمطار إلى ضميره سبحانه باعتبار أنّه المسبّب لتفخيم الأمر وتهويل الخطب"[4].

نستنتج من هذه الأقوال، أن في الآية الكريمة مجاز عقلي، علاقته السببية، أمّا وظيفته البلاغية هنا فهي التعظيم.

---

[1]- سورة هود الآية82.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص143.

[3]- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجي، ج5 ص122.

[4]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج4 ص230.

**2- المبالغة:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[1]، وقال البيضاوي: "والازدراء به افتعال من زرى عليه إذا عابه. قلبت (تاؤه) دالاً لتجانس الراء في الجهر، وإسناده إلى الأعين للمبالغة، والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم"[2]. ويشير البيضاوي أن الآية فيها مجاز، وهذا بإسناد الفعل (تزدري) إلى الأعين، إسناد مجازي علاقته السببية، ووظيفة المجاز العقلي هنا المبالغة.

**3- التنبيه:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[3]، الشاهد قوله: (وإن خفتم عيلة)، يقول البيضاوي: "فقراً بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب"[4]، فأسند الفعل (خاف) إلى العيلة.

والمجاز العقلي في هذه الآية علاقته السببية، ووظيفة المجاز العقلي هنا للتنبيه بأن الله سبحانه سيزيدهم من فضله ويمنع عنهم الفقر.

**4- التعريض:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "وقيل للسببية والمعتزلة أوّلوا الإغواء بالنسبة إلى الغي، أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام، أو بالإضلال عن طريق الجنّة واعتذروا عن إمهال الله له، وهو سبب لزيادة غيّه وتسليط له على إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النّار أمهل أو لم يمهل، وأن في إمهاله تعريضاً لمن خالفه

---

[1]- سورة هود الآية31.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص129.

[3]- سورة التوبة الآية28.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص77.

[5]- سورة الأعراف الآية39.

لاستحقاق مزيد الثواب، وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الألباب"[1]، والمعنى: بكوني غاويا لأزيننّ لهم، إسناد الفعل إلى ما كان سببا فيه، وليس إلى فاعله الحقيقي، فالعلاقة بين المعنيين علاقة سببية.

**ثالثا: العلاقة المكانية**: ومن المزايا البلاغية لهذه الأداة ما يلي:

## 1- المبالغة:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾[2]، يقول البيضاوي: "وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة، وجعله مميزاً إيضاحاً للمقصود"[3]، يستشف من كلامه أنه أسند الفعل (اشتعل) إلى المكان الذي وقع فيه، وليس إلى الفاعل الحقيقي، فإسناد الاشتعال إلى الرأس إسناد مجازي؛ لأن الاشتعال لا يكون في الرأس وإنما يكون في الأشياء التي تشتعل كالحطب وغيرها، فهذا مجاز عقلي علاقته المكانية.

وأشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة"[4]. وأما النسفي فيرى أن الوظيفة البلاغية لهذا الإسناد التعميم، حيث يقول: "لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس"[5]، واستحسن هذا الكلام الشوكاني[6]. ولأبي السعود كلام يحسن إيراده في هذا السياق، إذ يقول: "ثم أَسند الاشتعال إلى محل الشعرِ ومنبِتِه وأخرجه مُخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيّد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة مالا يخفى حيث كان الأصل اشتعل شيبُ رأسي فأسند الاشتعالَ إلى الرأس كما ذُكر لإفادة شمولِه لكلها فإن وِزانَه بالنسبة إلى الأصل

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص211.

[2]- سورة مريم الآية4.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص360.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص4.

[5]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص326.

[6]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص379.

وزانُ اشتعل بيتُه نارا بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالإجمال أولا والتفصيلِ ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير"[1].

ومن خلال أقوال المفسرين لا حظنا أنّ هناك مجاز في هذه الآية الكريمة، حيث قدّره البيضاوي بأنّ غرضه المبالغة، وقدّره الزمخشري والنسفي وأبو السعود بأنّ الفائدة منه التعميم والشمول، وكلا التعبيرين يعبران عن مقصود الآية.

## 2- التشويق:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "من تحت أشجارها، كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها. وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود: واللام في الْأَنْهارُ للجنس، كما في قولك لفلان: بستان في الماء الجاري، أو للعهد، والمعهود: هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿**فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾[3]، و(النهر) بالفتح والسكون: المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر، كالنيل والفرات، والتركيب للسعة، والمراد بها ماؤها على الإضمار، أو المجاز، أو المجاري أنفسها. وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها**﴾[4]"[5]، ويشير البيضاوي في هذه الآية أنّ إسناد الجري إلى الأنهار إسناد مجازي؛ لأن الأنهار لا تجري، وإنما يجري الماء الذي في الأنهار، فهذا مجاز عقلي علاقته المكانية، ووظيفة العلاقة المكانية هي إسناد الفعل إلى المكان الذي يقع فيه.

والملاحظ أنّ كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري، وتبعه كل من النسفي، وصاحب السراج المنير، وأبي السعود[6]، أنّ في الآية مجاز عقلي علاقته المكانية.

---

[1]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج5 ص253.

[2]- سورة البقرة الآية25.

[3]- سورة محمد الآية15.

[4]- سورة الزلزلة الآية2.

[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص61.

[6]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص105، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص67، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص37، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص69.

ويرى صاحب (اللّباب في علوم الكتاب) أن الآية الكريمة فيها مجاز، وعلاقته المحل، حيث يقول: "وإنّما أطلق على الماء مجازا إطلاقا للمحلّ على الحالّ"[1].

والذي يترجّح لنا أنّ الصواب هو ما ذهب إليه البيضاوي؛ -وهو رأي جمهور المفسرين-، بأنّ في الآية الكريمة مجاز عقلي علاقته المكانية، والغرض منه التشويق، لأن المأمور بالتبشير هو النبي صلّى الله عليه وسلّم، أو كل من يتأتى منه تفخيما لأمره، وتعظيما لشأنه.

## رابعا: العلاقة المفعولية:

وفيها يستعمل اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول[2]، كقوله تعالى: ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾[3]، قال البيضاوي: "ذات رضا على النسبة بالصيغة. أو جعل الفعل لها مجازاً وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم"[4]، ويرى بعض المفسرين أنها من قبيل الإسناد إلى السبب؛ لأن العيش سبب الرضى من منَعَّم العيش[5].

فوظيفة المجاز في هذه الآية ليصوّر حسن الجزاء والثواب لهذا السعيد، وفي وصف العيشة باسم الفاعل (راضية) مجاز عقلي علاقته المفعولية؛ لأن الراضي هو الإنسان الذي يعيش فيها وليست العيشة، فهي مرضية والفعل أسند إليها، وفي التعبير بالمجاز مبالغة في وصف هذه المعيشة حتى كأنها عاقلة رضت بمن يسكنها؛ لأنه استحقها بما قدم. فالعلاقة بين المعنيين تقتضي المفعولية، ووظيفتها ملابسة الفعل.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[6]، قال البيضاوي: (بَلَداً آمِناً) أي: ذا أمن كقوله تعالى فِي (عِيشَةٍ راضِيَةٍ). أو آمناً أهله كقولك: ليل نائم"[7]، وقد أشار الزمخشري إلى هذه

---

[1]- اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين الحنبلي، ج1 ص446.

[2]- يراجع جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص231.

[3]- سورة الحاقة الآية21.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص442.

[5]- يراجع تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين الهرري، تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة ط2001/1م، ج2 ص271.

[6]- سورة البقرة الآية127.

[7]- تفسير البيضاوي، ج1 ص105.

الآية الكريمة فقال: "فإن قلت أي فرق بين القولين قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني: أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن. كأنه قال: هو بلد مخوف فاجعله آمنا"[1]، ويتفق المفسرون على أن هذه الآية فيها مجاز علاقتة المفعولية.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصم المؤمنين وهو السفينة. وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله: ﴿**فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾"[3]، ويرى السمعاني أن فيها قولان: أحدهما: أن العاصم بمعنى المعصوم، ومعناه: لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحم[4]، ولا تختلف الرؤية التفسيرية للبيضاوي عما رآه الرازي من قبل، فهو يقول: "وعلى هذا التقدير: العاصم هو ذو العصمة، فيدخل فيه المعصوم"[5].

ويكشف البيضاوي عن الغرض في هذا التجوّز البلاغي فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ لَئِنْ لَمْ ينْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ**﴾[6]، أي: "وإنما جاز لوصفها، وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ، وهما لصاحبها على الإسناد المجازي للمبالغة"[7]، وعليه؛ فوصف الناصبة بالكاذبة كما وصفت العيشة بالراضية فكلاهما فاعل بمعنى مفعول. والوظيفة هنا المبالغة في الوصف؛ إلا أن الأولى كانت مبالغة في الذم، في حين كانت الثانية مبالغة في المدح.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص523.

[2]- سورة هود الآية43.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص132.

[4]- يراجع تفسير القرآن، ابن عبد الجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن ابراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض السعودية ط1/(1418هـ-1998م)، ج2 ص431.

[5]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج17 ص352.

[6]- سورة العلق الآية16.

[7]- تفسير البيضاوي، ج5 ص326.

يتضح مما سبق أنه قد تم الإسناد إلى صيغة اسم الفاعل وقصد أن يسند إلى اسم المفعول وذلك على سبيل المجاز العقلي، والعلاقة بين المعنيين هي المفعولية. ووظيفة المجاز العقلي في النص تنبيه الأذهان، والتشويق إلى سماع بقية الكلام.

**خامسا: العلاقة الفاعلية:**

وفيها يستعمل اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾[1]، يقول البيضاوي: "(مَسْتُوراً) ذا ستر كقوله تعالى: ﴿**وَعْدُهُ مَأْتِيًّا**﴾[2]، وقولهم: سيل مفعم، أو مستوراً عن الحس، أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون، أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الأنفس والآفاق تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة"[3]، يستشف من كلام البيضاوي أن الحجاب في أصله ساتر، وليس مستورا.

ويرى الزمخشري أن (مستورا) بمعنى (ذا ستر)، كقولهم: سيل مفعم[4]، ولا يختلف هذا الرأي عما رآه البيضاوي. ويبدو أن سياق الآية ينسجم مع كونه مستورا بمعنى ساترا إذ ليس القصد هو الحجاب حتى يكون مستورا عن أبصار الناس وإنما القصد قراءة القرآن.

وبهذا حلّ اسم المفعول محل اسم الفاعل، أي: أسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، وهذا الإسناد مجازي، علاقته الفاعلية.

**سادسا: العلاقة المصدرية:**

وفيها يسند الفعل – أو ما في معناه- إلى المصدر من لفظه، وقد تحدث البيضاوي عن هذه العلاقة في تفسيره، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ**

---

[1]- سورة الإسراء الآية45.

[2]- سورة مريم الآية61.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص305.

[4]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص627.

**يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾**[1]، قال البيضاوي: "(حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ) يستوفي أرواحهن الموت، أو يتوفاهن ملائكة الموت"[2]، يفهم من سياق النص أن المجاز العقلي في: ( يتوفاهن الموت)، حيث أسند التوفي إلى الموت مجازا، والفاعل الحقيقي هم الملائكة المكلفون بذلك، وإسناده للموت نفسه.

وقال الألوسي: "لا معنى له إلا أن يقدر مضاف يسند إليه الفعل، أي: ملائكة الموت، أو يجعل الإسناد مجازا لإسناد ما للفاعل الحقيقي إلى أثر فعله"[3]، والفاعل هم الملائكة وأثر فعلهم هو الموت، وفيه تهويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى قبض الأرواح وتوفيها[4]. فالعلاقة بين المعنيين هي المصدرية.

ومنه أيضا قول الله عز وجل: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[5]، قال البيضاوي: "(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) أي: ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بالله، أو لكن ذا البر من آمن"[6]، فعلى التقدير الأول يكون المقصود من البر هو البار أي (ذا البر)، وقد أطلق المصدر بدلا من الفعل الحقيقي.

ويقول ابن عطية: "والمصدر إذا أنزل منزلة اسم الفاعل فهو ولابد محمول على حذف مضاف، كقولك رجل عدل ورضى"[7].

---

[1]- سورة النساء الآية15.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص64.

[3]- روح المعاني، الألوسي، ج4 ص235.

[4]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج1 ص495.

[5]- سورة البقرة الآية177.

[6]- تفسير البيضاوي، ج1 ص120.

[7]- المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1 ص243.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك: زيد كرم بمعنى ذو كرم، أو على تجوز إما بمعنى منور السموات والأرض"[2]، ويستشف من هذا القول أن المقصود من اللفظ (نور) هو اسم الفاعل (منور)، وهو مجاز عقلي علاقته المصدرية.

قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾[3]، والشاهد في الآية الكريمة: (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)، قال البيضاوي أي: "ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل، والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة، أو للأمر الذي به الضلال فوصف به لملابسته"[4]، فوصف الضلال بالبعد، من الإسناد المجازي، ولعل كلمة (بعيد) وصف حقيقي (للضلال)، ومجيء الضلال بعد حرف الجر (في) أكسبه معنى الظرفية، أي صار وعاء وظرفا لهم فوصفه بالبعد تصوير الضلال مستقرا وعميقا، فالعلاقة بين المعنيين هي المصدرية.

وخلاصة القول أنّ العلاقة المصدرية هي وضع المصدر موضع الصفة لإفادة المبالغة في أداء المعنى، وهو ما كشف عنه البيضاوي في تفسيره لآيات القرآن الكريم، بما يكشف عن براعته ومهارته ومقدرته البلاغية في توظيف علاقات المجاز العقلي، بكل مهارة وذوق في بيان دلالة النص، وفق تلك العلاقات المجازية، والتعبير عنها وعرضها في وظيفة بلاغية جمالية.

---

[1]- سورة النور الآية35.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص107.

[3]- سورة إبراهيم الآية4.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص192.

## ب- المجاز المرسل:

### - تعريف المجاز المرسل:

وهو كل كلمة استعملت في غير معناها الأصلي، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. وجاء في الإيضاح: "هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها، ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولى لها، فلا يقال: اتسعت اليد في البلد، أو اقتنيت يدا، كما يقال اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة، وإنما يقال: جلت يده عندي، وكثرت أياديه لدي ونحو ذلك"[1]، ويستشف من كلام القزويني إلى خلاصة مفادها أن في المجاز علاقة بين أمرين، أو مجموعة من العلاقات، فإذا انحصرت هذه العلاقة في التشبيه كان المجاز ضربا من الاستعارة، وإذا لم تكن العلاقة مقيدة بالتشبيه بل أرسلت لتشمل أنواعا كثيرة من العلاقات كان المجاز مرسلا.

وجاء في تعريف المحدثين للمجاز من ذلك قول أبو العدوس: "إنه مجاز لغوي يرتبط فيه المعنى الحقيقي بالمعنى المجازي بعلاقة غير المشابهة، وسمي بالمرسل، لأنه غير مقيد بعلاقة المشابهة، إذ إن الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيد بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به، والمجاز المرسل مطلق على هذا القيد"[2]، وسمي مرسلا لأن الإرسال هو الإطلاق، فهو مطلق في علاقاته؛ أي ليس له علاقة معينة هي المشابهة كما هو الشأن في الاستعارة[3]؛ فالمجاز المرسل متعدد العلاقات، ولا بد من وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وتدل على المعنى المجازي.

والفرق بينه وبين المجاز العقلي؛ أن المجاز العقلي واقع في الإسناد، أي في إسناد أمر إلى غير ما هو له في الحقيقة، أما المجاز المرسل فإنه واقع في الألفاظ، فهي التي تنقل فيه من معناها

---

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص297.

[2]- المجاز المرسل والكناية الأبعاد والمعرفة والجمالية، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة لبنان1998م، ص15.

[3]- يراجع البلاغة فنونها وأفنانها، حسن عباس، ص33.

اللغوي الحقيقي إلى معنى آخر مجازي، وهو المراد، فالتغيير الذي يجري على هذه الألفاظ في هذا المجاز يتم في نطاق ما دلت عليه اللغة، ومن هنا كان مجازا لغويا[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ المجاز المرسل هو فرع من المجاز اللغوي، وفيه تكون العلاقة بين الكلمة المستعملة في غير معناها الحقيقي ومعناها الحقيقي الأصيل قائمة على غير المشابهة. ولا بد من وجود قرينة ملفوظة أو ملحوظة تدل على إرادة المعنى الحقيقي.

## -علاقات المجاز المرسل ووظائفه في تفسير البيضاوي:

للمجاز المرسل علاقات كثيرة يتميز بعضها عن بعض بأسماء تؤخذ من وصف الكلمة التي تذكر في الجملة، فإن كانت الكلمة جزءا ما أريد بها جعلت العلاقة الجزئية، وإن كانت كلا له جعلت العلاقة الكلية، وهكذا[2]. وذكر البلاغيون ما يزيد على عشرين علاقة من العلاقات التي تكون في المجاز المرسل، منها[3]: (السببية، المسببية، الكلية، الجزئية، المحلية، الحالية، الآلية والماضوية والمستقبلية).

كما يؤدّي المجاز المرسل دورا هاما في بلاغة التعبير، لأنه يوسع دلالته، ويشحن الألفاظ بدلالات جديدة من غير إماتة للمعنى الحقيقي[4]، وأيضا يمكنّ المتلقي من إدراك القيمة الفنية للمجاز المرسل. وتكمن هذه القيمة في أنه يضفي علي الصورة رونقا ويوسع دائرة الإيحاء ويكمل وظيفة اللغة من خلال الرؤيا الفنية للأشياء[5]، وهو يساعد على التركيز لفهم الحذف الحاصل في أوجه المجاز وعلاقاته.

ومن أهمّ علاقات المجاز المرسل ووظائفه في تفسير البيضاوي ما يلي:

---

[1]- يراجع من بلاغة النظم القرآني، بسيوني عبد الفتاح، ص137.

[2]- يراجع البلاغة العالية في البيان، ص77.

[3]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم البيان، بكري الشيخ، ص44، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ص241.

[4]- يراجع علوم البلاغة-البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، ص230.

[5]- يراجع المرجع نفسه، ص231.

### أ- العلاقة السببية:

وهي أن يسمى الشيء باسم سببه[1]، أو ذِكر السبب وإرادة نتيجته. ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذه الأداة ما يلي:

### 1- التحقير:

ومن أمثلته قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "لما منعهم الله تعالى ألطافة التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم، وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة، تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً، وأمكن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغياناً، أُسْنِدَ ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب مجازاً، وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة"[3]، ونلاحظ هنا أن البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري، مع تغيير بعض الألفاظ[4]. وعبر بلفظ الاستهزاء (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بهم) وأراد العقوبة لهم على استهزائهم، فذكر السبب وأراد النتيجة وهي العقوبة لهم، ففي هذه الآية مجاز مرسل علاقته السببية.

ونلاحظ أن هناك وظيفة بلاغية يؤديها المجاز المرسل وهي تحقير شأنهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك منها الضاحكون.

### 2- الاستغناء:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾[5]، قال البيضاوي أي: "فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم، فوضع (فَقَدْ كُذِّبَتْ) موضعه استغناء بالسبب عن المسبب"[6]، يفهم من كلام البيضاوي أن في الآية مجاز مرسل، حيث

---

1- يراجع أصول البيان العربي، محمد حسين الصغير، ص53.

2- سورة البقرة الآية14.

3- تفسير البيضاوي، ج1 ص47.

4- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص68.

5- سورة فاطر الآية4.

6- تفسير البيضاوي، ج4 ص254.

أطلق السبب وهو (الكذب) وأراد المسبب وهو (الصبر) على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية.

وقد وضّح هذا الكلام الزمخشري إذ قال: "استغناء بالسبب عن المسبب: أعنى بالتكذيب عن التأسى. فإن قلت: ما معنى التنكير في رسل؟ قلت: معناه (فقد كذبت رسل)، أي: رسل ذو عدد كثير. وأولو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم، وما أشبه ذلك. وهذا أسلى له، وأحثّ على المصابرة"[1]، واستحسن هذا الغرض كُلّ من النسفي والألوسي[2]، وهو أنّ في الآية الكريمة مجاز مرسل. والوظيفة البلاغية لهذه العلاقة الاستغناء، لأنه استغني بالسّبب عن المسبّب لدلالته عليه.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، يقول البيضاوي: "وسمى الثانية سَيِّئَةٍ للازدواج"[4]، أي: أن السيئة الثانية ليست سيئة كالأولى وإنما هي مجازاة عنها وكذا أمر الاعتداء الثاني ليس حقيقة، وإنما "سمي جزاء الاعتداء اعتداء لأنه مسبب عن الاعتداء"[5]. أي: أن هناك ملازمة بين الشرط وجزائه كما أن هناك ملازمة بين السبب ومسببه، فهذا مجاز مرسل علاقته السببية.

ونلاحظ أن هناك وظيفة بلاغية يؤديها المجاز المرسل وهي مقابلة الإساءة بالإساءة دون زيادة، خلاف الحسنة التي تتضاعف إلى أضعاف مضاعفة.

### 3- الإيجاز والاختصار:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾[6]، قال البيضاوي أي: "ولكنا أوحينا إليك لأنا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد، فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص598.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص77، روح المعاني، الألوسي، ج22 ص167.

[3]- سورة الشورى الآية40.

[4]- تفسير البيضاوي، ج5 ص88.

[5]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص272.

[6]- سورة القصص الآية45.

واندرست العلوم، فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه"[1]، فقد ذكر سبب الوحي الذي هو (إطالة الفترة)، ودل به على المسبب على عادة الله عز وجل في اختصاره، فالعلاقة ذكر السبب لإرادة المسبب، ووظيفتها البلاغية الإيجاز والاختصار.

والملاحظ هنا أنّ كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري، وتبعهما أبو السعود[2]. وقد وضّح هذه الوظيفة النسفي أيضا بقوله: "فذِكْر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة ودل به على المسبب اختصاراً فإذا هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده"[3]، واستحسن هذه الوظيفة أيضا أبو حيان الأندلسي[4]، وهذا عندما بيّن أنّ الوظيفة البلاغيّة في هذه الآية الكريمة هي الإيجاز والاختصار.

نستنتج من هذه الأقوال أنّ في الآية الكريمة مجاز مرسل، علاقته هي السببية، وقيمته البلاغية هي الإيجاز، لأنّه يعدّ من أبرز سمات المجاز المرسل.

### ب- العلاقة المسببية:

وهي أن "يذكر المسبّب ويراد به السّبب"[5]، وهي عكس العلاقة السببية. ومن أمثلة هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يعْقِلُونَ**﴾[6]، قال البيضاوي أي: "من مطر وسماه رزقاً لأنه سببه"[7]، ومعلوم أن الرزق لا ينزل من السماء، وإنما ينزل من السماء ما هو سبب في وجود هذا الرزق، فالسماء تمطر مطرا يروى الأرض وينبت النبات فيها فيفيد منه الإنسان ويكون رزقا له، والذي سوَغ إرادة المعنى المجازي وجود علاقة رابطة بينه وبين المعنى الحقيقي وهي علاقة

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج4 ص179.
[2]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص417، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج7 ص16.
[3]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص646.
[4]- يراجع البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8 ص309.
[5]- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج3 ص208.
[6]- سورة الجاثية الآية7.
[7]- تفسير البيضاوي، ج5 ص105.

المسببية، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي الفعل (ينزل). أي أنه سبحانه ذكر المسبب وهو الرزق وأراد سبب هذا الرزق وهو الماء النازل من السماء.

وكانت الوظيفة البلاغية واضحة في هذه العلاقة وهي تسمية الغيث بالرزق.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيها خالِدُون**﴾[1]، قال البيضاوي: "(تُحْبَرُونَ) تسرون سروراً يظهر حباره أي أثره على وجوهكم، أو تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة أو تكرمون إكراماً يبالغ فيه، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل. عروة له، وَفِيها وفي الجنة مَا تَشْتَهِي الأنفس، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ بمشاهدته"[2]، أي أضاف الله عز وجل الالتذاذ إلى الأعين وهو هو في الأصل حاسة اللسان؛ لأن المناظرة الحسنة سبب من أسباب اللذة، فرؤية المناظرة الحسنة كانت سببا في سعادة العين وارتياحها فالعين تلتذ بما هو جميل، فالعلاقة هنا ذكر المسبب الذي هو (اللذة)، عن السبب الذي هو رؤية المناظرة الحسنة.

والوظيفة البلاغية في هذه الآية الكريمة من معالم إدراك الجمال الفني في الجنة.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**وَنادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ**﴾[3]، قال البيضاوي أي: "على إقامة المسبب مقام السبب، والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أني خير منه"[4]، فقد وضع قوله (أَنَا خَيْر) موضع (تبصرون)، لأنهم إذا قالوا له: أنت خير، فهم عنده بصراء، وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب، فأطلق المسبب على السبب مجازا، فسميت هذه العلاقة المسببية، ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذه الآيات الاختصار.

---

1- سورة الزخرف الآيتان70، 71.

2- تفسير البيضاوي، ج5 ص95.

3- سورة الزخرف الآيتان51، 52.

4- تفسير البيضاوي، ج5 ص93.

**ج- العلاقة الجزئية:** وهي "إطلاق لفظ الجزء وإرادة الكل"[1]، أو هي "تسمية الشيء باسم جزئه"[2]. ويشترط في هذه العلاقة أن يكون لهذا الجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الكل كما في إطلاق لفظ العين على الجاسوس لأن المشاهدة أهم ما تميزه، ومن أمثلة هذه العلاقة قوله سبحانه وتعالى مخاطبا موسى عليه السلام: ﴿**فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ**﴾[3]، أي: "وفاء بقولنا إنّا رادّوه إليْك (كَيْ تقَرَّ عَينُها) بلقائك"[4]، والشاهد قوله: (تقر عينها)، مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن الذي يهدأ هو النفس والجسم لا العين وحدها، وبما أن العين جزء والنفس كل، فالمجاز مرسل علاقته الجزئية.

والوظيفة الجمالية البلاغية لهذه العلاقة هي الاطمئنان وعدم الخوف على الابن.

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا**﴾[5]، قال البيضاوي: "والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس"[6]، فعبر بالجزء وهي (الرقبة)، وأراد الكل، فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية. وعدّ الزمخشري هذه الآية من المجاز المشهور[7]، وتبعه الرازيفي هذا الغرض[8].

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً**﴾[9]، فالآية هنا "جامعة للصلوات الخمس"[10]، والمقصود في هذا السياق صلاة الفجر، ولكن لما كانت قراءة القرآن أهم أجزاء الصلاة جاز التعبير بالقرآن عنها على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية.

---

[1]- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج3 ص207.

[2]- أصول البيان العربي، محمد حسين الصغير، ص53.

[3]- سورة طه الآية40.

[4]- تفسير البيضاوي، ج4 ص27.

[5]- سورة النساء الآية92.

[6]- تفسير البيضاوي، ج2 ص90.

[7]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص548.

[8]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج10 ص179.

[9]- سورة الإسراء الآية78.

[10]- تفسير البيضاوي، ج3 ص264.

وأيضا قوله تعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[1]، ذكر البيضاوي في هذه الآية أن الوجه يعني العضو[2]، وقال الطبري: "إنما يعني بلى من أسلم لله بدنه، فخضع له بالطاعة جسده، وهو محسن في إسلامه له جسده، فله أجره عند ربه. فاكتفى بذكر (الوجه) من ذكر (جسده) لدلالة الكلام على المعنى الذي أريد به بذكر الوجه"[3]، وإنما ذكر الوجه، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل عليه بوجهه، فعبّر به عن إقباله عليهم وعدم الالتفات إلى غيرهم بالوجه وهو أيضا ذكر الجزء وأراد الكل. فالآية فيها مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وأمّا الوظيفة البلاغية للمجاز المرسل في هذا السياق فهي الإشعار بأن العبادة مقرونة بالإخلاص، لأنه بدون إخلاص لا تتحقق العبادة.

وبالوظيفة البلاغية ذاتها نجد البيضاوي يفسر قوله تعالى: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِينَ**﴾[4]، حيث يقول: "والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد"[5].

ولا شكّ في أنّ الوجه هو جزء من الذّات، فلا يمكن أن يستقل بعمل أو فعل دون بقية الذات.

**د- العلاقة الكلية:** وهي "ذكر الكل وإرادة الجزء"[6]، أو هي: "تسمية الشيء باسم كله"[7]، وهي عكس العلاقة السابقة. ومن الأمثلة الدالة على هذه العلاقة قوله سبحانه وتعالى واصفا حال قوم نوح عليه السلام: ﴿**وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ**﴾[8]،

---

1- سورة البقرة الآية112.

2- يراجع تفسير البيضاوي، ج1 ص100.

3- جامع البيان، الطبري، ج2 ص510.

4- سورة يوسف الآية9.

5- تفسير البيضاوي، ج3 ص156.

6- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج3 ص207.

7- أصول البيان العربي، محمد حسين الصغير، ص53.

8- سورة نوح الآية7.

والشاهد قوله: (جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ)، أي: "سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة"[1]، ولما كانت الآذان لا يمكن أن تسع الأصابع بأكملها كان من الضروري أن يوجد نوع من المجاز في الآية الكريمة، فالله سبحانه وتعالى قد عبر بالأصابع وهي الكل وأراد الأنامل وهي الجزء.

والوظيفة البلاغية واضحة في هذه العلاقة وهي المبالغة، لتصوير مدى إعراض هؤلاء عن سماع الحق وفرارهم منه.

وأيضا قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾[2]، قال البيضاوي: "لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصي الكل لأنهم أمروا بطاعة كل رسول"[3]، فأطلق الكل وهم (الرسل)، وأراد الجزء وهو (هود) عليه السلام، وعلى هذا يكون في الآية مجاز مرسل علاقته الكلية.

والوظيفة البلاغية واضحة في هذه العلاقة الكلية، وهي بيان لجرائمهم التي استحقوا بسببها العذاب الغليظ.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾[4]، أي: "خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم"[5]، والرّعب إنّما يملأ القلوب فنسب إلى الأجساد من باب إطلاق صفة الكل وإرادة الجزء.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ**﴾[6]، والشاهد قوله: (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ)، قال البيضاوي أي: "جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة"[7]، ويفهم من كلامه أنه قد لفظ الكل وأراد الجزء، أي تجريح الأصابع، وعلى هذا يكون في الآية مجاز مرسل علاقته الكلية.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج5 ص248.
[2]- سورة هود الآية59.
[3]- تفسير البيضاوي، ج3 ص139.
[4]- سورة الكهف الآية18.
[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص275.
[6]- سورة يوسف الآية31.
[7]- تفسير البيضاوي، ج3 ص161.

وبذلك يتضح أنّ العلاقة الكلية وظيفتها البلاغية هي إثراء الدرس الفني بالألفاظ والمعاني.

**هـ- علاقة اعتبار ما كان:** وهي أن يسمّى الشيء باسم ما كان عليه[1]، مع إرادة ما هو عليه في الحاضر.

ومن أبرز الأمثلة الدالة على هذه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**﴾[2]، أي: "يموت على كفره وعصيانه"[3]، فالمجاز المرسل في قوله (مجرما)، لأنّ هذا الإنسان لا يكون مجرما في الآخرة، وإنما كان كذلك في الدنيا، والعلاقة هي اعتبار ما كان، ووظيفتها البلاغية هي إشعار بالجرم وسوء العمل، والآية تومئ بوصف حال المجرم يوم القيامة، حيث تبدو عليه إثارة الذلّة والمهانة والندم.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾[4]، أي: "بمعنى (سُلالَةٍ)، لأنها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالأولى"[5]، إذ فيه توضيح للخلق الابتدائي، والذي سوّغ هذا الاستعمال وجود علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي له، وهذه العلاقة هي علاقة اعتبار ما كان. وفي استخدام المجاز المرسل وظيفة بلاغية جمالية واضحة وهي إعظام للمنة، وحث على الاتصاف بحميد الصفات، وتحمل مؤونة التكاليف.

## و- علاقة اعتبار ما يكون:

وهي أن يسمّى الشيء المستعمل باسم ما يؤول إليه في المستقبل[6]، مع إرادة ما كان عليه قبل ذلك. ومن أبرز الأمثلة التي تتضح فيها هذه العلاقة قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾[7]، وقال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: "عنباً وسماه خمراً باعتبارِ ما

[1]- يراجع معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج3 ص208، أصول البيان العربي، محمد حسين الصغير، ص54.

[2]- سورة طه الآية74.

[3]- تفسير البيضاوي، ج4 ص33.

[4]- سورة المؤمنون الآية12.

[5]- تفسير البيضاوي، ج4 ص83.

[6]- يراجع أصول البيان العربي، محمد حسين الصغير، ص55.

[7]- سورة يوسف الآية36.

يؤول إليه"[1]، لأن الخمر لا تعصر وإنما الذي يعصر العنب فيصير خمرا، وبالتالي يكون إطلاق اسم الخمر وإرادة العنب مجازا مرسلا علاقته اعتبار ما يكون، والذي سوَغ هذا الاستعمال هو وجود وظيفة بين المعنى الحقيقي والمعنى المباشر، وهذه الوظيفة هي علاقة ما سيكون عليه الشيء، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي هي قوله: (أعصر).

وعليه فالوظيفة البلاغية في الآية ترسم لنا الصورة النفسية لحال الساقي في التعبير عن تلك المعاناة.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾[2]، قال البيضاوي: "بشره بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم، فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليماً"[3]. والملاحظ أن الحلم صفة لا تتفق مع الغلام فلا يولد الغلام حليما، وإنما يكتسب هذه الصفة عندما يكبر، والذي سوَغ استعمال المعنى المجازي بدلا من المعنى الحقيقي، هو علاقة ما سيكون عليه هذا الغلام عندما يكبر في المستقبل.

وهنا تظهر الوظيفة البلاغية في هذه العلاقة وهي الإيجاز، حيث انطوت هذه البشارة الموجزة على ثلاثة أمور، وهي أن الولد ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليما.

ومثاله أيضا قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**﴾[4]، والشاهد قوله: (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)، قال البيضاوي: "يعني وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت. (عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) الذي حرمت التعرض له والتهاون به، أو لم يزل معظماً ممنعاً يهابه الجبابرة، أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا، أي: أعتق منه. ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤول إليه"[5]، ويشير البيضاوي أنّ في قوله: (عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) مجاز مرسل علاقته المستقبلية أو اعتبار ما سيكون، لأن المكان الذي أسكن فيه إبراهيم أهله لم يكن قد بني، وإنما يبنى في المستقبل.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص163.
[2]- سورة الصافات الآية101.
[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص14.
[4]- سورة ابراهيم الآية37.
[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص201.

والذي سوّغ استعمال المعنى الحقيقي وإرادة المجاز هو علاقة ما سيكون، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي قوله سبحانه: (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ).

والوظيفة البلاغية هنا في هذا المجاز المرسل هي التعظيم والتشريف.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ**﴾[1]، أي: "تنْبُتُ زيتونها ملتبسا بالدهن"[2]، والشاهد قوله: (الدهن)، هو مجاز مرسل علاقته المستقبلية أو اعتبار ما سيكون، لأن الشجرة لا تنبت دهنا وإنما تنبت زيتونا سوف يصير دهنا في المستقبل، والذي سوَغ استعمال المعنى الحقيقي وإرادة المعنى المجازي، علاقة ما سيكون، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي قوله سبحانه: (تنبت).

أمّا الوظيفة البلاغية في هذه العلاقة فهي التخصيص، حيث فضلت تلك الشجرة على سائر الأشجار، لاستقلالها بمنافع معروفة.

**ز- العلاقة الآلية:** وهي أن تكون الكلمة المستعملة آلة للمعنى المراد؛ أو هي استعمال اللفظ الدال على آلة الشيء مكان الشيء نفسه[3].

ومن أمثلة هذه العلاقة قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ**﴾[4]، الشاهد قوله: (واختلاف ألسنتكم)، قال البيضاوي: "لغاتكم بأن علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها، أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية"[5]، أي: التي لا يمكن الكلام إلا بكونها.

---

[1]- سورة المؤمنون الآية20.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص84.

[3]- يراجع من بلاغة القرآن -المعاني-البيان-البديع، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، الدار العربية للنشر والتوزيع ط1998/2م، ص212.

[4]- سورة الروم الآية22.

[5]- تفسير البيضاوي، ج4 ص204.

والملاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى ذكر اللّسان، وأراد به اللغة، وذلك لأن اللّسان هو آلة اللغة، ووسيلتها التي تعتمد عليها، وعلى هذا الأساس تكون لفظة اللّسان مجازا مرسلا علاقته هي الآلية.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾[1]، أي: "جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين، ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه"[2]، ففي قوله: (لسان)، مجاز مرسل علاقته الآلية حيث سمى الأثر الناتج (الذكر الحسن) باسم آلته (اللسان)، وهكذا يكون المعنى الوضعي للفظ المذكور آلة للمعنى المجازي وهذه العلاقة تسوغ تسمية الأثر الناتج باسم آلته، وأما الوظيفة البلاغية لهذه العلاقة الآلية هي طلب التوفيق إلى الطريق الحسن حتى يقتدي به الناس من بعده.

و كذلك قوله تعالى: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾[3]، يقول البيضاوي: "عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل"[4]، فالعين آلة الملاحظة وطريق المعرفة، يقول القاضي عبد الجبار: "المراد بذلك أن اصنع الفلك بما أعطيناك من البصيرة والمعرفة وسمى ذلك بأعيننا على جهة التوسع كما يقول القائل لغيره: افعل ذلك بمرأى مني ومسمع"[5]، وهو مجاز مرسل علاقته الآلية، حيث ذكر سبحانه (الأعين)، وأراد بها الرؤية.

أما الوظيفة البلاغية هنا في المجاز المرسل فهي المبالغة في الحفظ والرعاية والتعظيم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[6]، أي: "ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان، آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه، عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى"[7]، ففي قوله: (أيديهم)، مجاز مرسل علاقته الآلية.

---

[1]- سورة الشعراء الآية84.
[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص142.
[3]- سورة هود الآية40.
[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص134.
[5]- البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، ص154.
[6]- سورة البقرة الآية95.
[7]- تفسير البيضاوي، ج1 ص95.

**ح- العلاقة الحالية:** وهي أن يطلق "اسم الحال ويراد به المحل"[1]، أو هي تسمية الشيء باسم من يحل فيه. ومن أمثلة هذه العلاقة قوله سبحانه وتعالى: ﴿**يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "ثيابكم لمواراة عَورَتِكُم"[3]، ففي قوله سبحانه (زينتكم)، المراد اللباس، ولما كان اللباس محلا للزينة، والزينة حالة فيها، استعمل أحد المعنيين وأريد الآخر، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى المباشر قوله سبحانه (خُذُوا).

وأما الوظيفة البلاغية في هذا المجاز المرسل فهي التنبيه وأخذ الحيطة أثناء العبادة.

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[4]، أي: "إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أو ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه"[5]، فعبر بالفتنة، والفتنة لا يسقط فيها الإنسان، لأنها معنى من المعاني وإنما يحل في مكانها، فاستعمال الفتنة في مكانها مجاز مرسل أطلق فيه الحال وأريد المحل.

**ط- العلاقة المحلية:** وهي أن "يذكر المحل ويراد به الحال به"[6]؛ أي أن يذكر المكان ويكون المقصود ما كان موجودا بهذا المكان من موجودات. ومن أمثلتها الدالة عليها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**﴾[7]، وقال البيضاوي: "موضع قيام أو مكانا، أي: موضع إقامة ومنزل"[8]، فجاز ذكر المقام الذي يمثل المحل في حين أنها وصفا لحال الذين كفروا والذين آمنوا وأيهما سوف ينال الرفعة ويكون أوفر حظا.

والوظيفة البلاغية في هذه العلاقة وظيفة حجاجية؛ لأنهم مفتخرين على المؤمنين، ومحتجين على صحة ما هم عليه من الباطل.

---

[1]- من بلاغة القرآن، محمد شعبان، نعمان شعبان علوان، ص211

[2]- سورة الأعراف الآية31.

[3]- تفسير البيضاوي، ج3 ص11.

[4]- سورة التوبة الآية49.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص84.

[6]- من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، ص212.

[7]- سورة مريم الآية73.

[8]- تفسير البيضاوي، ج4 ص17.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾[1]، يقول البيضاوي: "والمعنى أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة"[2]، يفهم من كلام البيضاوي أن القرية جماد لا تسأل وإنما هي مكان لمن يسأل، وبذلك يكون المقصود بالسؤال ساكني القرية، فجاء ذكر المحل وأراد الحال، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى المباشر قوله: (واسأل). وقال ابن عاشور: "مجاز عنْ سؤال أهْلها"[3]، هو مجاز مرسل علاقته المحلية، وهكذا تتضح القيمة البلاغية للمجاز المرسل للسياق في توصيل المعنى الذي يريده.

وقد وضَح البيضاوي المجاز المرسل وعلاقته في الآية الكريمة: ﴿فَلْيَدْعُ نادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ﴾[4]، بقوله: "أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم"[5]، لأن نادي القوم في الوضع اللغوي مجتمعهم ومنتداهم الذي يجتمعون فيه، وهكذا تكون الآية الكريمة قد ذكرت المحل وأرادت من يحل فيه، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى المباشر لفظة (فليدع)، لأن الدعوة لا تكون للنادي وإنما تكون لمن يجتمع فيه. والوظيفة البلاغية في المجاز المرسل المبالغة في التعبير.

وخلاصة القول؛ لقد استعان البيضاوي بصور من صور المجاز وأقسامه، وهي المجاز المرسل والعقلي في تفسيره، لإيصال المعنى وتقريبه إلى الذهن. كما يتضح عمق الدور والوظيفة البلاغية التي يقوم بها المجاز في القرآن الكريم لإيصال المعنى المراد. وعليه فإن كل علاقات المجاز هي عامل من عوامل الإثراء والإبانة في التعبير من خلال توظيف الأشكال اللفظية في إبراز المعنى بمفهومه الواسع، الذي يفضي بإضاءات معنوية تأثيرية في نفسية السامع. كما يعدّ المجاز المرسل أسلوبا راقيا من أساليب التعبير البياني، حيث تظهر فيه مدى مهارة المتكلم في تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، وقدرته على تحرير اللفظ من مدلوله الأصلي، ومنحه قدرة على تجاوز هذا المدلول إلى مدلولات جديدة تبعث على التأمّل وتستثير الفكر، وتفتح للمعاني آفاقا عريضة ترتاح لها النفس، وهذا لما فيها من توسيع للغة وافتنان في التعبير.

---

[1]- سورة يوسف الآية82.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص173.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج13 ص38.

[4]- سورة العلق الآيتان17، 18.

[5]- تفسير البيضاوي، ج5 ص326.

# المبحث الثالث: الاستعارة

## توطئة:

الاستعارة هي من أساليب البيان تعبيرا وأدقها تأثيرا، وأحسنها تصويرا، وأجملها تأدية للمعنى، وجوهر الصورة الرائعة والعنصر الأصيل في الإعجاز، والوسيلة الأولى التي يحلق بها أولوا الذوق الرفيع إلى سموات من الإبداع ما بعدها أروع. وبالاستعارة ينقلب المعقول محسوسا، تكاد تلمسه اليد، وتبصره العين.

## -مفهوم الاستعارة:

**-لغة:** لما كان اللغويون هم المحور الأول في تبيان الجذر اللغوي لمفردة الاستعارة، فإنها عندهم مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه... واستعاره الشيء، واستعاره منه: طلب منه أن يعاره إليه[1]. ويتضح من هذا القول أن معاني الاستعارة تقوم على التداول والمناولة، والأخذ والعطاء والطلب.

**-اصطلاحا:** تنال الاستعارة اهتمام البلاغيين منذ نشأتها وحتى عصرنا الحديث، فهم يعملون على دراستها، وتعريفها، وإظهار حسنها، وبيان بلاغتها، وتوضيح الهدف منها، فهي بمنظور الرماني: "تعليق العابرة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[2]. وقال الجاحظ: "إن الاستعارة تشبيه الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[3]، وقال ابن قتيبة: "العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمّى بها سبب من الأخرى أو مجازا لها أو مشاكلا"[4].

وبيّن أبو الهلال العسكري دلالتها الاصطلاحية حيث قال: "نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذى يبرز

---

[1]- يراجع لسان العرب، ابن منظور، ص618.
[2]- النكت في إعجاز القرآن، ابن الحسن الرماني، ص85.
[3]- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1 ص153.
[4]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص102.

فيه؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة؛ ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمّن ما لا تتضمنه الحقيقة؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا"[1]. وهذا القاضي الجرجاني يعرفها قائلا: "وإنما الاستعارةُ ما اكتُفِي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكُها تقريب الشَّبَه، ومناسبةُ المستعار له للمستعار منه، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر"[2].

أمّا عبد القاهر الجرجاني فقال: "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّة وتجريه عليه. تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: "رأيت أسدا"[3]، وهذا يعني أن التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيه بالفرع له أو صورة مقتضبة من صورة.

ولخّص الخطيب القزويني الاستعارة حيث قال: "هي نقل اللفظ من معناه الذي عرف به ووضع له إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل، لوجود علاقة تشبيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ووجود قرينة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي، وتوجب المعنى المجازي، وأنها تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه مع وجود قرينة تدل على المحذوف[4]. وجوهر الاستعارة أنها تشبيه حذف أحد طرفيه ووجه تشبيهه وأداته، وهي أبلغ من التشبيه، لقوة ادعاء الاتحاد والامتزاج بين المشبه والمشبه به، حتى أنهما صارا معنى واحدا، يستعمل فيه لفظ واحد.

ومنه نستنتج أن الاستعارة تجمع بين المجاز والتشبيه وهي أبلغ من التشبيه، لأنها أكثر مبالغة في الدلالة على الصفة في التشبيه، ولأن حذف معظم أركان التشبيه من الاستعارة يجعلنا نتناسى التشبيه ويعطينا وظيفة بلاغية جديدة تعتمد على الإيهام والتأثير في النفس لا نجد لها مثيلا في التشبيه المستوفي الأركان.

---

[1]- الصناعتين، أبو الهلال العسكري، ص274.

[2]- الوساطة بين المتنبي وخصومه، الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار القلم بيروت، ص41.

[3]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص67.

[4]- يراجع تلخيص المفتاح، القزويني، ص151.

ووظيفة الاستعارة أن تعطي المتكلم إمكانية التعبير الذي يعجز عنه بالألفاظ المحددة، ونسلمه إلى عالم من الخيال يتناسب مع حدة شعوره، وشدة انفعاله، وليس وظيفة الاستعارة مجرد حلية تزين الكلام أو تنمق الأسلوب، بل الخطر أن تقتصر وظيفتها على هذا الهدف المتواضع الذي قد يفسد المعنى أو يضعفه.

وتعدّ الاستعارة من أكثر الاستعمالات اللغة فاعلية، فهي تدخل في جانب التصوير والتأثير، وفي تطوير اللغة وبث الحياة فيها، فهي تتصدر بشكل كبير بنية الكلام الإنساني[1]، إذ تعد عاملا رئيسيا في الحفز والحث وأداة للتعبير، ومصدرا لترادف تعدد المعنى، ومتنفسا للعواطف والمشاعر الانفعالية.

## -أركان الاستعارة:

إنّ الاستعارة تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، فلابد إذا من مشبه، ومشبه به، وهكذا يصبح أركانها كما يأتي[2]:

- المستعار له (المشبه).
- المستعار منه (المشبه به).
- المستعار، وهو اللفظ المستعار أي: المنقول من معناه اللغوي إلى المعنى المجازي.

أما الأول والثاني فهما طرفا الاستعارة، ولابد أن يحذف أحدهما إلى جانب وجه الشبه حتى تصبح استعارة، ولما كانت الاستعارة تشبيها حذفت أداته، كان التأكيد للتشبيه الاستعاري ناجما عن كون التشبيه في هذا الجزء من الاستعارة هو الصورة التي يتخذها الشكل[3]. وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني هذه الظاهرة إدراك الخبير المتخصص، فقسم أركان الاستعارة إلى أصول[4]:

- **الأصل الأول**: أن يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهدة والمدركة بالحواس على الجملة للمعاني المعقولة.

---

[1]- يراجع الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع عمان1997م، ص11.

[2]- محاضرات في البيان، فريد محمد النكلاوي، ص108.

[3]- يراجع علوم البلاغة -البديع، البيان، المعاني، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، ص208، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص225.

[4]- يراجع أسرار البلاغة، الجرجاني، ص61.

– **الأصل الثاني**: أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسة لمثلها، إلا أن الشبه مع ذلك عقلي.
– **الأصل الثالث**: أن يؤخذ الشبه من المعقول إلى المعقول.
وبهذا يتضح أن التشبيه يكون في المعاني، أما الاستعارة فتكون في الألفاظ.

## –أنواع الاستعارة ووظائفها في تفسير البيضاوي:

ومن محاسن الاستعارة ووظائفها البلاغية أن فيها إبانة عن المعنى، وتأكيد له، ومبالغة فيه. وفيها إيجاز في التعبير وإبراز للمعنى في حلة جميلة، وفيها خيال وتصوير جميل، فإنك ترى فيها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والمعاني الخفية بادية جليلة، وترى المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها جسمت حتى رأتها العيون، والأوصاف الجسمانية عادت روحانية لا تدرك إلا بالأفكار والظنون، وهذا ابتكار يحدث في نفوس السامعين أجمل الأثر[1]، ويقول فضل عباس في وظيفة الاستعارة وقيمتها البلاغية: "ولا نعد الحقيقة إذ قلنا أن الاستعارة هي من أدق أساليب البيان تعبيرا، وأرقها تأثيرا، وأجملها تصويرا، وأكملها تأدية للمعنى، ولا غرو فهي منبثقة عن التشبيه... وهل هي في الأصل إلا تشبيه ولكنّه تشبيه مضمر في النفس... فالاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، فبيئة الاستعارة الأولى التي ولدت فيها ومقوماتها الأساسية هي النفس"[2].

ومن هنا نستنتج أنّ الاستعارة تفوق التشبيه في وظيفتها البلاغية، فإن حذف أركان التشبيه كلها وبقي المشبه فقط، أو المشبه به فحسب؛ يقوّي ذلك اتحاد الطرفين ويمزج أحدهما في الآخر كأنهما شيء واحد، بل هما شيء في الظاهر، فضلا عن الإيجاز المشتمل في الحذف[3]، وهي تعدّ ضربا من ضروب المجاز، بحيث تقوم على طرق التعبير غير المباشر؛ القائم على التخييل، وهي نوع من أنواع الادعاء، وتقوم على المشابهة.

---

[1]– يراجع أسرار البلاغة، الجرجاني، ص42، 43، علم البيان، عبد الفتاح لاشين، ص36.
[2]– البلاغة فنونها وأفنانها، حسن عباس، ص157.
[3]– يراجع القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص195.

وكانت للبيضاوي جهود واضحة في إبراز الاستعارة بصورة بيانية مؤثرة في النفوس، علما بأنه كان كثيرا ما يقول أن في الآية استعارة دون تحديد نوعها، وأحيانا يذكرها ويشير إلى أن فيها تمثيلا، دون التوسع في الشرح، أو ذكر وظائفها البلاغية، بل يفهم المغزى من سياق كلامه، ومن أهم هذه الأنواع والوظائف التي تناولها البيضاوي نذكر الآتي:

**أولا: الاستعارة التصريحية:**

وهي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[1]، أو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به[2]، أي: ما حذف فيها المشبه (المستعار له)، وصرح بالمشبه به (المستعار منه).

ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذا النوع ما يلي:

**1- التوبيخ والتقريع:**

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[3]، والشاهد قوله: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى)، وقوله: (ومَكْرَ اللَّهِ)، وقال البيضاوي: "استعارة لاستدراج العبد وأخذه مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ"[4]. ونلاحظ هنا أن البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري مع تغيير بعض الألفاظ[5]، وهنا نجد أنّه قد صرح بلفظ المشبه به (مكر الله)، والمستعار المحذوف وهو الاحتيال والخديعة، وعلى هذا فهي استعارة تصريحية.

والوظيفة البلاغية هنا في هذه الآية الكريمة، زيادة التوبيخ والتقريع.

**2- التحقير:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾[6]، ويقول البيضاوي: "والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على

---

[1]- علم البيان، عبد الفتاح لاشين، ص163.

[2]- يراجع مفتاح العلوم، السكاكي، ص158.

[3]- سورة الأعراف الآية99.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص25.

[5]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص134.

[6]- سورة هود الآية106.

قلبه وانحصر فيه روحه، أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير"[1]. فقد شبه الصراخ أهل النار بأصوات الحمير، فصرح بذكر المشبه به، وحذف المشبه على سبيل الاستعارة.

وهذا الذي ذكره صاحب روح البيان حيث قال: "إخراج النّفس بقوة وشدة والشهيق رده واستعمالهما في أوّل ما ينهق الحمار وآخر ما يفرغ من نهيقه وفيه استعارة تصريحية فان المراد تشبيه صراخهم بأصوات الحمير فكما أنّ الحمير لها أصوات منكرة كذلك لهم أصوات منكرة في جهنم"[2].

وبهذا يتضح أن هذه الاستعارة التصريحية تحمل في طياتها بلاغة وظيفية تستقر في النفس المؤنسة.

**3- البيان:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، يقول البيضاوي: "وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس، ثم رشحه بانهياره به في النار"[4]، وقد أومأ إلى هذا الزمخشري في الكشاف، إذ قال: "وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شَفا جُرُفٍ هارٍ في قلة الثبات والاستمساك، وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى، لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى. فإن قلت: فما معنى قوله (فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ)؟ قلت: لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنم، على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم"[5].

وهذا ما ذكره الطاهر بن عاشور في تفسيره، إذ قال: "وذلك بأن شبّه المقصد الفاسد بالبناء بجرف منهار في عدم ثبات ما يقام عليه من الأساس بله البناء على طريقة الاستعارة

---

1- تفسير البيضاوي، ج3 ص149.

2- روح البيان، إسماعيل حقي، ج4 ص188.

3- سورة التوبة الآية109.

4- تفسير البيضاوي، ج3 ص98.

5- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص311.

التّصريحيّة"[1]. ومن هنا نجده قد صرح بلفظ المشبه به (شفا جرف هار) للمستعار (النفاق والباطل الذي لا يمتلك الثبات).

وقد جعل صاحب البيان في مقاصد القرآن أن في الآية استعارة مكنية، على خلاف ما ذهب إليه البيضاوي، فقال: "والمعنى أن من أسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير ممن أسس دينه على ضد ذلك وهو الباطل والنفاق، قيل أنه استعارة مكنية شبهت التقوى والرضوان بما يعتمد عليه البناء تشبيهاً مضمراً في النفس"[2]، ولكن ما ذهب إليه البيضاوي في الآية أولى، لأنه صرح بلفظ المشبه به (شفا جرف هار) للمستعار وهو النفاق، وعلى هذا فهو استعارة تصريحية.

والغرض من وظيفتها البلاغية زيادة بيان أحقية المسجد المؤسس على التقوى بالصلاة فيه

**4- التنويه:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[3]، أي: "بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب، وهو صلة لِتُخْرِجَ أو حال من فاعله أو مفعوله"[4]، وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري من قبل[5]، وقال الشوكاني: "لتخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والضّلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية جعل الكفر بمنزلة الظّلمات، والإيمان بمنزلة النور على طريق الاستعارة"[6].

وقال الطاهر بن عاشور: "والظّلمات والنّور استعارة للكفر والإيمان، لأنّ الكفر يجعل صاحبه في حيرة فهو كالظّلمة في ذلك، والإيمان يرشد إلى الحقّ فهو كالنّور في إيضاح السّبيل"[7].

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11 ص33.

[2]- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو محمد صديق خان، تحقيق عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر صَيدَا بَيروت(1412هـ-1992م)، ج5 ص400.

[3]- سورة إبراهيم الآية1.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص193.

[5]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص537.

[6]- فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص111.

[7]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج13 ص179.

ومنه نستنتج أنّ في هذه الآية الكريمة استعارتان تصريحيتان (الظلمات والنور). ففي الأولى شبهت (الضلالات) بـ(الظلمات) بجامع عدم الاهتداء في كل، وبعد التّناسي والادعاء، استعير لفظ المشبه به (الظلمات) للمشبه (الضلالات)، على سبيل الاستعارة التصريحية، ومبعث كونها تصريحية أن لفظ المشبه به (الظلمات) هو المستعار ههنا للمشبه المحذوف.

وفي الثانية شبهت (الهداية) بـ(النور) بجامع الاهتداء في كل، وبعد التّناسي والادعاء استعير لفظ المشبه به (النور) للمشبه (الهداية)، على سبيل الاستعارة التصريحية، وهي تصريحية للتصريح فيها بلفظ المشبه به، المستعار للمشبه المحذوف، والقرينة في كل من الاستعارتين قوله (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ)، فالقرآن قد نزل لإخراج الناس من الضلال إلى الهدى، ولم ينزل لإخراجهما من ليل حقيقي إلى نهار حقيقي[1].

ومن هنا نلاحظ أنّ الاستعارة أبلغ من الحقيقة، لإخراج المعقول إلى المحسوس بالإبصار.

ومن أبرز الوظائف البلاغية التي أدتها الاستعارة في هذه الآية الكريمة، أنه تنويه بشأن القرآن الكريم، وبيان الغرض السامي الذي أنزله الله من أجله.

## 5- التكوين:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا**﴾[2]، قال البيضاوي أي: "أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على الحدوث والتكون من الأرض، وأصله (أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ إنباتاً) فنبتم نباتاً، فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الآية من قبيل الاستعارة التصريحية، وتبعه في هذا القول الشوكاني[4]، والمعنى إنباتا عجيبا، وأنشأكم منها إنشاء غريبا بواسطة إنشاء أبيكم آدم منها، أو أنشأ الكل منها من حيث إنّه خلقهم من النطف المتولدة عن النبات المتولد من الأرض، استعير الإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض؛ لأنهم إذا كانوا نباتًا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات[5]. فقد شبه خلق الإنسان

---

[1]- يراجع علم البيان في الدراسات البلاغية، علي البدري، مكتبة النهضة المصرية1984م، ص185.

[2]- سورة نوح الآية17.

[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص249.

[4]- فتح القدير، الشوكاني، ج5 ص557.

[5]- يراجع تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري، ج30 ص257.

بالنبات، وفي كل منهما الحدوث والتكوين، فهي على سبيل الاستعارة التصريحية، وكانت هذه الاستعارة ذات فائدة وظيفية بلاغية، لأنها دلت على الحدوث.

وعليه نستطيع القول أنّ الوظيفة البلاغية في الاستعارة التصريحية يكاد البلاغيون يجمعون على أنّها أقل بلاغة من الاستعارة المكنية، ولعلّ سبب ذلك وضوح المشابهة فيها، ممّا يولد نقله معلومة بين الحدود لا تحتاج إلى تأويل أو عناء[1]، لتأسّها على نقل شيء يمكن أن ينصّ عليه على سبيل المبالغة.

## ثانيا: الاستعارة المكنية:

وتسمى أيضا: الاستعارة بالكناية، لأنّها ترتبط بالدال الكنائي البعيد عن التصريح[2]، وهي "التي اختفى لفظ المشبه به، واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه"[3]، وعرّفها الزمخشري بقوله: "أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه. ونحوه قولك: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس"[4].

ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذا النوع مايلي:

### 1- الثبوت:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "واستعماله في إبطال العهد من حيث إن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر، فإن أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحاً للمجاز، وإن ذكر مع العهد كان رمزاً إلى ما هو من روادفه وهو أن العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين"[6]، وبيّن صاحب الكشاف معنى الآية بقوله: "فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟، قلت: من حيث تسميتهم العهد

---

1- يراجع البنى الأسلوبية في النص الشعري، راشد بن حمد الحسيني، ص315، 316.

2- يراجع مفتاح العلوم، السكاكي، ص487.

3- معجم المصطلحات، أحمد مطلوب، ج1 ص145.

4- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص119.

5- سورة البقرة الآية27.

6- تفسير البيضاوي، ج1 ص64.

بالحبل على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين"[1]، وتبعهما الشوكاني بنفس المعنى في تفسير هذه الآية الكريمة[2]، بأن فيها استعارة والغرض منها الثبوت.

ويشير الطاهر بن عاشور إلى القيمة البلاغية في هذه الآية بقوله: "وفي النّقض رمز إلى استعارة مكنيّة لأنّ النّقض من روادف الحبل فاجتمع هنا استعارتان مكنيّة وتصريحيّة وهذه الأخيرة تمثيليّة وقد تقرّر في علم البيان أنّ ما يرمز به للمشبّه به المطروح في المكنيّة قد يكون مستعملا في معنى حقيقيّ على طريقة التّخييل وذلك حيث لا يكون للمشبّه المذكور في صورة المكنيّة رديف يمكن تشبيهه برديف المشبّه به المطروح"[3]. والملاحظ أن هناك توافق ما بين البيضاوي والطاهر بن عاشور في توضيح الاستعارة، إلا أنّ الطاهر بن عاشور بين نوعها وقيمتها البلاغية.

## 2- التأكيد:

ومنه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]، أي: "قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح"[5]، ونفس الكلام أشار إليه الزمخشري من قبل[6]، إذ بيّن أنها استعارة، والفائدة من هذه الاستعارة في الآية الكريمة هي التأكيد.

وجعلها الطاهر بن عاشور استعارة مكنية على سبيل التّمثيل، لتفريق تشبيه أجزاء الهيئة المشبّهة بأجزاء الهيئة المشبّه بها، فزواجر القرآن ومواعظه يشبّه بنصح الطّبيب على وجه المكنيّة، وإبطاله العقائد الضّالّة يشبّه بنعت الدّواء للشّفاء من المضارّ على وجه التّصريحيّة[7]، معنى هذا أنّ

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص110.

[2]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص66.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص368.

[4]- سورة يونس الآية57.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص116.

[6]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص353.

[7]- يراجع التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11 ص202.

الاستعارة المكنيّة عكس الاستعارة التصريحيّة، فالاستعارة المكنية ما ذكر فيها المشبه وحذف منها المشبه به.

يفهم من كلام المفسرين أن في الآية استعارة تصريحية، بيد أن الطاهر بن عاشور قد أشار إلى في الآية استعارة مكنية. ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذه الاستعارة التأكيد.

**3- التسلية:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "(إِلَّا خَبالًا)، أي: فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لأن الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء، ولأجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعاً وليس كذلك لأنه لا يكون مفرغا"[2]، والملاحظ أن البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري[3]. أما الألوسي فقال: "الإيضاع سير الإبل يقال: أوضعت الناقة تضع إذا أسرعت وأوضعتها أنا إذا حملتها على الاسراع، والخلال جمع خلل وهو الفرجة استعمل ظرفا بمعنى بين ومفعول الإيضاع مقدر أي النمائم بقرينة السياق، وفي الكلام استعارة مكنية حيث شبهت النمائم بالركائب في جريانها وانتقالها وأثبت لها الإيضاع على سبيل التخييل، والمعنى ولسَعوا بينكم بالنميمة وإفساد ذات البين"[4].

ووجه آخر ذكره العلامة طيبي حيث قال: "فيه استعارة تبعية حيث شبه سرعة افسادهم ذات البين بالنمائم بسرعة سير الراكب ثم استعير لها الإيضاع وهو للإبل والأصل ولأوضعوا ركائب نمائمهم خلالكم ثم حذف النمائم وأقيم المضاف إليه مقامه فقيل لأوضعوا ركائبهم ثم حذفت الركائب"[5]، والمراد بالاستعارة التبعيّة هي تلك التي تكون في الأفعال أو المشتقات، ومن

---

[1]- سورة التوبة الآية47.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص83.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص275.

[4]- روح المعاني، الألوسي، ج5 ص302.

[5]- يراجع المصدر نفسه، ج5 ص303.

أمثلتها قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾[1]، فقوله تعالى: (طَغَى)، استعارة تبعيّة، لأنّه غير مستعمل في معناه الحقيقي، إذ المراد بالطغيان في اللغة مجاوزة الحدّ والإسراف في الظلم والفساد، لكن معنى (طغى) هنا ارتفاع الماء وزيّادته، ففي اللفظ استعارة، وهي استعارة (تبعيّة)، لأن اللفظ (طغى) على وزن (فَعَلَ) من الأفعال.

والملاحظ في هذه الآية الكريمة، ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي توصلنا إليه أن في الآية استعارة مكنية. ومما يعزز وظيفتها البلاغية في هذه الآية الكريمة، أنها تسلية لرسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم وللمؤمنين عن تخلّف المنافقين.

## 4- الإظهار:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾[2]، أي: "إلى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر، استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لأنه يجنحهما عند الطيران"[3]، وقال الزمخشري: "كجناحى العسكر لمجنبتيه، وجناحا الإنسان: جنباه، والأصل المستعار منه جناحا الطائر. سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران"[4].

نستنتج من الأقوال السابقة أن في هذه الآية استعارة مكنية، لأنه ورد فيها المستعار له دون التصريح بلفظ المستعار منه الذي يطوى ويرمز إليه بلازم من لوازمه، وإنّ إثبات لازم المستعار منه للمستعار يسمى الاستعارة التخييلية التي هي قرينة الاستعارة المكنية[5]. والوظيفة البلاغية هنا، إدخال الطمأنينة على قلب موسى عليه السلام، وإزالة الخوف عنه.

1 - سورة الحاقة الآية11.

2- سورة طه الآية22.

3- تفسير البيضاوي، ج4 ص26.

4- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص59.

5- يراجع علم البيان، عبد الفتاح بسيوني ، ص153.

## ثالثا: الاستعارة الترشيحية:

وهي عند البلاغيين التي قرنت بما يلائم المستعار[1]، وسمية استعارة مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم[2]، لأنها مبنية على تناسي المستعار له، حتى كأن الموجود هو الأمر نفسه، المستعار منه.

ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذا النوع ما يلي:

### 1- المبالغة:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[3]، قال البيضاوي أي: "اختاروها عليه واستبدلوها به، وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان، فإن كان أحد العوضين ناضاً تعين من حيث إنه لا يطلب لعينه أن يكون ثمناً وبذله اشتراء، وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشترٍ وآخذه بائع، ولذلك عدت الكلمتان من الأضداد، ثم استعير للإعراض عما في يده محصلاً به غيره، سواء كان من المعاني أو الأعيان"[4]. وتساءل الزمخشري في تفسيره لهذه الآية فقال: "أنّ شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة؟ كأن ثمّ مبايعة على الحقيقة. قلت: هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا، وهو المجاز المرشح"[5].

واستشهد أبو السعود في الآية فقال: "وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخَسار وعمومِه المستتبع لسرايته إلى ما يُلابِسُهم وإيرادُهما إثْرَ الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيحٌ للاستعارة وتصويرٌ لما فاتهم من فوائدِ الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشا عنه كلُّ أحد للإشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك أن التجارة في نفسها استعارةٌ

---

[1]- يراجع معجم مصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج1 ص153.
[2]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص434.
[3]- سورة البقرة الآية16.
[4]- تفسير البيضاوي، ج1 ص48.
[5]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص70.

لانهماكهم فيما هم عليه من إيثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعةً لهم راسخة إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقياً على الحقيقة تابعاً للاستعارة لا يقصد به إلا تقويتُها"[1].

ويظهر أنّ هناك توافق بين المفسرين والبيضاوي في نوع هذه الاستعارة، حيث استعير (الاشتراء) بـ(الاختيار) ثم استعير (اشتروا) لـ(اختاروا)، ثم فرّع على هذه الاستعارة شيء يلائم المستعار منه، ويعزّز حقيقته وهو الربح والتجارة.

ومن هنا نلاحظ أن المجاز المرشح عندهم يعني أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى بأشكال، وعليه يتضح مدى التقارب بين تعريف المفسرين وتعريف البلاغيين، وهو ملائمة المستعار منه لما يوافقه ويوليه من الكلمات.

ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذه الاستعارة أيضا هو إبراز المعنى وتقويته وإيضاحه، مما يزيده بهاء وجمالا.

## 2- الإيضاح:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[2]، قال البيضاوي أي: "استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة من الردي، كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردي والوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحاً للمجاز"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية استعارة ترشيحية، حيث شبه القرآن أو الدين بالحبل بجامع النجاة من الردى، والوصول إلى المطلوب.

واستعير لفظ المشبه به للمشبه، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي هي إضافة الحبل إلى الله تعالى. ومما نلحظه هنا أن البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري[4]. وقوله:

---

[1]- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، ج1 ص49.

[2]- سورة آل عمران الآية103.

[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص31.

[4]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص423.

(وَاعْتَصِمُوا) من قبيل ترشيح الصورة بالاعتصام، لأن الاعتصام، من المعاني المرتبطة بالحبل، والمعنى الذهني هنا ترسمه الصورة بالأيدي المتمسكة بعهد الله ودينه ومنهجه، والقلوب المتآلفة المتوحّدة على منهجه بعد أن كانت أشتاتا وفرقا، وذكر القلوب هنا له دلالته، وذلك للإيحاء بالروابط الروحية التي هي أساس الروابط الاجتماعية، ثم ترسم الصورة حالهم قبل الإيمان حين كانوا عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأنقذهم الله من السقوط فيها. حين هداهم إلى التمسك بحبل الله الممتد، فتمت لهم النجاة من السقوط المرتقب في النار[1].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية الكريمة، وعلى ما أشار إليه البيضاوي خاصة، فإنّ في الآية استعارة ترشيحية، والغرض منها الإيضاح وتقوية المعنى.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2]، يقول البيضاوي: "(تَطْهِيراً) استعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها"[3]، وأشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولى الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به"[4]، وتبعه في هذا الغرض كلا من الشوكاني، والطاهر بن عاشور[5].

ويفهم من كلام المفسرين أنّ في الآية الكريمة استعارة ترشيحية، حيث جُعل التطهير لمزيد التنفير عن المعاصي. والوظيفة البلاغية في هذه الاستعارة، إيضاح وتقوية بما يلائم اللفظ المستعار لتكميل الصورة البلاغية في الأذهان.

### 3- المبالغة:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[6]، وقال البيضاوي في تفسيره: "ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات ومبالغة في إقناطه

---

[1]- يراجع وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، دار النشر حلب ط1/(1424هـ-2001م)، ص105.

[2]- سورة الأحزاب الآية33.

[3]- تفسير البيضاوي، ج4 ص231.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص537.

[5]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص317، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج4 ص324.

[6]- سورة فاطر الآية22.

عنهم"[1]، فقد وضّح البيضاوي ما يناسب المستعار منه (المشبه به) من خلال السياق، ونفس الكلام نقله أبو السعود، وتبعه القاسمي[2]، وقال الطاهر بن عاشور: "إشارة إلى الّذين لم يشأ اللّه أن يسمعهم إنذارك، واستعير من في القبور للّذين لم تنفع فيهم النّذر، وعبّر عن الأموات بمن في القبور"[3]، لأنّ من في القبور أعرق في الابتعاد عن بلوغ الأصوات.

ومن خلال ما سبق يتضح من أقوال المفسرين، أن في الآية استعارة ترشيحية.

ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذه الاستعارة:

- المبالغة في إفادة المعنى.
- التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم مما أصابه من هؤلاء الجاحدين.

ويمكننا القول أن الاستعارة المرشحة أبلغ الجميع لما فيها من قوة الاتحاد بين المشبه والمشبه به، وبما فيها من مبالغة وتناسي للتشبيه.

## رابعا: الاستعارة المجردة:

وهي "التي اقترنت بما يلائم المستعار له دون المستعار منه"[4]، أي: التي اشتملت على بعض الخصائص أو الصفات التي تناسب (المشبه)، أو هي التي يذكر معها ما يلائم المشبه (المستعار له)[5]. وقد سميت بالاستعارة المجردة لتجريدها عن بعض المبالغة، إذ يبعد المستعار له بالمبالغة عن المستعار منه، فيبعد دعوى الاتحاد الذي هو مبنى الاستعارة[6].

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج4 ص257.

[2]- يراجع إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، ج8 ص10، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج8 ص165.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج22 ص295.

[4]- علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، ص208.

[5]- من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، ص223.

[6]- يراجع الطراز، العلوي، ج1 ص169، 170.

ومن أبرز الوظائف البلاغية لهذا النوع، ما يلي:

**التهديد والوعيد:**

ومن أمثلته قوله تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾**[1]، قال البيضاوي: "استعار الذوق لإدراك أثر الضرر، واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف، وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له"[2]، يفهم من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة استعارة، والفائدة منها التحذير والتهديد.

وتساءل الزمخشري في هذه الآية إذ قال: "فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان، فما وجه صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسّ الناس منها"[3].

أمّا القاسمي فقد وضح نوعها إذ قال: "شبه أثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم، باللباس الغاشي للابس. فاستعير له اسمه، وأوقع عليه الإذاقة المستعارة، لمطلق الإيصال، المنبئة عن شدة الإصابة، بما فيها من اجتماع إدراكي اللامسة والذائقة، على نهج التجريد"[4]، وهذا ما أشار إليه الطاهر بن عاشور بقوله: "والإذاقة: حقيقتها إحساس اللّسان بأحوال الطّعوم. وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسا مكينا كتمكّن ذوق الطّعام من فم ذائقه لا يجد له مدفعا"[5].

وبيّن العلوي في هذه الآية بأنّها ما اشتملت عليه من المجازات البليغة والاستعارات الرشيقة، فقد تضمنت استعارات أربعا، الأولى منها القرية للأهل، والثانية استعارة الذوق في اللباس، والثالثة استعارة اللباس في الجوع، والرابعة استعارة اللباس في الخوف، فهذه الاستعارات كلها متلائمة، وفيها من التناسب ما لا خفاء به، فلما ذكر الأمن، والرغد من الرزق أردفه بما

---

[1]- سورة النحل الآية112.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص242.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص638.

[4]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج6 ص415.

[5]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج14 ص306.

يلائمه من الجوع، والخوف، والإذاقة، لما في ذلك من البلاغة، وهذا النوع يسمى الاستعارة المرشحة، وهو أن يأتي بالاستعارة عقيب الاستعارة لها بالأولى علاقة ومناسبة[1].

وبهذا يتضح أن كلام البيضاوي ومن تبعه من المفسرين؛ أنهم قاموا بتخريج الاستعارة على نهج التجريد، لأن الذوق أبلغ في الإحساس وأشد في الإيلام. والسر البلاغي الكامن وراء مجيء الآية على التجريد هو أن المقام اقتضى التعبير عن أمرين وهما: شدة الإصابة، والإحاطة والشمول، وذلك لتحقيق الأثر النفسي المطلوب من التخويف والتحذير.

**خامسا: الاستعارة التمثيلية:**

هي "اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"[2]، وهي استخراج الصورة من التركيب كله، أي: "أن الاستعارة لا تجري في لفظ مفرد من ألفاظ العبارة وإنما أجرية في التركيب كله"[3]، وقد سماها القزويني المجاز المركب بقوله: "وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور أخرى"[4]، والمعنى أنها: تقوم على نقل تركيب كامل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، والعلاقة في هذا المجاز المركب هي علاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

ومن أمثلتها هذا النوع وأغراضه في تفسير البيضاوي الآتي:

**1- المبالغة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[5]، وقال

---

[1]- يراجع الطراز، العلوي، ج1 ص111.

[2]- علم البيان، عبد الفتاح لاشين، ص186.

[3]- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج1 ص157.

[4]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص304.

[5]- سورة التوبة الآية111.

البيضاوي: "تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله"[1]، ونلاحظ هنا أن البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري، إلا أن الزمخشري وضّح وبين المراد من هذه الآية فقال: "مثّل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشروى"[2].

وقد جعل أبو السعود العمادي في الآية استعارة تبعية، على خلاف ما ذهب إليه البيضاوي والزمخشري، ووافقه القاسمي، حيث قال: "وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة، بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية"[3]، وذكر هذا الوجه العلامة ابن عاشور بقوله: "والاشْتراء: مسْتعار للْوعْد بالْجزاء عن الْجهاد، كما دلّ عليْه قوْله: وعدا عليه حقّا بمشابهة الْوعْد الاشتراء في أنّه إعطاء شيء مقابل بذل من الْجانب الْآخر"[4].

وبهذا نستنتج من أقوال المفسرين بأنهم جعلوا في الآية استعارة تمثيلية، رغم أنه هناك من سماها استعارة تبعية، إلا أن البيضاوي جعل الشراء استعارة تمثيلية، ولأن التمثيل أعمّ من الاستعارة التبعية.

وقد تكون الوظيفة البلاغية من التصوير باستعمال الاستعارة التمثيلية هي المبالغة في الإنجاز، والتقرير لكونه حقاً.

قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "وإنما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمى، والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي إلى زهوق الروح تصويرا لإبطاله به ومبالغة فيه"[6]، ويستشف من كلام البيضاوي أن في الآية الكريمة استعارة تمثيلية، الفائدة منها تقوية المعنى، وقد أشار إلى هذا الغرض كل من الزمخشري، والرازي[7]، وذكرا نفس المعاني في تفسيريهما.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص99.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص313.

[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج5 ص509، يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج4 ص105.

[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج11 ص37.

[5]- سورة الأنبياء الآية18.

[6]- تفسير البيضاوي، ج4 ص48.

[7]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص107، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج22 ص125.

وقد وضّح صاحب السراج المنير المعنى بقوله: "واستعار لدحض الباطل بالحق القذف والدمغ تصويراً لإبطاله به، وإهداره ومحقه، فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة، ووجه استعارة القذف والدمغ لما ذكر أن أصل استعمالهما في الأجسام، ثم استعير القذف لدحض الباطل بالحق والدمغ لإذهاب الباطل، فالمستعار منه حسيّ، والمستعار له عقليّ"[1]، وهذا ما ذهب إليه كل من أبي السعود العمادي، وصاحب تفسير روح البيان، والقاسمي[2]، وهذا الذي أشار إليه أيضا الطاهر بن عاشور، إذ جعل في الآية استعارتين، حيث قال: "واستعير هنا لإيراد ما يزيل ويبطل الشيء... وهنا ترشيح لاستعارة القذف لإيراد ما يبطل، وهو استعارة أيضا حيث استعير الدّمغ لمحق الباطل وإزالته كما يزيل القذف الجسم المقذوف، فالاستعارتان من استعارة المحسوسين"[3]، أي في الآية استعارة تمثيليّة وترشيحيّة.

وبذلك نستطيع القول أن في الآية استعارة تمثيلية، حيث شبه الحق بشيء صلب جامد، والباطل بشيء رخو، واستعير لفظ القذف كغلبة الحق على الباطل بطريقة الاستعارة التمثيلية.

ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذه الاستعارة التي أدتها في هذه الآية، تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والرد على المنكرين، مع إرادة تصوير قوة الحق الدامغة مقابل إبطال الباطل ومحقه.

كما أنّ الحق هنا يعرض في صورة مادية مجسّمة، يقذف به فوق الباطل، فيعلوه فيزيله، وبالمقابل فإن الباطل قد جسّم في صورة مادية محسوسة ولكنها صورة هشة هزيلة ضعيفة. سرعان ما تتهاوى أمام ضربات الحق في لحظة المواجهة[4].

ومن خلال ما سبق يمكن أن تخرج بعض الصور الاستعارية عند المفسرين إلى الاستعارة التمثيلية دون أن يصطلحوا عليها. والغرض من وظيفتها البلاغية تصوير المعنى وتشكيله، والمبالغة في أدائه، وبحسب المراد من النص القرآني المعجز في بيانه.

---

[1]- السراج المنير، شمس الدين الشربيني، ج2 ص499.

[2]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص31، روح البيان، البروسوي، ج7 ص498، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج7 ص181.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج17 ص34.

[4]- يراجع وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، عبد السلام أحمد الراغب، ص69.

وخلاصة القول أن الاستعارات القرآنية لدى الإمام البيضاوي، تختلف اختلافا بيِّنا عن الاستعارات الموجودة عند البلغاء، فهي أكثر بلاغة ووظيفة، وأشد جمالا ووقعا في النفوس، وتحمل النص إلى ما لا يبدو من ظاهر اللفظ، وإنما تؤلف بين هذا وهذا في عملية إبداع جديدة تضفي على اللفظ إطار المرونة والنقل والتوسع، وتضيف إلى المعنى مميزات خاصة، نتيجة لهذا النقل الذي قد دلّ على معنى آخر، لا يتأتى من اللفظ خلال واقعه اللغوي[1]، والسر في ذلك يرجع إلى ما تمتاز به من وظائف بلاغية تكمن في:

- الإيضاح والإيجاز.
- الانتقاء الألفاظ وحسن التركيب.
- مراعاة حسن البنية التي بنيت عليها الاستعارة مع حسن التصوير وروعة التشخيص، وهي من الأدوات اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهداف تواصلية مقامية بغرض التأثير في المتلقي.
- تأليف الكلام ونظمه، فبواسطتها يلجأ البليغ إلى اختيار الكلمات المناسبة للمعنى، وذلك باستعارة الكلمة المناسبة للمقام، ثم يضعها في سياقها الذي يحقق للمعنى الدقة والوضوح، وللتعبير البراعة والجمال.

ولهذا استعان بها البيضاوي وجعلها أداة رئيسية في تفسيره، والتي شكّلت ظاهرة متميّزة أكسبت النص القرآني جمالية في الأسلوب، وطرافة في التصوير، وقدرة في تجسيد المعاني الذهنية.

---

[1]- يراجع أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، ص135.

# المبحث الرابع: الكناية

## توطئة:

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وأداة من أدوات علم البيان، ووجه من وجوه التغير عن المعنى الخفي والمستور في اللغة العربية وفي سائر اللغات، ولا تختلف الكناية عن غيرها من الأدوات المتقدمة؛ إذ لابد من أن ترتبط بجذر لغوي استمدت منه ووظيفتها البلاغية ودلالتها الاصطلاحية، وقد استطاع البلاغيين تجسيدها عبر مراحل متفاوتة إلى أن وصل إلى أتم نضجه وصار كمصطلح محدد الوظائف البلاغية والدلالية، ولنوضح ذلك لابد أن ننطلق من المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

### -ماهية الكناية:

**-لغة:** قال ابن فارس: "أن يكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ أو إكراما للمذكور وذلك كقوله جلّ ثناؤه: ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا**﴾[1]، قالوا: إن الجلود في هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان"[2]، وجاء في اللسان: "أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه، وقد تكنى أي تستر، من كنى عنه إذا ورى، أو من الكنية"[3]، وقال الزمخشري: "كنى عن الشيء كناية وكنى ولده وكنّاه بكنية حسنة، وفلان حسن العبارة لكنى الرؤيا وهي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا يكنى بها عن أعيان الأمور"[4]، والمراد هنا أنّ الكناية ضدّ التصريح بالشيء.

وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الكناية من حيث المعنى اللغوي ليست بعيدة عن الرمز، لأنها تعني أن نتكلم بشيء ونريد غيره.

---

[1]- سورة فصلت الآية21.

[2]- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، ص200.

[3]- لسان العرب، ابن منظور، ج15 ص233.

[4]- أساس البلاغة، الزمخشري، ج2 ص149.

**-اصطلاحا**: والكناية عند البلاغيين هي: "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"[1]. ولعل تعريف الكناية قد بدأ يأخذ طابعه العلمي على يد الجرجاني، إذ قال: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللّغة، ولكنْ يجيء إلى معنى هو تاليه وردْفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النّجاد)، يريدون طويل القامة (وكثير رماد القدْر) يعْنون كثير القرى وفي المرأة: (نؤوم الضّحى)، والمراد أنها مترفة مخدْومة، لها منْ يكفيها أمْرها، فقد أرادوا في هذا كله، كما ترى، معنى، ثمّ لم يذْكروه بلفظه الخاصّ به، ولكنّهم توصّلوا إليه بذكْر معنى آخر منْ شأنه أن يرْدفه في الوجود، وأنْ يكون إذا كان"[2].

وعند العلوي: "هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين، حقيقة ومجاز من غير واسطة، لا على جهة التصريح"[3]، أما ابن الأثير فقال: "كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز، والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره"[4]. وقسم المبرد الكناية إلى ثلاثة أقسام[5]:

- للتعمية والتغطية.
- الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره.
- التفخيم والتعظيم.

ولعل الملاحظ على تقسيم المبرد، أنه قسم الكناية بناء على وظيفتها البلاغية.

وعرفها السكاكي بقوله: "هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك"[6]. أما الإمام البيضاوي فقد عرف الكناية بقوله: "هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه، كقولك الطويل النجاد للطويل، وكثير الرماد للمضياف"[7].

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص301.
[2]- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ج1 ص66.
[3]- الطراز، العلوي، ج1 ص373.
[4]- المثل السائر، ابن الأثير، ج3 ص62.
[5]- يراجع الكامل، المبرد، ج2 ص216.
[6]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص637.
[7]- تفسير البيضاوي، ج1 ص204.

ونستنتج أيضا من الأقوال السابقة أن المعنى اللغوي والاصطلاحي للكناية قد يتقاربا، ففي اللغة تصل الكناية إلى معنى التستر والخفاء، وكذا في الاصطلاح فهي قد تفيد التعمية والتغطية وذلك من الستر.

ويلاحظ مما سبق أن الإمام البيضاوي رحمه الله قد تعرض للكناية في تفسيره لبعض الآيات بما يطابق تعريفها الاصطلاحي، وأمثلة هذا الضرب في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، سنورد بعضا منها مما ذكره البيضاوي في تفسيره.

**أركان الكناية:** للكناية ركنان أساسيان هما[1]:

**1- اللفظ المكنى به (الملزوم):** وهو اللفظ المذكور في التعبير الذي يدل على معنى حقيقي، وآخر بعيد يكون هو المقصود، أو هو الذي ينصرف عنه الذهن إلى معنى آخر هو(اللازم)، كما في قولهم (فلان كثير الرماد)، والمقصود بكثرة الرماد هنا صفة الكرم، لأن الرماد ينتج عن اشتعال النار، واشتعال النار يدل على كثرة الطبخ، مما يعني كثرة الضيوف الذين يأتون إلى بيته، فالذهن انصرف عن هذا المعنى الملزوم إلى المعنى اللازم وهو الكرم.

**2- المكنى عنه:** وهو المعنى المراد الذي يقصده المتكلم، ويكون خفيا ومستورا، وهو اللازم الذي يتوصل إليه ذهن المتلقي. أي: (يفهم من خلال السياق وبمساعدة القرائن).

والعلاقة بين الركنين هي علاقة تلازم، أي: أن اللفظ المكنى به يلزم منه المعنى المكنى عنه.

**-العلاقة بين الكناية والمجاز:** اختلف البلاغيون في تصنيف الكناية وتحديد الفرق بينها وبين المجاز، يقول العلوي: "من ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم فينقل منه إلى الملزوم"[2]، فإن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، وقد عد أكثر علماء البيان الكناية من أنواع المجاز، لأن اللفظ المستعمل يراد به معنى آخر غير معناه الأصلي.

ويرى الرازي أن الكناية "أن تذكر لفظة وتفيد لمعناها معنى ثنائيا هو المقصود، وإذا كانت تفيد المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معتبرا فيما نقلت اللفظة عن موضوعها فلا

---

[1]- يراجع نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي-تنظير وتطبيق، عبد الرحمن غركان، دار الراني للدراسات والترجمة والنشر ط2008/1م، ص291.

[2]- الطراز، العلوي، ج1 ص367.

يكون مجازا، فأنت تريد بقولك (محمد كثير رماد القدر)، أن تجعل كثرة الرماد دليلا على كونه جوادا، أما الألفاظ فهي مستعملة في معانيها الأصلية التي يلزم من إدراك معناها معنى الجود، وإذا وجب في الكناية اعتبار معناها الأصلي لم تكن مجازا أصلا"[1].

أمّا السّكاكي فقد فرق بين الكناية والمجاز من وجهين[2]:

أحدهما أنّ الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يتمنع في قولك فلان طويل النجاد أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأويل مع إرادة طول قامته وفي قولك (فلانة نئومة الضحى) أن تريد أنها تنام ضحى لا عن تأويل يرتكب في ذلك مع إرادة كونها مخدومة مرفهة، والمجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو (رعينا الغيث) أن تريد معنى الغيث.

والثاني أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم على الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم على اللازم.

وخلاصة القول أن الكناية واسطة بين الحقيقة والمجاز، فهي ليست مجازا لأن قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وقرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وليست حقيقة لأنه لم يرد بها ظاهر معناها وإنما ما يلزم من معناها الحقيقي، والراجح أنها بين الحقيقة والمجاز.

وظيفة الكناية: الكناية من فنون البلاغة التي تؤدي دورها في تقوية المعنى وإبرازه، ولكن تحتاج إلى شيء من الدقة لما يكتنفها من غموض، فالمتكلم الذكي والشاعر الفصيح هو الذي يلجأ إلى الأسلوب الكنائي أحيانا لإخفاء المراد.

وتكمن وظيفة الكناية في كونها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، وتذكر القضية وفي طياتها برهانها الشاهد عليها، فهي تمتاز بالإقناع والإمتاع، ومتى ما جاء المعنى مصحوبا بدليله كان أشد أثرا وتأثيرا، وأقوى إقناعا وأوقع في النفس، وأعلق بالفؤاد وآكد للمعنى، وأشد تأثيرا في النفوس[3]، ولذلك فقد أجمع الجمع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح[4]، كما ذكر ذلك عبد

---

[1]- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ط1983/1م، ص191.

[2]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص403.

[3]- يراجع الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان، ص159.

[4]- يراجع التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، عبد العزيز بن صالح العمار، ط2007/1م، ص97.

القاهر الجرجاني فقال: "إن الكناية أبلغ من التَّصريح"، أنك لما كنّيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وآكد وأشدّ. فليست المزية في قولهم: (جَمُّ الرماد)، أنّه دلّ على قرى أكثر، بل المعنى إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابا هو أشدّ، وادّعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحّتها أوثق"[1].

## -أنواع الكناية ووظائفها في تفسير البيضاوي:

قسّم علماء البيان الكناية إلى موصوف، أو صفة، أو كناية عن نسبة.

وقد تعرّض البيضاوي للكناية في تفسيره دون ذكر أقسامها، ولكن وضح الكناية من خلال تفسيره لبعض الآيات، وكشف عن الوظيفة البلاغية للكناية عند تفسيره للآيات القرآنية.

والكناية في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، سنورد بعضا منها مما ذكره البيضاوي في تفسيره.

### أولا- كناية الموصوف:

وهي الكناية التي تستلزم ذاتا أو مفهوما[2]، حيث يذكر في الكلام صفة أو أكثر لها اختصاص بموصوف معين فتدل عليه، ويمكن أن ينقل الذهن منها إليه، وعليه تصير تلك الصفة أو الصفات كناية عن ذلك الموصوف.

ومن النماذج الواردة في تفسير البيضاوي نذكر الآتي:

جاء في قوله تعالى: ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾[3]، أي: "ذات أخشاب عريضة. وَدُسُرٍ ومسامير جمع دسار من الدسر، وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث أنها كالشرح لها تؤدي مؤداها"[4]، وأشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتودى مؤداها"[5]، وكذلك ذكر نحوه الرازي، حيث قال: "حذف الموصوف وأقام الصّفة مقامه، إشارة إلى أنّها كانت من ألواح مركّبة موثقة

---

[1]- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص71.

[2]- يراجع القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ص262.

[3]- سورة القمر الآيتان11، 12.

[4]- تفسير البيضاوي، ج5 ص165.

[5]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص433.

بدثر، وكان انفكاكها في غاية السّهولة، ولم يقع فهو بفضل الله، والدسر المسامير"[1]، وتبعهم في هذا الغرض كلّ من القاسمي، والشوكاني، والنسفي[2]، أن في الآية كناية عن موصوف.

وذكر هذا العلامة ابن عاشور فقال: "صفة السّفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا عوضا عن أن يقال: وحملناه على الفلك لأنّ في هذه الصّفة بيان متانة هذه السّفينة وإحكام صنعها. وفي ذلك إظهار لعناية اللّه بنجاة نوح ومن معه"[3].

يتضح مما سبق، أن في الآية الكريمة كناية عن موصوف.

ومن السمات البلاغية في هذه الآية الكريمة:

- الإيجاز من فصيح الكلام وبديعه.
- إنابة الصفة مناب الموصوف.
- تصوير الأحداث إلى الاعتماد على الصور العنيفة، والإيقاع الشديد، والألفاظ الضخمة، لتحقيق التخويف.
- لفخامتها وتعظيم أمرها وسط الطوفان، فهي تجري برعاية الله وحمايته، كذلك لكي تتناسق الألفاظ الضخمة للسفينة، مع الجو العام للصورة الذي يميل إلى تضخيم الهول.

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ**﴾[4]، والشاهد في هذه الآية: (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنان)، أي: "الأصابع وجزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم"[5]، فكنى عن الأطراف (الأصابع) بلفظ البنان، وبه قال الزمخشري[6]. وذكر هذا الوجه أيضا الشوكاني حيث قال: "المراد بِالبَنَانِ هنا: أطراف الأصابع من اليدين والرّجلين"[7].

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج29 ص297.

[2]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج9 ص272، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9 ص91، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ج3 ص402.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج27 ص182.

[4]- سورة الأنفال الآية12.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص52.

[6]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص204.

[7]- فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص332.

يستنتج من أقوال المفسرين أن في الآية الكريمة كناية عن موصوف. ومن السمات البلاغية في هذا الأسلوب الكنائي في الآية الكريمة، تصوير الأحداث، لأن الصورة تركّز على قوة الله التي تمدّ بهذه القوة الخفيّة ليشعر الإنسان بقوة الله الملموسة في توجيه الأحداث، وتقرير النتائج.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها"[2]، يفهم من كلام البيضاوي أنه كنى بالصلب عن الرجل، وبالترائب عن المرأة. وقد وضّح هذا الكلام صاحب كتاب محاسن التأويل إذ قال: "وكنى بالصلب عن الرجل وبالترائب عن المرأة"[3]، وتبعه الصابوني[4]، والملاحظ أيضا أن البيضاوي ينقل كلام الزمخشري نقلا تاما مع تغيير بعض الألفاظ.

يستنتج من خلال كلام المفسرين أن في الآية كناية عن موصوف. والوظيفة البلاغية هنا، لفت الانتباه على عظم القدرة والتفكر إلى الخالق سبحانه.

**ثانيا- الكناية عن صفة:** وهي التي يكون لفظها المكنى به دالا على صفة بينها وبين صفة أخرى تلازم وارتباط[5]، بحيث إذا أدرك السامع من اللفظ الصفة المكنى بها انتقل ذهنه إلى الصفة الملازمة لها، وهي المقصودة.

وأمثلة هذا الضرب في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة ولها وظائف متعددة، وسنورد بعضا منها مما ذكره البيضاوي في تفسيره كالآتي:

**1- التحسر والندم:**

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[6]، أي: "ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا،

---

[1]- سورة الطارق الآية7.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص303.

[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج9 ص451،

[4]- يراجع صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط1/(1417هـ-1997م)، ج3 ص520.

[5]- يراجع أصول البيان العربي، محمد حسين الصغير، ص116، علم البيان، بسيوني عبد الفتاح، ص229.

[6]- سورة الكهف الآية42.

لأن تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل: فأصبح يندم"[1]، وأشار إلى هذا الغرض الزمخشري[2]، وتبعه صاحب السراج المنير[3]، بأنّ في الآية الكريمةكناية عن صفة.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن في الآية الكريمة كناية عن صفة الندم والتحسر، لأنّه عبّر باللازم وهو تقليب الكفين، وأراد الملزوم وهو الندم والحسرة، وكانت الوظيفة البلاغية للكناية هي التحسر والندم.

## 2- المبالغة في أداء المعنى:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾[4]، وقال البيضاوي: "تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر، نهى عنهما آمراً بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم"[5]، وما من شك في أن ماساقه صاحب الكشاف هو نفسه الذي استقر عليه البيضاوي.

والملاحظ أن في هذه الآية كناية عن البخل وقد صورت الكناية هذه الصفة الذميمة بصورة حسية تنفر منها، وبسط اليد كناية عن الإسراف والتبذير.

ومنه نستنتج أن الوظيفة البلاغية التي أدتها الكناية في الآية الكريمة، هي المبالغة في أداء المعنى.

## 3- التعريض:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾[6]، أي: "على الأنف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره، وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال كقولهم: جدع أنفه، رغم أنفه، لأن السمة على الوجه سيما على الأنف شين ظاهر، أو نسود وجهه يوم القيامة"[1]،

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص282.

[2]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص378.

[3]- يراجع السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج2 ص378.

[4]- سورة الإسراء الآية29.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص253.

[6]- سورة القلم الآية16.

[1]- تفسير البيضاوي، ج5 ص234.

وأشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين وإذالة"[1]، وتبعه الرازي في هذا القول[2].

وقد وضح ذلك الطاهر بن عاشور إذ قال: "تمثيل تتبعه كناية عن التّمكّن منه وإظهار عجزه"[3]، وقد كنى في الآية بالوسم عن الإذلال، وقد يكون الإذلال كالوسم، إذ تتغير الملامح؛ لأن المرء يفقد شيئا من عنفوانه وأنفته.

ومما يلحظ في هذه الآية الكريمة؛ ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي فهمناه أن في الآية الكريمة كناية عن صفة، ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذا الأسلوب الكنائي، هي الإهانة والإذلال، والتعريض بالكفار.

### 4- قبول الحق:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ**﴾[4]، والشاهد في قوله: (يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ)، قال البيضاوي أي: "فيتسع له ويفسح فيه مجاله، وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه"[5]، وتبعه الألوسي[6]، بأنّ الغرض من هذه الكناية في الآية الكريمة لجَعل النفس قابلة للحق.

### 5- المبالغة في المعنى:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً**﴾[7]، وقال البيضاوي أي: "أن يكون وصفاً لليوم بالطول"[8]، والملاحظ أنّ كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام

---

[1] - الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص586.
[2] - يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج32 ص224.
[3] - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج29 ص76.
[4] - سورة الأنعام الآية125.
[5] - تفسير البيضاوي، ج2 ص181.
[6] - يراجع روح المعاني، الألوسي، ج4 ص270.
[7] - سورة المزمل الآية17.
[8] - تفسير البيضاوي، ج5 ص257.

الزمخشري[1]، وتبعهما الرازي، إلا أن الرازي جعل الشّيب أيضا كناية عن الشّدّة والمحنة[2]، والظاهر أن المفسرين ينقل بعضهم عن بعض، فهم يتفقون في المعنى العام.

وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يذكر في الآية: (يجعل الولدان شيبا)، كناية عن وصف اليوم.

ويوضح ذلك الطاهر بن عاشور فيقول: "ووصف اليوم بأنّه يجعل الولدان شيبا وصف له باعتبار ما يقع فيه من الأهوال والأحزان، لأنّه شاع أنّ الهمّ ممّا يسرع به الشّيب فلمّا أريد وصف همّ ذلك اليوم بالشّدّة البالغة أقواها أسند إليه يشيب الولدان الّذين شعرهم في أوّل سواده. وهذه مبالغة عجيبة"[3]. ومن أبرز الوظائف البلاغية هنا المبالغة في أداء المعنى.

### 6- الإيجاز:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ**﴾[4]، وقال البيضاوي: "فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان وغيره إيجازاً، ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريراً للمكنى عنه، وتهويلاً لشأن العناد، وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز"[5]. أي: "فإن لن تأتوا بسورة مثله ولن تأتوا"[6]، وتساءل الزمخشري في هذه الآية، إذ قال: "فإن قلت: لم عبر عن الإتيان بالفعل وأي فائدة في تركه إليه؟ قلت: لأنه فعل من الأفعال. تقول: أتيت فلانا، فيقال لك: نعم ما فعلت. والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه. ألا ترى أنّ الرجل يقول: ضربت زيداً في موضع كذا على صفة كذا، وشتمته ونكلت به، ويعد كيفيات وأفعالا، فتقول: بئسما فعلت"[7].

---

1- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص641.

2- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج30 ص692

3- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج29 ص274.

4- سورة البقرة الآية24.

5- تفسير البيضاوي، ج1 ص53.

6- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2 ص322.

7- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص101.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن في الآية كناية عن الإيجاز.

**7- الوعيد:**

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَذابَ الْحَرِيقِ**﴾[1]، والشاهد قوله: (ثاني عطفه)، وقال البيضاوي: "ثانِيَ عِطْفِهِ متكبراً وثني العطف كناية عن التكبر كليّ الجيد، أو معرضاً عن الحق استخفافاً به"[2]، أي: كناية عن الإعراض والتكبر والخيلاء، وهذا الذي أشار إليه الزمخشري في هذه الآية، إذ قال: "كناية عن الكبر والخيلاء، كتصعير الخدّ وليّ الجيد"[3].

وذكر العلامة الطاهر بن عاشور أن: "(ثانِيَ عِطْفِهِ)، تمثيل للتّكبّر والخيلاء. ويقال: لوّى جيده، إذا أعرض تكبّرا"[4]. ومن هنا تكمن الوظيفة البلاغية لهذه الكناية، لأنها قامت بتأدية المعنى، بطريقة تجسد صورة حسية لذلك المتكبر، وتبيّن جهله وغباءه، وقصور فهمه[5]، لأن الله لم يترك هذا المتكبر على عجرفته، بل وضع له صورة مقابلة في الخزي في الدنيا، ثم يمتد هذا الخزي في صورة عذاب الحريق الحسية يوم القيامة.

**8- الاستكبار:**

وشبيه ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا**﴾[6]، أي: "لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره، ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين"[7]، والشاهد قوله: (أَعْرَضَ وَنَأَى)، كناية عن الاستكبار.

---

[1]- سورة الحج الآية9.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص66.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص145.

[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج17 ص206.

[5]- يراجع وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد راغب، ص311.

[6]- سورة الإسراء الآية83.

[7]- تفسير البيضاوي، ج3 ص265.

**9- الاستهزاء:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**﴾[1]، أي: "عطفوها إعراضا واستكبارا عن ذلك"[2]، وقد وضّح ذلك الزمخشري بأن في الآية كناية عن الإعراض والاستكبار والسخرية والاستهزاء[3]. والكناية بهذه الحركة تجسد موقفهم الخفي تجاه النبي صلى الله عليه وسلم؛ موقف لم تحلله العبارة تحليلا مباشرا، وإنما أومأت إليه وفتحت الطريق نحوه، وعلى المتلقي أن يتأمل صورة أعناقهم ورؤوسهم وهي تميل وتنعطف فور سماع الدعوة إلى الاستغفار، ليدرك ما وراء ذلك من رفض وسخرية وكفر وغيظ وحقد وامتهان[4]، كل ذلك مشوب بشعور حاد وانفعال محمي نحو الرسول صلى الله عليه وسلم، ومصادمة دعوته ومحاربتها.

ومن أبرز الوظائف البلاغية في الكناية عن الصفة التي أدتها في هذه الآيات المذكورة من قبل هي كالآتي:

- الإيجاز وقصد الاختصار في التعبير.
- التقرير للمكنى عنه.
- التهويل والتصريح بالوعيد.
- إفادة المبالغة في المعنى، لأن التعبير بالمعنى الكنائي بروادفه وثوابته له من القوة والتأكيد ما ليس في التعبير عنه باللفظ الموضوع له.
- إشارة إلى حقارة شأنهم.
- تأكيد الإعراض والسخرية والاستهزاء.

---

[1]- سورة المنافقون الآية5.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص215.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص541.

[4]- يراجع التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، أبو موسى، مكتبة وهبة ط1/(1400هـ-1980م)، ص366.

### ثالثا- الكناية عن نسبة:

وهي أن تذكر الصفة والموصوف، إلا أنك بدلا من أن تنسب هذه الصفة لصاحبها، تنسبها إلى شيء آخر يتعلق بالموصوف، والمعنى أن ضابطها يصرح بالصفة والموصوف، ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع أنها هي المرادة[1]، وفي هذا الشأن يقول عبد القاهر الجرجاني: "أنهم يرومون وصفَ الرجل ومدحَه، وإثباتَ معنًى من المعاني الشريفةِ له، فيَدَعونَ التصْريحَ بذلك، ويكنّون عن جعلها فيه بجعْلها في شيء يشْتمل عليه ويتلبّس به، ويتوصّلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخْفى، ومسْلك يدقّ؟ ومثاله قول زياد الأعجم:

**إنَّ السَّماحَةَ والمُروءةُ والنَّدَى * في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرجِ**

أراد، كما لا يخفى، أنْ يثْبت هذه المعاني والأوصافَ خلالا للمدوح وضرائبَ فيه، فيقول: إنّ السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشْرج، أو مقصورة عليه، أو مختصّة به"[2]، ومما يلحظ أن عبد القاهر الجرجاني عدّها من المجاز الحكمي أو العقلي، وتبعه كثير من المحدثين وأسموها المجاز الكنائي[3]، ولعل هذا يعود إلى كونها أكثر إيهاما من سابقتها لعدم اختصاصها بالذات بقدر اختصاصها بما يحيط به.

ومن أمثلة الكناية في تفسير البيضاوي ووظائفها الآتي:

### 1- التشنيع:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾[4]، قال البيضاوي: "أحيطت بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه، أو ألصقت بهم، من ضرب الطين على الحائط، مجازاة لهم على كفران النعمة. واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين، إما على الحقيقة أو على

---

[1]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم البيان، بكري الشيخ، ص147، علوم البلاغة، محي الدين ديب، أحمد محمد بلقاسم، ص243، وأساليب البيان في علوم البلاغة، حسن عباس، ص347.

[2]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص306.

[3]- يراجع المصدر نفسه، ص233، 234.

[4]- سورة البقرة الآية61.

التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم"[1]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الكناية في ضرب الذلة والمسكنة عليهم، وهي كناية عن نسبة والمقصود بها إثبات ديمومة الذلّة والمسكنة عليهم، فكنى بضربها عليهم مبالغة في تشنيعهم.

وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه. أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة ومدقعة، إما على الحقيقة، وإما لتصاغرهم وتفاقرهم"[2]. وتبعه النسفي، وصاحب السراج المنير[3]، ويوضح هذا أيضا صاحب حدائق الروح والريحان بقوله: "ضربهما عليهم كناية عن إحاطتهما بهم، كما تحيط القبة بمن ضربت عليه"[4].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية الكريمة، وعلى ما أشار إليه الإمام البيضاوي، فإن فيها كناية عن نسبة، والوظيفة البلاغية في هذه الصورة الكنائية هي المبالغة في تشنيع أخلاق اليهود، قال ابن عاشور: "لأنهم فقدوا البأس والشّجاعة وبدا عليهم علامة الفقر والحاجة، مع وفرة ما أنعم اللّه عليهم فإنّهم لما سئموها صارت لديهم كالعدم ولذلك صار الحرص لهم سجيّة باقية في أعقابهم"[5]. والوظيفة البلاغية هي المبالغة في التشنيع.

## 2- المبالغة:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[6]، أي: "الملعونون، جعل مكانهم شرا ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم"[7]، وتبعه

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج1 ص83.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص144.

[3]- يراجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1 ص93، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص65.

[4]- حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري، ج1 ص479.

[5]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص520.

[6]- سورة المائدة الآية60.

[7]- تفسير البيضاوي، ج2 ص134.

النسفي، وصاحب السراج المنير[1]. ووجه آخر ذكره صاحب كتاب روح البيان حيث يقول: "الموصوفون بتلك القبائح والفضائح (شَرٌّ مَكاناً)، جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم"[2]. وفي سياق الآية كناية يوضحها الشهاب الخفاجي حيث يقول: "(جعل مكانهم شرا) أي: أسند الشرارة إلى المكان وجعل شرا، لأنّ التمييز في المعنى فاعل، واثبات الشرارة لمكان الشيء كناية عن إثباتها له كقولهم: سلام على المجلس العالي، والمجد بين برديه كان شرهم أثر في مكانهم أو عظم حتى صار متجسما"[3]، وهذا ما أشار إليه القاسمي بقوله: "إثبات الشرارة للمكان كناية عن إثباتها لأهله، كقولهم: (سلام على المجلس العالي) و (المجد بين برديه) كأن شرهم أثّر في مكانهم أو عظم حتى صار متجسما! وقيل: المراد بالمكان محل الكون والقرار الذي يؤول أمرهم إلى التمكن فيه"[4].

ومن خلال ما سبق، يتضح من أقوال المفسرين أن في الآية كناية عن نسبة، والوظيفة البلاغية في هذه الكناية هي تأكيد المبالغة .

**3- التعظيم:**

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾[5]، وقال البيضاوي: "الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها، أو التي تحق فيها الأمور أي تعرف حقيقتها، أو تقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي[6]، ويفهم من كلام البيضاوي أن الحاقة تعني الساعة، وهي وصف للساعة، ومن ثم فهي تخصيص الصفة بالموصوف عن طريق الكناية عن نسبة. وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء، التي

1- يراجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ج1 ص457، السراج المنير، شمس الدين الشربيني، ج1 ص384.

2- روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي، ج2 ص411.

3- حاشية الشّهاب على تفْسير البيضاوي، الخفاجي، ج3 ص259.

4- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج4 ص182.

5- سورة الحاقة الآيات1، 2، 3.

6- تفسير البيضاوي، ج5 ص239.

هي آتية لا ريب فيها"[1]، ويتفق البيضاوي مع الزمخشري في إرادة التفخيم والتعظيم لشأن يوم القيامة.

ومجمل القول أن البيضاوي استعان بأداة الكناية، لأنها تضفي على المعنى جمالا وتزيده قوة، وتتحقق بها مقاصد وأهداف ووظائف بلاغية فريدة، كتجسيد المعاني وإبرازها في صورة محسوسة تزخر بالحياة والحركة، وتخرج المعنى من العموم إلى الغموض. كما أنها تقدم الحقائق المقرونة بدليلها، وذلك أدعى إلى تصديقها وثباتها في النفس، ولأنها أبلغ من الحقيقة والتصريح، حيث الكلام المقرون بدليله أقوى من الكلام العاري عن الدليل والبرهان، ويعتبر طريقا من طرق الإيجاز والاختصار، ووسيلة للإقناع والتأثير. ومما يعزز الوظيفة البلاغية هنا المبالغة في التصوير.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص588.

# المبحث الخامس: التعريض

## توطئة:

وهو من المباحث التي تتوقف على الملاحظة وتحسس ظلال التراكيب، واستشعارها، وما فهم بواسطة السياق وقرائن الأحوال فهو التعريض، ولتحديد مفهومه، لابد أن ننطلق من التعريف اللغوي والاصطلاحي.

**-ماهية التعريض:**

**-لغة:** قال ابن فارس: "العين والراء والضاد بناء كثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العرض الّذي يخالف الطّول"[1]، وقال ابن منظور: "التعريض: خلاف التصريح. والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء. وفي المثل، وهو حديث مخرج عن عمران بن حصين، مرفوع: (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)، أي: سعة"[2]، وقد حدده الرازي بقوله: "التعريض في اللغة ضد التصريح..."[3]، أي التعريض خلاف للتصريح.

نستنتج من هذه الأقوال أن التعريض يقابل التصريح، فما لم يصرح به فهو تعريض، وهو قريب من التعريض اصطلاحا.

**-اصطلاحا:** نقل البلاغيون والمفسرون المعنى اللغوي للتعريض، ولم يستخدموه كمصطلح له، كما يعتبر من الأساليب التي عرفها العرب الأوائل، حيث عرفه العلوي بقوله: "التعريض هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به"[4]، وعرفه ابن الأثير فقال: "هو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي"[5]، ثم يضيف قائلا: "التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا

---

[1]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج4 ص269.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ج7 ص183.

[3]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج6 ص129.

[4]- الطراز، العلوي، ج1 ص194.

[5]- المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص186.

المجازي، وإنما سمي التعريض تعريضا؛ لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي: من جانبه، وعرض كل شيء جانبه"[1].

ويرى الجاحظ أنّ الكناية والتعريض من باب لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف[2]، فقد وضع الكناية في مقابل الإفصاح، وجعل التعريض في مقابل الكشف. أما ابن قتيبة فقد جعل التعريض من باب الكناية، إذ يقول: "ومن هذا الباب التعريض، والعرب تستعمله في كلامها كثيرا، فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح"[3]، وأشار إلى هذا الغرض أبو الهلال العسكري، إذ قال: "الكناية والتعريض وهو أن يكنى عن الشيء ويعرّض به ولا يصرح، على حسب ما عملوا باللّحن والتّورية عن الشيء. كما فعل العنبري إذ بعث إلى قومه بصرّة شوك وصرّة رمل وحنظلة، يريد: جاءتكم بنو حنظلة فى عدد كثير، ككثرة الرمل والشوك"[4].

ويقول عبد القاهر الجرجاني: "وكما أنّ الصفة إذا لم تأتك مصرّحا بذكْرها، مكشوفا عن وجهها، ولكن مدلولا عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، وكذلك إثباتك الصفة للشيء ثبتها له، إذا لم تلْقه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزيّة، ومن الحسْن والرونق، ما لا يقلّ قليله، ولا يجْهل موضع الفضيلة فيه"[5]، والمعنى أنهم يرومون وصْف الرجل ومدْحه، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدعون التصْريح بذلك، ويكنّون عن جعلها فيه بجعْلها في شيء يشْتمل عليه ويتلبّس به، ويتوصّلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخْفى، ومسْلك يدقّ[6]، ومثاله قول زياد الأعجم:

**إنَّ السَّماحَةَ والمُروءةُ والنَّدَى * في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرَجِ**

---

[1]- المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص187.

[2]- يراجع البيان والتبيين، الجاحظ، ج1 ص87.

[3]- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ج1 ص163.

[4]- الصناعتين، أبو هلال العسكري، ج1 ص368.

[5]- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ج1 ص306.

[6]- يراجع المصدر نفسه، ج1 ص306، 307.

وذكر الزمخشري أن هناك فرقا بين الكناية والتعريض، إذ قال: "الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له، كقولك: (طويل النجاد والحمائل) لطول القامة، و(كثير الرماد) للمضياف. والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم"[1].

ويرى الإمام البيضاوي أن هناك اختلاف بين الكناية والتعريض، حيث يقول في الآية: **﴿وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلكِنْ لاَّ تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾**[2]، "التعريض والتلويح إيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً، كقول السائل جئتك لأسلم عليك، والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه، كقولك الطويل النجاد للطويل، وكثير الرماد للمضياف"[3]، والمقصود هنا أن التعريض ضد التصريح، والكناية هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه.

وذهب السكاكي إلى أبعد من ذلك، حيث أشار إلى أن الكناية تتنوع إلى: تعريض، تلويح، رمز، إيماء، إذ قال: "متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسبا وإذا لم تكن كذلك نظر فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازم كما في كثير الرماد وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسبا، لأن التلويح هو أن تشير على غيرك عن بعد وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو عريض القفا وعريض الوسادة كان إطلاق اسم الرمز عليها منسبا لأن الرمز هو أن تشير على قريب منك على سبيل الخفية"[4].

ولخّص القزويني تعريف السّكاكي، حيث جعل الكناية والتعريض كلاهما من موضوع واحد، وبين أن الموصوف يكون مذكورا، وقد يكون غير مذكور، كما في قوله تعالى: **﴿فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾**[5]، إذا فسّر الغيب بالغيبة، أي: يؤمنون مع الغيبة عن حضرة

---

[1]- تفسير الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص283.
[2]- سورة البقرة الآية235.
[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص146.
[4]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص647.
[5]- سورة البقرة الآية2.

النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه رضي الله عنهم، أي: هدى للمؤمنين عن إخلاص لا المؤمنين عن نفاق[1].

وما ذهب إليه ابن الأثير من قبل، هو الأولى، لأنه بتعريفه للتعريض، يثير مسألة هامة بالنسبة للكناية، فهل هي من أقسام المجاز أو الحقيقة؟ أو أنها تحمل على الحقيقة والمجاز، وكل منهما يحقق المعنى المراد، ويفهم من كلامه أن هناك فروقا مميزة بين التعريض والكناية، منها[2]:

أ- إن الكناية عنده تقع في المجاز، وأن التعريض ليس منه شيء، لأنه يفهم من جهة القرينة العرضية فلا علاقة له باللفظ في حقيقته ومجازه.

ب- إن الكناية تقع في المفرد والمركب، بينما يختص التعريض بوقوعه في المركب فحسب.

ج- إن التعريض أخص من الكناية، لأن دلالة الكناية تعرف عن طريق اللفظ، والتعريض يفهم عن طريق الإشارة، وما دل عليه اللفظ يكون أوضح مما لا يدل عليه اللفظ وإن علم بدلالة أخرى.

بيد أن هناك فرقا جوهريا بينهما، فهما وإن كان كل واحد منهما يفهم من الكلام، ولا تدل عليه الألفاظ دلالة حقيقة، إلا أن بينهما فرقا، والذين أشاروا إلى هذا الاختلاف بينهما وأظهروا ما بينهما من فروق، ابن رشيق الذي فصل بين التعريض والكناية[3]، وابن الأثير الذي كشف عن الفروق المميّزة بين الكناية والتعريض[4].

وبهذا قد نستنتج ونقول بأنه قد تباينت آراء علماء البلاغة والمفسرين بشأن التعريض، فقد تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني وجعله مع الكناية، وتبعه السكاكي والقزويني، وأما ابن الأثير ويحي بن حمزة العلوي، فقد فرقا بين الكناية والتعريض.

والملاحظ أنهما أظهرا أن الكناية تتعلق باللفظ وهي تقع في المفرد والمركب، والتعريض أخص من الكناية ويدرك من جهة القرينة، وهو لا يقع في اللفظ المفرد.

---

[1]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص356، 357.

[2]- يراجع المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ص380.

[3]- يراجع العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، ص303.

[4]- يراجع المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص191.

**-الوظائف البلاغية للتعريض في تفسير البيضاوي:**

لقد تعرض البيضاوي للتعريض بكثرة في تفسيره وبيّن وظائفه البلاغية، من أجل التأثير في النفوس، وإقناع المتلقي، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

**1- الازدراء وإقامة الحجة:**

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾[1]، قال البيضاوي: "أسند الفعل إليه تجوزاً لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه، أو تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق: أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أنت"[2]، وقد عالج الزمخشري في كشافه وجه السياق في الآية الكريمة، إذ يقول: "هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني. والقول فيه أنّ قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم"[3].

وقال الطاهر بن عاشور في تفسيره: "أمّا الإخبار بقوله فعله كبيرهم هذا فليس كذبا وإن كان مخالفا للواقع ولاعتقاد المتكلّم لأنّ الكلام والأخبار إنّما تستقرّ بأواخرها وما يعقبها، فإنّه لما قصد تنبيههم على خطأ عبادتهم للأصنام مهّد لذلك كلاما هو جار على الفرض والتّقدير فكأنّه قال: لو كان هذا إلها لما رضي بالاعتداء على شركائه، فلمّا حصل الاعتداء عليهم بمحضر كبيرهم تعيّن أن يكون هو الفاعل لذلك... فإذا كان الخبر يعقب بالصّدق لم يكن ذلك من الكذب بل كان تعريضا"[4]، والمقصود هنا أنّ إبراهيم عليه السلام أراد أن ينبّههم عن خطئهم، وهذا لا يعتبر كذبا، وإنما تعريضا لهم.

---

[1]- سورة الأنبياء الآيتان62، 63.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص55.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص124.

[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج17 ص102.

ومن خلال ما سبق؛ ومما يتضح من أقوال المفسرين، أن في الآية الكريمة تعريض، حيث أراد إبراهيم عليه السلام أن يبين لهم أنّه من لا يتكلم ولا يعلم، ليس بمستحق للعبادة، ولا يصح في العقل أن يطلق عليه إلاه، فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم.

ومن الوظائف البلاغية في هذه الآية ما يلي:

- الذم والازدراء بالمعرض به.
- التلويح بالغير.
- الاستهزاء والتبكيت، وإقامة الحجة عليهم.

**2- التلطف والاحتراز:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[1]، أي: "تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح، حيث أراد لهم ما أراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قال: وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ مبالغة في التهديد"[2]، وجاء في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: "عبر عن عداوتهم وضررهم لهم بما ذكر من وصف نفسه به على طريق التعريض"[3]، وللطاهر بن عاشور كلام لطيف يحسن إيراده في هذه المسألة، وذلك حيث يقول: "وهذا الخَبر مستعمل في التّعريض بهم كأنَّه يقول: (وما لي لا أعبد، وما لكم لا تعبدون الّذي فطركم) بقرينة قوله: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)، إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقوية لمعنى التّعرّض"[4]. ومن الوظائف البلاغية التي أدّتها هذه الأداة في الآية الكريمة ما يلي:

- التلطف والاحتراز عن المخاشنة.
- المجادلة التي تخالف الحكمة المأمورة بها في الدعوة إلى الله، وهذه وظيفة حجاجية إقناعية.
- المبالغة في التهديد.

---

1- سورة يس الآية22.

2- تفسير البيضاوي، ج4 ص266.

3- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، الخفاجي، ج7 ص16.

4- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج22 ص368.

**2- الحجاجية والإقناع:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾[1]، والشاهد في قوله (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)، قال البيضاوي: "لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه، فإنه تعالى لما علم ما خفي عليهم من أمور السماوات والأرض، وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون، وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى، وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم"[2]، وتبعه في هذا الغرض القاسمي في محاسن التأويل[3].

ووجه آخر ذكره الطاهر بن عاشور في الآية الكريمة، إذ قال: "وإنّما جيء بالإجمال قبل ظهور البرهان وجيء بالتّفصيل بعد ظهوره على طريقة الحجاج وهو إجمال الدّعوى وتفصيل النّتيجة، لأنّ الدّعوى قبل البرهان قد يتطرّقها شكّ السّامع بأن يحملها على المبالغة ونحوها وبعد البرهان يصحّ للمدّعي أن يوقف المحجوج على غلطه ونحوه وأن يتبجّح عليه بسلطان برهانه فإنّ للحقّ صولة"[4]، وإذا حللنا كلام الطاهر بن عاشور وجدناه يشير إلى التعريض في هذه الآية الكريمة.

وممّا يعزّز وظيفته البلاغية هنا ما يلي:

- الوظيفة الحجاجية الإقناعية.
- المعاتبة والملامة.

**3- التعظيم:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾[5]، قال البيضاوي: "خصصناه بمنقبة ليست لغيره، وأن فضله على غيره من وجوه متعددة، أو بمراتب متباعدة. وهو محمد صلّى الله عليه وسلّم، فإنه خصه بالدعوة

---

[1]- سورة البقرة الآية33.

[2]- تفسر البيضاوي، ج1 ص70.

[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج1 ص288.

[4]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1 ص416.

[5]- سورة البقرة الآية253.

العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة، والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر، والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر[1]، والإبهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين.

وإذا حللنا كلام البيضاوي، وجدناه يشير في هذه الآية إلى التعريض، فسياقها قد أريد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يصرح باسمه، بل عرض تعظيما له وإعلاء لقدره.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري، إذ قال: "والظاهر أنه أراد محمداً صلى اللّه عليه وسلم، لأنه هو المفضل عليهم، حيث أوتى ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر. ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منفياً على سائر ما أوتى الأنبياء، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات، وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه، والمتميز الذي لا يلتبس"[2]، وقد تبعهما النسفي في تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل[3]، ورأى أنّ الآية من قبيل التعريض.

ومن أبرز السمات البلاغية في هذه الآية الكريمة ما يلي:

- التعظيم وإعلاء القدر.
- الإبهام والتفخيم.

**4- الرفض:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾[4]، قال البيضاوي: "لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة"[5]، نستشف من كلام البيضاوي، أن في الآية تعريض، وأشار إلى هذا الغرض الزمخشري، إذ قال: "تعريض بأنهم

---

[1]- يراجع تفسير البيضاوي، ج1 ص152.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص297.

[3]- يراجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ج1 ص208.

[4]- سورة هود الآية27.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص132.

أحق منه بالنبوة وأنّ الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم"[1]، والمعنى أن غرض هؤلاء أن لا يقوم عليهم حجة بأن منهم من صدقه وآمن به.

وعموما فإنّ هذه الآية الكريمة فيها تعريض كما ذكرنا آنفا، إلا أن البيضاوي لم يصرح باللفظ، وإنما فهم من السياق، وكانت وظيفته البلاغية الرفض وعدم اعترافهم به.

**5- النفي:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2]، الشاهد في قوله: (وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، يقول البيضاوي: "تعريض بأنهم مشركون لإشراكهم به عزيراً والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام"[3]، ويرى الزمخشري أنه يجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره[4]، وكذلك ذكر نحوه الرازي، إذ قال: "وهو تعريض بكون النّصارى مشركين في قولهم بإلهيّة المسيح وبكون اليهود مشركين في قولهم بالتّشبيه"[5].

وبعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين، فإنّ في الآية تعريض، ومما يعزّز وظيفته البلاغية هو النفي والردُّ على ادّعاء المشركين، وأنّ المسلمين على ملّة إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام.

**6- التسليم والإذعان:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[6]، قال البيضاوي: "وإن أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة، والمشركين به الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبينين، وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص388.
[2]- سورة آل عمران الآية67.
[3]- تفسير البيضاوي، ج2 ص22.
[4]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص371.
[5]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج8 ص253.
[6]- سورة سبأ الآية24.

على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح لأنه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب"[1]، يفهم من كلام البيضاوي أن في الآية تعريض.

وقد جاء كلام البيضاوي موافقا لكلام الزمخشري الذي يقول: "وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ: دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أفضل"[2]، ويشير البيضاوي هنا أنّ الآية تحمل نوعين وهما: التعريض والتورية.

ووجه آخر ذكره الطاهر بن عاشور، حيث قال: "وهذا اللون من الكلام يسمّى الكلام المنصف وهو أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيّظ واحتداد في الجدال، ويسمّى في علم المناظرة إرخاء العنان للمناظر، ومع ذلك فقرينة إلزامهم الحجّة قرينة واضحة"[3]، وهذا ما ذهب إليه السكاكي، إذ قال: "ويسمى هذا النوع من الخطاب المنصف"[4]؛ لأنه يوجب أن ينصف الْمخاطب إذا رجع إلى نفْسه اسْتدْراجا استدراجه الْخصْم إلى الْإذْعان والتّسْليم وهو شبيه بالْجدل لأنّه تصرّف في الْمغالطات الْخطابيّة"[5]، وهذا ذكره أيضا صاحب تفسير حدائق الروح والريحان، إذ قال: "وهو فن يعتبر من البلاغة محورها الذي تدور عليه؛ لأنه يستدرج الخصم ويضطره إلى الإذعان والتسليم، والعزوف عن المكابرة واللجاج، فإنه لما ألزمهم الحجة خاطبهم بالكلام المنصف الذي يقول من سمعه المخاطب به: قد أنصفك صاحبك، كقول الرجل لصاحبه: أنا وأنت أحدنا لكاذب، وأبرزه في صورة الإبهام لأجل الإنصاف في الكلام"[6]. وبهذا نستنتج أن الإمام البيضاوي يتفق مع البلاغيين في تفسيره لهذه الآية، كما يتفق معهم في تطبيق الكلام على مقتضى الحال.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج4 ص247.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص581.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج22 ص191.

[4]- مفتاح العلوم، السكاكي، ج1 ص246.

[5]- يراجع البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج2 ص195.

[6]- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الهرري، ج28 ص222.

ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذه الآية الكريمة، ما يلي:

- حمل المخاطَب على العدل إذا تفكر في الأمر.
- الاضطرار إلى الإذعان والتسليم.
- إبراز صورة الإيهام لأجل الإنصاف في الكلام.

**7- الوعيد:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾[1]، والشاهد قوله: (إن في ذلك لآية)، قال البيضاوي: "لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير، يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصور الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول"[2]، وتبعه في هذا الغرض كل من القاسمي، وصاحب (فتح البيان في مقاصد القرآن)[3].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه الإمام البيضاوي، فإن فيها تعريض، ومن السّمات البلاغية لهذا التعريض في الآية الكريمة نجد:

- الوعد والوعيد.
- التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.
- تصوير الأمر وتعظيمه.

**8- المبالغة:**

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ**﴾[4]،

---

[1]- سورة الشعراء الآية102.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص143.

[3]- يراجع محاسن التأويل، أبو البركات القاسمي، ج7 ص465، فتح البيان في مقاصد القرآن، حسن خان، ج9 ص395.

[4]- سورة ص الآية22.

والشاهد قوله: (بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ)، قال البيضاوي: "وهو على الفرض وقصد التعريض إن كانوا ملائكة وهو المشهور"[1]، وتساءل الزمخشري في هذه الآية، إذ قال: "فإن قلت: لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح؟ قلت: لكونها أبلغ في التوبيخ، من قبل أن التأمل إذا أدّاه إلى الشعور بالمعرض به، كان أوقع في نفسه، أشد تمكنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحا، مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة"[2]، وتبعهما في هذا الغرض كلا من النسفي، والشوكاني، وصاحب تفسير (روح البيان)[3]، والمعنى، بغى أحدهما على الآخر: من معاريض الكلام، لا من تحقيق البغي من أحدهما.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شروح هؤلاء المفسرين، أن في الآية الكريمة تعريض، ومن أبرز الوظائف البلاغية هنا، المبالغة في أداء معنى التعريض.

**9- التخويف**:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ**﴾[4]، يقول البيضاوي: "وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء"[5]، وأشار إلى هذا الغرض الطاهر بن عاشور، إذ قال: "دعا ربّه بما يجمعه هذا التّركيب المستعمل في التّعريض بأنّهم استوجبوا تسليط العقاب الّذي يدعو به الدّاعي، فالإخبار عن كونهم قوما مجرمين مستعمل في طلب المجازاة على الإجرام أو في الشّكاية من اعتدائهم، أو في التّخوّف من شرّهم إذا استمرّوا على عدم تسريح بني إسرائيل، وكلّ ذلك يقتضي الدّعاء لكفّ شرّهم"[6].

نستشف من خلال هذا الكلام أن في الآية تعريض؛ لأنهم لم يستجيبوا له فيما أمرهم، أو فأصرّوا على أذاه وعدم متاركته فدعا ربّه بأن هؤلاء قوم لا يصلحون.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج5 ص27.
[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص80.
[3]- يراجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ج3 ص149، يراجع الفتح القدير، الشوكاني، ج4 ص488، فتح البيان في مقاصد القرآن، حسن خان، ج12 ص29.
[4]- سورة الدخان الآية22.
[5]- تفسير البيضاوي، ج5 ص101.
[6]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج25 ص298.

ومما يعزّز الوظيفة البلاغية هنا في الآية الكريمة، تصوير الأحداث وذلك في الاعتماد على الصور العنيفة والإيقاع الشديد، والألفاظ المفخّمة، لتحقيق التخويف والتأثير في النفوس، كما في قوله تعالى: ﴿**وَيا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ**﴾[1]، أي: "مبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه، وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الأول، فإن ما بعده أيضاً تفسير لما أجمل فيه تصريحاً أو تعريضاً أو على الأول[2].

وخلاصة القول أن البيضاوي قد استطاع تحديد مصطلح التعريض، واستخدمه بكثرة في تفسيره لإقناع المتلقي والتأثير فيه. كما يعتبر من الأوائل الذين كشفوا أن للتعريض عدة وظائف كالمدح والذم، والاستهزاء، والتأمل...قبل البلاغيين، مما ينبئ بمقدرة بلاغية ثاقبة، فكان رائدا في هذا المضمار بما يسهم في الكشف عن الوظائف البلاغية والقصد منها في النص القرآني.

[1]- سورة غافر الآية41.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص59.

# الفصل الثالث

# الفصل الثالث: أدوات علم البديع ووظائفها في تفسير البيضاوي

## توطئة:

علم البديع فن من فنون البلاغة العربية، وإن كان لدى البلاغيين القدامى خلاف في تسميته أو وجوده. ولكن فنون البلاغة ليست شيئا غريبا عن لغتهم، فالعرب أصحاب بيان، وفصاحة فاقت طوق الشعوب التي تماثلهم آنذاك، فلا غرو أنهم يعرفون هذا الفن.

قد أُطلق منذ عهود مبكرة على محاسن الكلام وخصائص الأدب المميزة له، فكل ما يجعل للكلام حسنًا ومزية فهو داخل في البديع، غير أن المتأخرين من علماء البلاغة حددوا الوجوه التي تحسن الكلام وتزينه، وحصروها في هذه الألوان البديعية المخصوصة، ووضعوها في علم مستقل أطلقوا عليه اسم البديع.

## -مفهوم علم البديع لغة واصطلاحا:

**لغة:** البديع في لغة العرب من بدع الشيء يبدعه بدعًا، وابتدعه أنشأه وبدأه، والبديع والبِدع: الشيء الذي يكون أولًا. وفي التنزيل: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾[1]، أي: ما كنت أول من أرسل فقد أرسل قبلي رسل كثيرون، والبديع المبدع، وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال سابق، والبديع من أسماء الله تعالى؛ لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع الأول قبل كل شيء. قال تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[2]، أي: خالقها ومبدعها فهو سبحانه الخالق المبدئ لا عن مثال سابق. فبديع فعيل بمعنى فاعل، كقدير بمعنى قادر، وأبدع الشاعر جاء بالبديع، وأتى به، وحقيقته أنها جاءت بأمر حادث بديع[3]، والمقصود بالبديع هنا؛ هو إيجاد الشيء واختراعه على غير مثال، كما يطلق على الجديد المحدث، وعلى الشيء العجيب الغريب.

يتضح من المفهوم اللغوي أن اللفظة تدور حول الجديد المبتكر، والمحدث المعجب، والاختراع من غير مثال سابق، وإبداع الشيء، أي: إنشاءه.

---

[1]- سورة الاحقاف الآية09.

[2]- سورة البقرة الآية117.

[3]- يراجع لسان العرب، ابن منظور، ج8 ص6.

**اصطلاحا:** جاء في معجم المصطلحات: "البديع تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمّى العلم الجامع لطرق التزيين"[1]. وعرفه القزويني بأنه علم تعرف به وجوه تحسين الكلام، وهي وجوه تزيد القول حسنا وطلاوة وتقبلا، وذلك بعد رعاية مطابقة الكلام لما يقتضيه الحال، ووضوح الدلالة على المراد لفظا ومعنى[2]، وهذه الوجوه منها ما يرجع إلى تحسين المعنى، ويسمّى بالمحسنات المعنوية، ومنها ما يرجع إلى تحسين اللفظ، ويسمّى بالمحسنات اللفظيّة.

وعليه فإنه علم تابع لعلمي المعاني والبيان؛ فبعد أداء حق المعاني في نظم الكلام، وحق البيان في التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، يأتي علم البديع للقيام بوظيفة التحسين والتزيين من جهة الألفاظ والمعاني، وعلى هذا قسمه العلماء إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية.

## -أقسام المحسنات البديعية:

**المحسنات لغة:** جاء في مقاييس اللغة: "(حَسُنَ) الْحَاءُ وَالسِّينُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ. فَالْحُسْنُ ضِدُّ الْقُبْحِ. يُقَالُ رَجُلٌ حَسَنٌ وَامْرَأَةٌ حَسْنَاءُ"[3]، و"حسنت الشيء تحسينا: زينته، وأحسنت إليه وبه"[4]، والمقصود هنا، أنّ التحسين ضدّ المساوئ.

إنّ وظائف البديع هي تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهذه الوظائف منها ما يرجع إلى تحسين المعنى ويسمى بالمحسنات المعنوية، ومنها ما يرجع إلى تحسين اللفظ ويسمى بالمحسنات اللفظية، وهما متجانسان ومتكاملان في أداء وظائف التحسين، وهي وظائف بلاغية مهمة في توصيل الكلام إلى المخاطبين في أفضل صورة وأجمل تعبير، وقد تطرق البيضاوي في تفسيره إلى هذه المفاهيم من خلال تفسيره للآيات القرآنية، وتفصيل ذلك كالآتي:

---

[1]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، هبة كامل المهندس، مكتبة لبنان، ص43.

[2]- تلخيص المفتاح، القزويني، ص173.

[3]- مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2 ص57.

[4]- لسان العرب، ابن منظور، ج13 ص114، 115.

# المبحث الأول: المحسنات المعنوية ووظائفها في تفسير البيضاوي

## توطئة:

المحسنات البديعية المعنوية هي التي تؤدي وظيفة تحسين المعنى، وإن كان بعضها محسّنا للفظ أيضا، وعلامتها أنه لو غير اللفظ بما يرادفه لم يتغير المحسن، ويبقى التحسين موجودا في الكلام، وهو قسم يبحث عن الوجوه المعنويّة، أي: التي يرجع تحسينها إلى المعنى.

– **أنواع المحسنات المعنوية ووظائفها**: المحسنات المعنوية هي "التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى قصدا، وإلى اللفظ عرضا؛ لأنه كلما أفيد باللفظ معنى حسن تبعه، حسن اللفظ الدال عليه"[1]، وهي كلّ ما يساهم في تحسين معنى الكلام مع الأخذ بعين الاعتبار مقتضى الحال ووضوح الدلالة عليه، وذلك مثل الطباق، والمقابلة، والتورية، وحسن التعليل،...وغير ذلك، وهذه المحسنات كثيرة العدد في كتب البلاغة، وبعضها اختلف في تصنيفه بين علم المعاني وعلم البديع.

ومن هذه المحسنات المعنوية ووظائفها التي تناولها البيضاوي في تفسيره نذكر الآتي:

## أولا: الطباق:

الطباق هو أحد فنون البديع المعنوية التي وردت بصورة واضحة في النص القرآني والشعر، وهو من أعظم المحسنات أثرا في تجميل الأسلوب وتزيينه، وهي ملمح بلاغي يؤدي إلى توضيح دلالة المعاني، لأنه يتجاوز ظواهر الألفاظ إلى بواطنها، وهو بذلك وسيلة إيضاح جيدة تعرض بها الأشياء أو الصفات والمدلولات، فلا شك أن الجمع بين الأشياء المتطابقة يضفي على الكلام حسنا وجمالا، ويزيده رونقا وبيانا.

### –الطباق في اللغة:

للطباق في كتب النقد والبلاغة عدّة مسمّيات، منها: المطابقة، والتطابق، والتطبيق والطباق والتضاد، جميعها واحدا، ويسمى التكافؤ[2]. وقال الخليل: "طابقت بين الشيئين إذا

---

[1]– علوم البلاغة العربية، محمد أحمد ربيع، دار الفكر للنشر والتوزيع ط2007/1م، ص161.

[2]– يراجع نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي القاهرة ط1978/3م، ص143.

جمعت بينهما على حذو واحد وألزقتهما"[1]. وجاء في لسان العرب مادة (طبق): وقد طابقه مطابقة وطباقا. وتطابق الشيئان: تساويا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق. وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما. وهذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقه وطابقه، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**﴾[2]. وقال الزجاج: معنى (طباقا) مطبق بعضها على بعض[3]؛ لأن كلّ واحدة على طَبَق الأخرى.

أمّا التضاد لغة فإن: "ضدّ الشيء خلافه، ولقد ضاده وهما متضادان، يقال: ضادني فلان إذا خالفك فأردت طولا وأراد قصرا، وأردت ظلمة وأراد نورا فهو ضدك وضديدك"[4]. وأمّا التكافؤ فهو: "كل شيء ساوى شيئا حتى يكون مثله، فهو مكافئ له والتكافؤ الاستواء"[5]، والمعنى أنّ كلّ شيء مثله، أي: المساواة بين شيئين.

نلاحظ من خلال المعنى اللغوي لكل لفظة، أن الطباق والتكافؤ يلتقيان في المعنى، أما التضاد فيختلف عنهما، لأن معناه العكس، وهو الأقرب للمعنى الاصطلاحي.

## -الطباق في الاصطلاح:

جاء في معجم المصطلحات: "هو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة"[6]، وذكر صاحب الإيضاح: "هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"[7]، وقال الجرجاني: "أن تجمع في كلام واحد بين المتقابلين، سواء كان التقابل صريحا أو غير صريح، وسواء كان التقابل بالضدية أو بالسلب والإيجاب أو غيرهما، وسواء كان المتضادان اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين"[8]. وجاء في جواهر البلاغة: "الجمع بين الشيء وضده في الكلام"[9].

[1]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج5 ص105.
[2]- سورة نوح الآية15.
[3]- لسان العرب، ابن منظور، ج10 ص209،
[4]- يراجع المصدر نفسه، ج3 ص264.
[5]- المصدر نفسه، ج3 ص264.
[6]- معجم المصطلحات العربية، أحمد مطلوب، ص130.
[7]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص477.
[8]- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، الجرجاني، تحقيق عبد القادر حسين، دار النهضة مصر، ص259.
[9]- جواهر البلاغة، الهاشمي، ص303.

وقد قال صاحب كتاب تحرير التحبير: "فما كان منه بلفظ الحقيقة سمي طباقا، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤا، وأما الطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة فقد قسموه إلى ثلاثة أقسام: طباق الإيجاب، وطباق السلب، وطباق الترديد"[1]، ويستشف من كلامه أنّ الطباق كما يكون بألفاظ استعملت في معانيها الحقيقيّة، يكون كذلك بألفاظ استعملت في معان مجازيّة.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الطباق أسلوب بديعي وضروري في إيضاح المعاني، وتوصيلها إلى النفوس في صور جميلة؛ لأن الأشياء تتميز بأضدادها، ولا يخلو كلام بليغ من هذا الأسلوب، سواء جاء بطريقة عفوية، أم جاء بطريقة مقصودة من أجل تقريب المعاني وتحسينها، وقد يقع الطباق بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين، أو اسم وفعل، أو غير ذلك.

**-وظائف الطباق في تفسير البيضاوي:**

لقد ذكر البيضاوي كثيرا من مواطن الطباق دون تفصيل أو توضيح أو ذكر أقسامه، فكان يذكر الطباق ويبيّن وظيفته البلاغية دون تفصيل.

وأمثلة هذا النوع ووظائفه في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، سنورد بعضا منها ممّا ذكره البيضاوي في تفسيره على النحو الآتي:

**1- التبليغ بالبشارة والنذارة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾[2]، ويقول البيضاوي: "ولعلّه تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه، فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة، لأن ما بعده كالتفصيل له، وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فإنّ من أناره الله برهاناً على جميع خلقه كان حقيقاً بأن يكتفى به عن غيره"[3]، فالبيضاوي يشير إلى وجود طباق في هذه الآية الكريمة بين كلمتي: (بشير) و(نذير)، حيث جاء قوله تعالى: (وبشر المؤمنين)، مقابلا لقوله تعالى: (ولاتطع الكافرين والمنافقين)، وذلك تحذيرا له من موافقتهم فيما

---

[1]- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، ص112.

[2]- سورة الأحزاب الآيتان47، 48.

[3]- تفسير البيضاوي، ج4 ص234.

يسألون عنه، وتأييدا لفعله معهم حين استأذنه المنافقون في الرجوع عن الأحزاب فلم يأذن لهم، فنهى عن الإصغاء إلى ما يرغبونه، فيترك ما أحلّ لهم من التزوّج، والنّهي مستعمل في معنى الدّوام.

وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "ولقائل أن يقول: وصفه الله بخمسة أوصاف، وقابل كلا منها بخطاب مناسب له، قابل الشاهد بقوله: (وبشر المؤمنين)، لأنه يكون شاهدا على أمته وهم يكونون شهداء على سائر الأمم، وهو الفضل الكبير والمبشر بالإعراض عن الكافرين والمنافقين، لأنه إذا أعرض عنهم أقبل جميع إقباله على المؤمنين، وهو مناسب للبشارة والنذير بدع أذاهم، لأنه إذا ترك أذاهم في الحاضر –والأذى لا بدّ له من عقاب عاجل أو آجل- كانوا منذرين به في المستقبل، والداعي إلى الله بتيسيره"[1]. ووجه آخر ذكره القاسمي حيث يقول: "فيما يرجفون به ويعيبون من جاهليتهم وعوائدهم، بإلانة الجانب في التبليغ، والمسامحة في الإنذار والتمهل في الصدع بالحق"[2]. ويفهم من كلام المفسرين في هذه الآية الكريمة، أن الطباق حاصل بين (المؤمنين) و(الكافرين)، و(بشيرا) و(نذيرا) وهما طباق بين اسمين.

ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذا الطباق الموجود في الآية أيضا، وظيفة بلاغية تعليمية، وإرشادية، لبيان دور النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة. والمبالغةً في الزجر والتنفير عن المنهي عنه.

## 2- التفخيم والتعظيم:

ومنه قوله تعالى: ﴿**فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾[3]، قال البيضاوي: "وأن يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدراً لـ: (يُفْرَقُ) أو لفعله مضمراً من حيث أن الفرق به، أو حالاً من أحد ضميري (أَنزَلْناهُ) بمعنى آمرين أو مأموراً"[4]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يذكر الطباق في الآية الكريمة وهو (الأمر) مقابل (النهي)، والطباق هنا، وقع بين اسمين متضادين كلاهما يبرز الآخر ويدلّ عليه.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص547.

[2]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج8 ص91.

[3]- سورة الدخان الآية5.

[4]- تفسير البيضاوي، ج5 ص99، الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص270.

وبيّن الوظيفة البلاغية الإمام الشوكاني إذ قال: "أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا، وفيه تفخيم لشأن القرآن، وتعظيم له"[1]، فالوظيفة التي أدّاها الطباق في هذه الآية الكريمة هي تفخيم شأن القرآن الكريم.

**3- الإشعار:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبعُوثِينَ**﴾، قال البيضاوي: "فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً عن التكرير وإشعاراً بأن تعينها مغن عن التصريح بها كقوله: هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ، ومعناه لا حياة إلا هذه الحياة، لأن (إِنْ) نافية دخلت على (هِيَ) التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل (لا) التي تنفي ما بعدها نفي الجنس. (نَمُوتُ وَنَحْيا) يموت بعضنا ويولد بعض"[2]، ويستشف من كلام البيضاوي أنّ في الآية الكريمة محسن معنوي؛ وهو الطباق، والشاهد كلمتي: (نموت) و(نحيا)، وهذا الطباق إيجابي، لأنّ الله سبحانه يخبر عنهم أنهم ينكرون أنّ الله يحيي خلقه بعد أن يميتهم. ونلاحظ هنا أن البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري[3]، مع تغيير بعض الألفاظ، وتبعه في هذا الغرض كذلك النسفي[4]. وهذا منهج يتفق فيه جل المفسرين.

وبناء عليه، فإنّ في الآية الكريمة طباق، والغرض منه الإشعار.

**4- الوعد:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**مَّا كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ**﴾[5]، وقال البيضاوي: "الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره، والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيه بأحوالكم، أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم، كبذل الأموال والأنفس في

---

1- فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص653.

2- تفسير البيضاوي، ج4 ص87.

3- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص186.

4- يراجع مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ج2 ص468.

5- سورة آل عمران الآية179.

سبيل الله، ليختبر النبي به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم"[1]. يفهم من كلام البيضاوي أن في الآية طباق مجازي حاصل بين كلمتي (الخبيث) و(الطيب) والمراد بهما المخلص والمنافق.

وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "من اختلاط بعضكم ببعض، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعاً"[2]. وقد وضّح القاسمي الوظيفة الجمالية في هذه الآية إذ قال: "تعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق، مع أن المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وإفرازهم عن المنافقين، لما أن الميز الواقع بين الفريقين إنما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال إلى حال مغايرة للأولى، مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من أصل الإيمان، وإن ظهر مزيد إخلاصهم، لا بالتصرف فيهم، وتغييرهم من حال إلى حال أخرى، مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار، ولأنّ فيه مزيد تأكيد للوعيد"[3]، يعني بذلك (حتى يميّز الخبيث) وهو المنافق المستتر للكفر (من الطيب)، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان

نستنتج من أقوال المفسرين أن في الآية الكريمة طباق، وغرضه الوعد والوعيد.

**5- التنبيه وإثارة الاهتمام:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً**﴾[4]، يقول البيضاوي: "فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه. (وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ)، أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان... وإنّما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه، أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان"[5]، وإذا حللنا كلام البيضاوي نجده يبيّن أنّ في الآية الكريمة، طباق بين

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج2 ص51.

[2]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص445.

[3]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج2 ص465.

[4]- سورة الكهف الآية63.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص287.

كلمتي (نسيت) و(أذكره). وهذا ما ذهب إليه الزمخشري والرازي والنسفي وصاحب تفسير روح البيان[1].

وكانت الوظيفة البلاغية في هذا الطباق هي التنبيه وإثارة الاهتمام، لأنه كيف ينسى وهما خرجا لهذا الغرض بالذات؟

## 6- الاختيارات المُوَصِّلَة إلى البُغية:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[2]، أي: "اختاروا الضلالة على الهدى"[3]. ويستشف من كلام البيضاوي أنهم آثروا طريق الضلال على طريق الرشد.

وهنا يظهر الطباق المجازي، (فالعمى) في الآية ليس ضد النظر؛ وإنما هو بمعنى الضلال، وكذلك (الهدى) ليس الطريق المادي ولكنه هو طريق الرشد والدين القويم، فالعلاقة هنا بين الضلال والرشد أو الكفر والإيمان[4]، وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد، كقوله تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[5]، (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى)، فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد"[6]، والمقصود هنا أنهم اختاروا الكفر على الإيمان.

وهذا ما ذهب إليه الرازي حيث قال: "ومن المعلوم بالضّرورة أنّ أحدا لا يحبّ العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا، بل ما لم يظنّ في ذلك العمى والجهل كونه تبصرة وعلما لا يرغب فيه، فإقدامه على اختيار ذلك الجهل لا بدّ وأن يكون مسبوقا بجهل آخر، فإن كان ذلك الجهل الثّاني باختياره أيضا لزم التّسلسل وهو محال، فلا بدّ من انتهاء تلك الجهالات إلى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب"[1]. ووجه آخر ذكره الطاهر بن عاشور إذ قال: "فالمراد

---

[1]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص733، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج21 ص481، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص310، روح البيان، إسماعيل حقي، ج5 ص265.

[2]- سورة فصلت الآية17.

[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص69.

[4]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص231، فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص584.

[5]- سورة البلد الآية10.

[6]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص194.

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج27 ص550.

بالهداية هنا: الإرشاد التّكليفيّ... (واستحبّوا العمى) معناه: والعمى: هنا مستعار للضّلال في الرّأي"[1]، أي اختاروا الضّلال بكسبهم.

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شروح هؤلاء المفسرين هو أن في الآية طباق بين كلمتي (الهدى) و(العمى)، وهذا الطباق كما هو واضح طباق مجازي أظهر لنا المعنى في عبارة وجيزة، وكانت الوظيفة البلاغية في هذا الطباق أيضا إبرازا للمعنى، وأنهم تركوا البصيرة وحرموا أنفسهم منها وهي (الهدى)، وأحبوا الضلالة والزيغ وهي(العمى).

**7- المبالغة والتهديد:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا أَفَمَنْ يُلْقى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يوْمَ الْقِيامَةِ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "(أفمنْ يلْقى في النّار خيْر أمْ منْ يأْتي آمنا يوْم الْقيامة): قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمنا مبالغة في إحماد حال المؤمنين"[3]. يفهم من كلام البيضاوي أنّ في الآية طباق خفي، والوظيفة من هذا الطباق وصف حال المؤمنين في الجنة.

وعليه، يمكن القول إن الطباق وقع بين الفعل (يلقي) وفيه معنى الإهانة، والفعل (يأتي) وفيه معنى التكريم، لأنه يأتي مكرما غير مهان.

وفي قوله: (في النار) يقابل قوله: (آمنا)، لأن النار لا أمن فيها، فهي عذاب وويل وشقاء.

**8- النفي والإثبات:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ**﴾[4]. قال البيضاوي: "نفى استواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم. وقيل تقرير للأول على سبيل التشبيه، أي كما لا

---

[1]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج24 ص262.

[2]- سورة فصلت الآية40.

[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص72.

[4]- سورة الزمر الآية9.

يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون"[1]. ويفهم من كلام البيضاوي أن هناك تطابق في الآية الكريمة بين الفعل المثبت (يعلمون) والفعل المنفي (لا يعلمون).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾[2]، فقد طابق بين النهي (لا تخشوا) والأمر (اخشون)، وهو طباق سلب.

والوظيفة من هذا الطباق تعلمنا ضرورة خشية الله وحده دون غيره، فالنهي كان من خشية الناس، والأمر كان بضرورة خشية الله وحده. والفعلان أحدهما مضارع والآخر أمر لا يفرق بينهما إلا حرف النهي (لا)، وهما من جنس واحد.

**9- التحقير والاستهزاء:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ إِنْ هذا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**﴾[3]، أي: " وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه"[4]، ويستشف من كلام البيضاوي أنّ في الآية الكريمة طباق بين كلمتي: (أوعظت) و(الواعظين)، وهذا الطباق سماه العلماء طباق السلب، حيث يؤتى بفعلين أو مشتقاتهما، مرة مثبتة ومرة منفية.

وقد وضّح الزمخشري في هذه الآية بقوله: "فإن قلت: لو قيل (أَوَعَظْتَ) أو لم تعظ، كان أخصر، والمعنى واحد. قلت: ليس المعنى بواحد وبينهما فرق، لأنّ المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلا من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه"[5]، ونفس الكلام أشار إليه الرازي، وصاحب السراج المنير[6]، ويعني بذلك أنهم لا يرجعون عما هم فيه.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج5 ص38.

[2]- سورة المائدة الآية44.

[3]- سورة الشعراء الآيتان136، 137.

[4]- تفسير البيضاوي، ج4 ص146.

[5]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص226.

[6]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24 ص523، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج3 ص26.

ويبدو أن في هذه الآية طباق السلب والإيجاب (أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ)، وهذا طباق خرج لوظيفة الاستهزاء، إذ هم لا يهتمون بوعظه وتهديده؛ لأنهم يعتقدون أنهم أقوياء لا ينالهم أحد.

وخلاصة القول إن الطباق أداة من أدوات علم البديع، وله وظائف دلالية عديدة تأتي في سياق استيفاء متطلبات مقتضى الحال، ولا يقتصر أثرها على مجرد التحسين المعنوي الظاهر؛ بل إن كفاءة الطباق تقاس بمدى قدرته على توظيف دلالة التضاد بما يثري المعنى، ويتيح تصويره لذهن المتلقي بطريقة أكثر جلاء وإقناع.

كما يعد الطباق من أفضل الأدوات البلاغية المعينة على تصوير المفارقة المتولدة عن التضاد الحاصل بين الطرفين، وهو ضرورة لابد من استخدامها ولا يمكن توصيل المعنى بدونها، لأنه يضفي على المعنى حسنا وجمالا وبهاء، ويزيده إيضاحا وتقوية، وذلك عن طريق المقارنة بين الضدين، كما يضيف الطباق إلى الأسلوب جمالا وبهاء إذا جاء غير متكلف أو مستكره، وكان المعنى هو القائد إليه والدّافع نحوه، ومن وظيفته البلاغية أيضا قدرته على إثراء التعبير الفني والقيام بوظائف دلالية جديدة غير متوقّعة، ولعلّ أبرز هذه الدلالات تحوله من التضاد إلى التناسب.

**ثانيا: المقابلة:**

**-المقابلة لغة:** قال ابن منظور: "قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا: عارضه، والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك"[1]، أي: واجهه، وقابل الشيء بالشيء ليرى وجه التماثل أو التخالف بينهما.

**-المقابلة اصطلاحا:** ذكر صاحب الإيضاح أن المقابلة هي: "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب"[2]. أو "هي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"[3]، ويعني بذلك أن تذكر لفظين أو أكثر ثم تأتي بضدّهما أو أضدادهم على الترتيب.

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج11 ص540.

[2]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص259، جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص292.

[3]- البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم البديع، بكري الشيخ، ص50.

والفرق بين المقابلة والطباق هو أن الطباق لا يكون إلا بين الأضداد، أما المقابلة فتكون بين الأضداد كما تكون بين غير الأضداد، والفرق الثاني هو أن الطباق لا يكون إلا بين ضدين فقط، أما المقابلة فتكون بين أكثر من اثنين[1]. وقد بيّن ابن رشيق أن المقابلة تجيء في الأضداد، فإذا جاوز ضدين كان مقابلة[2]، وهذا القول هو ما ذهب إليه ابن أبي الإصبع إذ قال: "والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين: أحدهما أن المقابلة تكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام، وضدان في عجزه"[3]. وقال أيضا: "والثاني أنّ المطابقة لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغير الأضداد"[4]، والمقصود هنا، أنّ الطباق لا يكون إلا بالأضداد، في حين أنّ المقابلة تكون بالأضداد وبغيرها، وإن كانت المقابلة أعلى رتبة وأعظم موقعا.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن المقابلة كالطباق؛ إلا أن الفرق بينهما في عدد المعاني المتقابلة، وقد ذكر القزويني هذا الفرق إذ قال: "ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل"[5]، والمقصود هنا، أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب، وتبدأ المقابلة بطباقين أو بطباق وملحق به ثم تتصاعد إلى أن تبلغ إلى مقابلة ستة معان بستة معان أخرى، وهذا أقصى ما وصلت إليه المقابلة. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾[6]، حيث قابل الإعطاء والاتقاء والتصديق واليسر، بالبخل والاستغناء والتكذيب والعسرى.

---

[1]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم البديع، بكري الشيخ، ص50.

[2]- يراجع العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق، ج2 ص215.

[3]- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، ص179.

[4]- تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع المصري، ص179.

[5]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص371.

[6] - سورة الليل الآيات5، 6، 7، 8، 9، 10.

**وظائف المقابلة في تفسير البيضاوي:**

من خلال استقرائنا لتفسير البيضاوي وجدناه يدمج بين الطباق والمقابلة ويبيّن وظيفتهما الجمالية، ويبدو أنه اعتبرهما شيئا واحدا، ومن أمثلة ذلك في تفسيره ما يلي:

**1- التنبيه وتعظيم الشأن:**

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ**﴾[1]، قال البيضاوي: "تصريح بأن الهدى والضلال من الله، وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض، وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ، والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين، والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء، وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها"[2]، يشير البيضاوي إلى أن هناك مقابلة في الآية الكريمة، وهي مقابلة الهداية بالضلال، والغرض منها للتنبيه.

وقد وضّح الطاهر بن عاشور هذا الغرض إذ قال: "وقد علم من مقابلة الهداية بالإضلال، ومقابلة المهتدي بالخاسر أنّ المهتدي فائز رابح فحذف ذكر ربحه إيجازا"[3]، أي: من هداه الله فإنّه لا مضل له، ومن أضلّه فقد خاب وخسر وضلّ لا محالة.

وبناء على ما سبق، فإنّ في الآية الكريمة محسن بديعي وهو المقابلة، والفائدة منه للتنبيه وتعظيم الشأن، لأنّ ذكر الهداية والإضلال تكون بيد الله، فمن هداه فلا مضلّ له، ومن أضلّه فلا هادي له.

**2- الوعد:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً**﴾[4]، وقال البيضاوي في تفسير هذه الآية الكريمة: "(حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً) مقابل (ساءَتْ مُسْتَقَرًّا) معنى ومثله"[5]، فالبيضاوي

---

[1]- سورة الأعراف الآية178.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص275.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج9 ص181.

[4]- سورة الفرقان الآية76.

[5]- تفسير البيضاوي، ج4 ص132.

يشير إلى وجود مقابلة في هذه الآية الكريمة، وهي بين قولين وهما: (حسنت مستقرا) و(ساءت مستقرا)، والفائدة من هذه المقابلة الوعد بالجنة.

وهذا الرأي هو ما ذهب إليه الرازي بقوله: "وهو المراد من قوله: (حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومُقاماً) وهذا في مقابلة قوله: (سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً) أي: ما أسوأ ذلك وما أحسن هذا"[1]. وتبعه في هذا الغرض كل من النسفي، والشوكاني[2]، أي: حسنت منظرا وطابت منزلا لمن أراد الفوز بها.

وجاء كذلك في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[4]، يقول البيضاوي: "(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ) في مقابلة قوله: (الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ)"[5]، يفهم من كلام البيضاوي أن في الآيتين مقابلة بين (المؤمنون والمؤمنات) و(المنافقون والمنافقات)، وبين (بعضهم من بعض) و(بعضهم أولياء بعض)، وبين (يأمرون بالمعروف) و(يأمرون بالمنكر)، وبين (ينهون عن المنكر) و(ينهون عن المعروف).

وبهذا نستنتج ونقول إنّ في هاتين الآيتين مقابلة على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، والوظيفة البلاغية لهذه الأداة التشويق للفوز بالجنّة، والتحذير من النار.

### 3- التهكم والاستهزاء والتحقير:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾[6]، قال البيضاوي: "(مُرْتَفَقاً) متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق

---

[1]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24 ص488.

[2]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج8 ص134، فتح القدير، الشوكاني، ج4 ص102.

[3]- سورة التوبة الآية68.

[4]- سورة التوبة الآية71.

[5]- تفسير البيضاوي، ج3 ص87.

[6]- سورة الكهف الآية29.

تحت الخدّ، وهو لمقابلة قوله: (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً)، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار"[1]. والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الرازي[2]، والمقصود هنا، أنّ في الآية الكريمة وجود مقابلة بين (حسنت مستقرا) و(ساءت مرتفقا).

وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور: "وهذا مقابل قوله في حكاية حال أهل النّار (وَساءَتْ مُرْتَفَقاً)"[3]، ويستشف من كلامه أن هناك مقابلة بين حسنت مستقرا لأصحاب الجنّة، وساءت مرتفقا لأصحاب النار.

أمّا الزمخشري فقال: "وهذا لمشاكلة قوله: (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً)، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء"[4]، وتبعه النسفي[5] بنفس المعنى في ذكر هذا المصطلح وهو (المشاكلة).

والذي نميل إليه ونأخذ به، هو الذي أشار إليه البيضاوي بأن في الآيتين مقابلة؛ لأنها مقابلة بين الجنة في قوله تعالى: (نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)، والنار في قوله تعالى: (بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقًا)، فقد ذكر سبحانه عزّ وجلّ الارتفاق في النار مقابلةً فيما بعد في وصف الجنة وهو قوله تعالى: (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا).

والوظيفة البلاغية هنا تهكم واضح، وتحقير واستهزاء، فهذه نهاية طريق من عصى الله واختار طريقا لا يوصل إلى الجنة، فكانت نارا وساءت مرتفقا.

وخلاصة القول إن الطباق والمقابلة من الأدوات البلاغية الجميلة، وقد وردا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفي كلام الفصحاء والبلغاء، وقد اشترط البلاغيون فيهما ما يشترط في جميع المحسنات البديعية، وهو أن يكونا تابعين للمعنى، بعيدين عن التكلف والصنعة.

كما تقوم المقابلة بزيادة المعاني وضوحا في الفكر ورسوخا في النفس، وذلك لأن تقابل المعاني يؤكدها خير تأكيد ويصورها في الذهن فتزداد عمقا في الفهم، وتضفي على الكلام رونقا وبهجة، وتقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني.

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص279.

[2]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج21 ص461.

[3]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15 ص314.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص718.

[5]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص298.

**ثالثا: الطي والنشر**: ويسميه البعض باللف والنشر؛ وهما سواء، ويتضح ذلك من المفهوم اللغوي.

-**الطي والنّشر في اللغة**: جاء في معجم لسان العرب: "**الطي** نقيض النشر. طويته طيا، ويقال طويت الصحيفة أطويها طيا، فالطي المصدر وطويتها طية واحدة، أي: مرة واحدة"[1]، والمعنى أنّ الطي ضدّ النّشر.

**والنّشر**: قال فيه ابن فارس: "(نَشَرَ) النُّونُ وَالشِّينُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى فَتْحِ شَيْءٍ وَتَشَعُّبِهِ. وَنَشَرْتُ الْخَشَبَةَ بِالْمِنْشَارِ نَشْرًا. وَالنَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ، وقال ابن منظور: النّشر خلاف الطي، نشر الثوب ونحوه ينشره نشرا ونشّره بسطه، وتنشر الشيء وانتشر انبسط، وانتشر النهار وغيره طال وامتدّ، وانتشر الخبر انذاع"[2]، أي: فَتْح الشيء ونشره، مثل قولنا: نشرت الكتاب. وهو عكس طويته.

-**الطي والنشر اصطلاحا**: يعدّ المبرد من الأوائل من التفت إلى هذا النوع إذ قال فيه: "والعرب تلفّ الخبرين المختلفين، ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأنّ السامع يرد إلى كل خبره"[3]. وعرّفه السكاكي فقال: "وهي أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو له"[4]، والمقصود هنا، ذكر متعدّد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثمّ ذكر ما لكلّ من آحاده من غير تعيين ثقة؛ بأنّ السامع يردّ على كلّ ما يليق به.

أمّا الحموي فذكره باسم الطي والنشر فقال: "الطي والنّشر هو أن تذكر شيئين فصاعدًا، إما تفصيلًا فتنصّ على كل واحد منهما، وإما إجمالًا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد، وتفوّض إلى العقل ردّ كلّ واحد إلى ما يليق به، ثم إنّ المذكور على التفصيل قسمان: قسم يرجع إلى المذكور بعده على التريب من غير الأضداد، لتخرج المقابلة، فيكون الأول للأول، والثاني للثاني، وهذا هو الأكثر في اللفظ والنّشر، وقسم على العكس، وهو الذي لا يشترط فيه الترتيب،

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج15 ص19.

[2]- المصدر نفسه، ج5 ص208.

[3]- الكامل، المبرد، ج1 ص741.

[4]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص425.

ثقة بأنّ السامع يردّ كل شيء إلى موضعه، تقدم أو تأخر"[1]، والمعنى نفسه جاء في الإيضاح: "هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه"[2]، ويستشفّ من كلامه أنّ المتعدّد المذكور على جهة التفصيل أو الإجمال قد انطوى فيه حكمه؛ لأنه اشتمل عليه من غير تصريح به، ولذا سمّي (لفّا) أو (طيّا). فلمّا صرّح بعد ذلك بالحكم المطوي، كان كأنّه نشْر وإبْراز له، ولذا سمّي (نشْرا).

ويتضح مما سبق أن الطي والنّشر هو المقابلة بين أمرين، سواء بطريق الإجمال أو التفصيل، والسياق يحدد ردّ كل جزء إلى موضعه لاستكمال المعنى المراد.

**-وظائف الطي والنشر في تفسير البيضاوي:**

لقد تناول البيضاوي هذا النوع وبيّن وظائفه البلاغية، دون ذكر أقسامه، ومن أمثلة ذلك:

**1- العلة في الرخصة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[3]، أي: "وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدّة ما أفطر فيه، والترخيص: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) إلى آخرها على سبيل اللفّ، فإن قوله: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) علّة الأمر بمراعاة العدّة، (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ) علّة الأمر بالقضاء وبيان كيفيته، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) علّة الترخيص والتيسير"[4]، ويشير البيضاوي أن في هذه الآية الكريمة محسن بديعي وهو اللّفّ، والمعنى: يريد الله أن (تكملوا العدّة)، و(أن تكبروا الله)، و(أن تشكروه)، وإكمال العدّة يحصل بقضاء الأيّام التي أفطرها من وجب عليه الصوم ليأتي بعدّة أيّام شهر رمضان كاملة، فإنّ في تلك العدّة حكمة تجب المحافظة عليها، فبالقضاء حصلت حكمة التشريع، وبرخصة الإفطار لصاحب العذر حصلت رحمة التخفيف، كما دلّت الآية على

---

[1]- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تحقيق عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال بيروت2004م، ج1 ص149.

[2]- الإيضاح، القزويني، ص503.

[3]- سورة البقرة الآية185.

[4]- تفسير البيضاوي، ج1 ص125.

الأمر بالتكبير؛ إذ جعلته ممّا يريده الله، وهو غير مفصّل في لفظ التكبير، ومجمل في وقت التكبير وعدَده.

ويوضّح هذا المعنى النسفي فيقول: "شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله (**وَلِتُكْمِلُواْ**) علّة الأمر بمراعاة العدّة (وَلِتُكَبِّرُوا) علّة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر، (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) علّة الترخيص، وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك، كأنه قيل لتكبروا الله، أي: لتعظّموه حامدين على ما هداكم إليه"[1].

أمّا صاحب السراج المنير فذكر اللفّ والنشر في تفسيره لهذه الآية فقال: "( وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، علّة الترخيص من تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه، ولذلك عدّ نوعاً من اللفّ والنشر لطيف المسلك"[2]، ويفهم من كلامه أنّ في هذه الآية نوع من اللّف والنّشر، وهذا النّوع لا يقتضي ترتيبا أو عدم ترتيب، لأنّ اللّف مجمل؛ لا يعلم ترتيبه حتى ننظر في ترتيب النّشر على ضوئه.

## 2- الإيجاز:

ومثاله في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً**﴾[3]، قال البيضاوي في تفسير هذه الآية الكريمة: "ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه، لقوله تعالى: (**وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ**). وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة. (**لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ**) بأن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب الذّات رحيم على العباد. أَوْ (أَرادَ شُكُوراً) أن يشكر الله تعالى على ما فيه من النعم، أو ليكونا وقتين للمتذكرين الشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخرة"[4]. **ويفهم** من كلام البيضاوي أن اللفّ كان في الليل والنهار المتعاقبين، ثم جاء النشر (أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً)، دون تعيين أي منهما لليل والنهار.

---

[1]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص160.

[2]- سراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص121.

[3]- سورة الفرقان الآية62.

[4]- تفسير البيضاوي، ج4 ص129.

وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر، فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال، وتغيرهما من ناقل ومغير. ويستدل بذلك على عظم قدرته، ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار. كما قال عزّ وعلا: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾[1]. أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين، من فاته في أحدهما ورده من العبادة قام به في الآخر"[2]. وتبعه الرازي بنفس المعنى[3].

وقال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "وقد سلك في قوله (لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) طريقة اللّفّ والنّشر المعكوس فيعود لتسكنوا فيه إلى اللّيل، ويعود ولتبتغوا من فضله إلى النّهار"[4]، والتّقدير: ولتبتغوا من فضله فيه، فحذف الضّمير والجار، وذلك قصد الإيجاز.

ومن هنا يمكن القول أنّ في الآية الكريمة لفّ ونشر، ووظيفته البلاغية هنا هي الإيجاز.

### 3- الإشعار:

ومثاله في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾[5]، قال البيضاوي: "منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوّي القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما، أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلفّ وضمّ بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعاراً بأن كلاً من الزمانين وإن اختص بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه"[6]. ويفهم من كلام البيضاوي وتحليله لمضمون الآية الكريمة أن في الآية لفّ ونشر، حيث جمعت الآية بين الليل والنهار فكان اللف، ثم جاء النشر على ترتيب اللفّ، فالأول من المتعدد في اللفّ وهو اللّيل. والأول من النشر للأول من المتعدد في اللفّ وهو المنام؛ لأن النوم والراحة يكونان في اللّيل ثم كان الثاني للثاني، فالنهار في اللفّ تبعه ابتغاء الرزق والسعي في الكسب في النهار.

---

1- سورة القصص الآية73.

2- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص290.

3- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24 ص479.

4- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج20 ص171.

5- سورة الروم الآية23.

6- تفسير البيضاوي، ج4 ص205.

ويبدو أن هذا الرأي هو الأرجح، فهو يتناسب مع ما ذهب إليه الزمخشري في تفسيره قائلا: "هذا من باب اللفّ وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين القرينين الأوّلين بالقرينين الآخرين. لأنهما زمانان. والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللفّ على الاتحاد. ويجوز أن يراد: منامكم في الزمانين، وابتغاءكم فيهما"[1]، وتبعه في هذا الرأي الرازي، والنسفي، وأبو السعود[2].

وبناء على ما تقدم من شرح المفسرين لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن في الآية أداة اللفّ والنّشر، ووظيفتها البلاغية الإشعار بالوقت، وهكذا يتضح أن الوظيفة من اللّف والنشر في القرآن الكريم تكمن في أنّ ذكر اللّف مطويا فيه حكمة، أو ما يتعلّق به، يهيّئ النفوس ويعدّها لتلقي ما يذكر بعد من النّشر العائد إلى اللف، فإذا ما ذُكر النّشر بعدئذ وقع في النفوس موقعه، وتمّت الفائدة تماما وتحقق الغرض، لأن النّشر جاء والنّفوس إليه متطلّعة وله مترقّبة.

**رابعا: التجريد:**

**–التجريد لغة:** قال ابن منظور: "جرد: جَرَدَ الشيء يَجْرُدُهُ جَرْدًا. وجَرَدَهُ: قَشَّرَهُ"[3]. أي: إزالة الشيء عن غيره، كتقشير الثمار وغيرها.

**–اصطلاحا:** للتجريد مفهومان مختلفان أشار إليهما البلاغيون:

**النوع الأول:** قال ابن الأثير: "فأما حد "التجريد"، فإنه إخلاص الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك، لا المخاطب نفسه، وله فائدتان: إحداهما أبلغ من الأخرى. **فالأولى**: طلب التوسع في الكلام، فإنه إذا كان ظاهره خطابًا لغيرك، وباطنه خطابًا لنفسك، فإنّ ذلك من باب التوسع. **أما الثانية:** وهي الأبلغ، وذاك أنه يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح، أو

---

[1]– الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص473.

[2]– يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج25 ص93، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص696، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج7 ص57.

[3]– لسان العرب، ابن منظور، ج3 ص115.

غيره على نفسه، إذ يكون مخاطبًا بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة، فيما يقوله غير محجور عليه"[1].

**النوع الثاني**: "أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها في المنتزع منه"[2]. وقد عدّه الجرجاني من باب التشبيه إذ قال: "والقياسُ يقتضي أنْ يُقال في هذا الضربِ أَعْني ما أنتَ تعْملُ في إِثباتِهِ وتزْجيتهِ: أنَّه تَشبيهٌ على حدِّ المبالغة"[3]، فالجرجاني يعدّ التجريد من باب التشبيه.

وعرّفه المراغي بقوله: "أن ينتزع من أمر ذي صفة أو أكثر، أمر آخر أو أكثر مثله فيها، لإفادة المبالغة بالدّعاء كمال الصفة في ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة مبلغا يصح أن ينتزع منه موصوف آخر متصف بتلك الصفة"[4]، أي: المبالغة في وجود الصّفة في المنتزع منه، فقد بلغ في الاتصاف بها مبلغا عظيما إلى درجة أنّه صار يفيض بها على غيره.

**-وظائف التجريد في تفسير البيضاوي:**

ومن وظائف التجريد التي تناولها البيضاوي في تفسيره ما يلي:

**1- التخويف والترهيب:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ**﴾[5]، والشاهد في قوله: (دارُ الْخُلْدِ)، يقول البيضاوي: "فإنها دار إقامتهم، وهو كقولك: في هذه الدار دار سرور، وتعني بالدار عينها على أن المقصود هو الصفة"[6]، ويفهم من كلام البيضاوي وتحليله لمضمون الآية أن في الآية تجريد، حيث المقصود من جهنم نفسها هي دار الخلد، وليس المقصود أنّه يوجد فيها دار للخلد.

---

1- المثل السائر، ابن الأثير، ج2 ص128.

2- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص374.

3- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص68.

4- علوم البلاغة، المراغي، ص334.

5- سورة فصلت الآية28.

6- تفسير البيضاوي، ج5 ص71.

والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري، وتبعهما النسفي وصاحب السراج المنير[1]، حيث ذكروا أنّ جهنّم هي (دَارُ الْخُلْدِ) ولكن جرّدت منها دار أخرى وسميّت (دَارُ الْخُلْدِ) لإفادة المبالغة في اتصاف جهنّم بشدّة العذاب وتهويل أمرها.

أمّا أبو السعود فقد وضّح هذا النّوع في هذه الآية بقوله: "هي بعينها دار إقامتهم على أن (فِيهَا) للتجريد وهو أنْ ينتزع من أمر ذي صفة أمرآخر مثله مبالغة لكماله فيها"[2]. وقد ذكر القزويني أنه انتزاع من النار مثلها[3]، أي: انتزاع منها دارا أخرى وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلا لأمرها ومبالغة في اتصافها بالشدة.

ونستشف من هذه الأقوال أنّ الوظيفة البلاغية في التجريد في الآية الكريمة هي المبالغة في التخويف والترهيب.

**2- التعظيم والتهويل:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**﴾[4]، قال البيضاوي: "حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله:

**وَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ * تَحْوِي الغَنَائِمِ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ**

كَالدِّهانِ مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام، أو جمع دهن وقيل هو الأديم الأحمر"[5]، وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "الدهان الأديم الأحمر، والمعنى: فحصلت سماء وردة، وهو من الكلام الذي يسمى التجريد"[6]، وتبعهما أبو السعود بنفس المعنى[7]. والوجه البلاغي في هذه الآية، انتزع من السماء مثلها تعظيما وتهويلا.

---

[1]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص198، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص234، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج3 ص516.

[2]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص12.

[3]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص364، معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب، ج2 ص48.

[4]- سورة الرحمن الآية37.

[5]- تفسير البيضاوي، ج5 ص173.

[6]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص449.

[7]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص182.

ومن هنا، كانت الوظيفة البلاغية للتجريد هي إثارة الخيال وتنشيط الأذهان وتنبيه العقول بما في أساليبه من تصوير وتخييل، ومن تنويع وتلوين في الصياغة، كما تكمن المبالغة في وجود الصّفة في المنتزع منه.

**خامسا: المشاكلة:**

**-المشاكلة في اللغة:** جاء في اللسان: "الشّكل، بالفتح: الشبه والمثل، والجمع أشكال وشُكُول، وقد تشاكَل الشيئان وشاكَل كل واحد منهما صاحبه، والشَّكل: المِثْل، تقول: هذا على شكل هذا أي على مثاله. وفلان شَكْلُ فلان أي: مثله في حالاته، والمشاكلة: الموافقة، والتشاكل مثله"[1]. ويستنتج من هذا التعريف اللغوي أن المشاكلة هي المماثلة والمشابهة.

**-المشاكلة في الاصطلاح:** قال السكاكي: "هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته"[2]، وأضاف إليه القزويني كلمتي تحقيقا أو تقديرا، فقال: "وهي ذكر الشي بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديرا أو تحقيقا"[3]، وعليه فالمشاكلة إما تحقيقية وإما تقديرية.

**-وظائف المشاكلة في تفسير البيضاوي:**

وقد تناول البيضاوي هذا النوع من التحسين المعنوي في تفسيره وبين وظائفه البلاغية، ومن أمثلة ذلك:

**1- التوبيخ:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[4]، قال البيضاوي أي: "تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك. وقوله (**فِي نَفْسِكَ**) للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات"[5]، والمعنى (في نفسك) للمشاكلة، وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك بالكلام طريق

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج11 ص356.

[2]- مفتاح العلوم، السكاكي، ص533.

[3]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص348.

[4]- سورة المائدة الآية116.

[5]- تفسير البيضاوي، ج2 ص151.

المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبيِّنِه، فقيل (فِي نفْسِكَ) لقوله في نفسي"[1]، ووافقه الألوسي[2] في هذا الرأي.

وأومأ إلى هذا الرأي أيضا أبو السعود، فقال: "بيانٌ للواقع وإظهارٌ لقصوره أي: ولا أعلم ما تُخفيه من معلوماتك. وقوله: (فِي نَفْسِكَ) للمشاكلة، وقيل المرادُ بالنفس هو الذاتُ ونسبةُ المعلومات إليها لما أنها مرجعُ الصفات التي من جملتها العلمُ لمتعلِّق بها فلم يكن كنسبتها إلى الحقيقة"[3].

وقد وضح البقاعي هذه الوظيفة في الآية الكريمة بقوله: "ولما أثبت له سبحانه ذلك، نفاه عن نفسه توبيخاً لمن ادعى لهُ الإلهية فقال مشاكلة: ﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ... ولما نفى عن نفسه ما يستحق النفي ودلّ عليه، أثبت ما قاله لهم على وجه مصرح بنفي غيره"[4].

أمّا الشوكاني فبيّن أنّ من وظيفتها التعليل؛ حيث قال: "هذه الجُمْلة في حكْم التعليل لما قبْلها، أيْ: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، وهذا الكلام من باب المشاكلة كما هو معروف عند علماء المعاني والبيان"[5]، والمقصود هنا، أنّ في الآية الكريمة تعليل.

ويرى العلامة الطاهر بن عاشور أن في الآية مبالغة؛ إذ يقول: "وذلك مبالغة في التّنزيه وليْس له أثر في التبرّي، والتّنصّل، فلذلك تكون الواو اعتراضيّة، وإضافة النّفْس إلى اسم الجلالة هنا بمعنى العلم الّذي لم يُطْلعْ عليه غيره، أي: ولا أعلم ما تعلمه، أي: ممّا انفردت بعمله. وقد حسّنه هنا الْمشاكلة"[6].

ولعلّ ما ذهب إليه كل من البيضاوي والزمخشري أن في الآية مشاكلة حقيقية، والوجه البلاغي فيها التوبيخ، خلافا مما يراه العلامة ابن عاشور والشوكاني.

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص694.
[2]- يراجع روح المعاني، الألوسي، ج7 ص67.
[3]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص101.
[4]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج6 ص365.
[5]- فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص108.
[6]- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج7 ص115.

**2- التخيير:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "يؤيد الوجه الأول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق، وتسميتها عفواً إما على المشاكلة وإما لأنهم يسوقون المهر إلى النساء عند التزوج"[2]، يفهم من كلام البيضاوي أن في الآية: (وَأَنْ تعْفُوا أَقْرَبُ لِلَتقْوى) فيها مشاكلة، وقد وضّح ذلك كل من الزمخشري والرازي بقولهما: "أو سماه عفواً على طريق المشاكلة"[3]. وتبعهما في هذا الغرض الشوكاني[4]، حيث بيّن هذا النّوع البديعي في الآية الكريمة.

ومن خلال ما سبق يتضح أن في الآية: (وأن تعفوا) مشاكلة حقيقية، غايتها التخيير، إما العفو وإما رد نصف المهر.

**3- المبالغة:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[5]، والشاهد قوله: (مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ) يقول البيضاوي: "كالحية وإنما سمي الزحف مشياً على الاستعارة أو المشاكلة"[6]، وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين"[7]، وتبعه في هذا الغرض كلّ من الرازي، والنسفي، وصاحب

---

[1]- سورة البقرة الآية237.

[2]- تفسير البيضاوي، ج1 ص147.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص223، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج6 ص478.

[4]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص292.

[5]- سورة النور الآية45.

[6]- تفسير البيضاوي، ج4 ص111.

[7]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص246

تفسير السراج المنير، وأبي السعود، وكلهم رأى أنّ في الآية محسن بديعي وهو المشاكلة[1]، والغرض منه المبالغة.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية الكريمة، وعلى ما أشار إليه الإمام البيضاوي، فإن في الآية مشاكلة حقيقية، غرضها البلاغي المبالغة.

**4- الاستهزاء والتحقير:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[2]، قال البيضاوي أي: "يجازيهم على استهزائهم، سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة، إما لمقابلة اللفظ باللفظ، أو لكونه مماثلاً له في القدر، أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم، أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء، أو الغرض منه، أو يعاملهم معاملة المستهزئ: أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان"[3]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يوضح أن في مضمون الآية مشاكلة في قوله تعالك (الله يستهزئ بهم)، والملاحظ أن كلام البيضاوي جاء موافقا لكلام الزمخشري، وتبعه الرازي، والنسفي، وصاحب تفسير السراج المنير، فقد اتفقوا على أن الآية كريمة فيها محسن بديعي وهو المشاكلة[4].

أمّا الشوكاني فوضّح هذه الوظيفة حيث قال: "ينزل بهم الهوان والحقارة وينتقم منهم ويستخفّ بهم انتصافا منهم لعباده المؤمنين، وإنّما جعل سبحانه ما وقع منه استهزاء مع كونه عقوبة ومكافأة مشاكلة. وقد كانت العرب إذا وضعت لفظا بإزاء لفظ جوابا وجزاء ذكرته بمثل ذلك اللّفظ وإن كان مخالفا له في معناه، ومنه: ﴿**وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها**﴾[5]، وقوله: ﴿**فَمَنِ**

---

[1]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24 ص406، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص512، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج2 ص632، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص185.

[2]- سورة البقرة الآيتان14، 15.

[3]- تفسير البيضاوي، ج1 ص48.

[4]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص61، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج2 ص308، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص53، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص26.

[5]- سورة الشورى الآية40.

**اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ﴾**[1]، والجزاء لا يكون سيّئة، والقصاص لا يكون اعتداء لأنّه حقّ"[2]. ونفس الكلام أشار به البيضاوي إلى هذه الآية (وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها)، حيث سمّى سيِّئة الثانية للازدواج[3]، والملاحظ أيضا أن البيضاوي وضّح أن الاستهزاء هنا من الله إنما جاء على المشاكلة. وهذا ما أشار إليه أيضا البقاعي بقوله: "وردها على حد المماثلة، وثانيا بتسمية سيئة وإن كان على طريق المشاكلة"[4].

وبهذا نستنتج من الأقوال السابقة أن في الآية مشاكلة، وهذه الأداة كانت وظيفتها البلاغية الاستهزاء والتهكم والتحقير.

وممّا تقدم يبدو أن البيضاوي تناول موضوع المشاكلة تناولاً جمالياً، يعنى بمعنى اللفظ وحسن عائدته، وتسويغ استعماله في المعاني الثانوية.

**سادسا: المبالغة:**

-**المبالغة في اللغة:** قال ابن فارس: "الْباء واللّام والْغيْن أصْل واحد وهو الوصول إلى الشّيْء. تقول بلغت المكان، إذا وصلْت إليه. وقد تسمّى الْمشارفة بلوغا بحقّ المقاربة"[5]. وجاء في القرآن الكريم قول اللّه تعالى: **﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾**[6]، يقول البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: "والبلوغ هو الوصول إلى الشيء، وقد يقال للدنو منه على الاتساع، وهو المراد في الآية ليصح أو يرتب عليه"[7].

---

[1]- سورة البقرة الآية194.

[2]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص51.

[3]- يراجع تفسير البيضاوي، ج5 ص83.

[4]- نظم الدرر، البقاعي، ج17 ص355.

[5]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج1 ص301.

[6]- سورة الطلاق الآية2.

[7] - تفسير البيضاوي، ج1 ص143.

وجاء في لسان العرب: "بلغ الشيء ويبلغ بلوغا: وصل وانتهى. وبالغ يبالغ مبالغة: إذا اجتهد في الأمر. والمبالغة: أن تبلغ في الأمر جهدك، وبالغ فلان في الأمر إذا لم يقصر فيه"[1]، أي وصل وانتهى.

**-المبالغة في الاصطلاح**: عرفها ابن رشيق بقوله: "بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء"[2]. وعرفها أبو الهلال العسكري بقوله: "أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته"[3]. وأما الخطيب القزويني فيعرفها بقوله: "أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا، لئلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف"[4]. ويبدو من خلال هذه التعاريف السابقة أنها متقاربة فيما بينها، وعلى هذا فالمبالغة هي نوع من الإفراط في الصفة، وهي إحدى وسائل تحسين الكلام وخدمة المعنى، وعرضه في صورة جميلة.

**أنواع المبالغة**: لقد أجمع أكثر علماء البلاغة على أن المبالغة تنحصر في ثلاثة أقسام وهي[5]:

**1- التبليغ**: هي الإفراط في وصف الشيء بما هو مقبول عقلا وعادة.

**2- الإغراق**: هو الإفراط في وصف الشيء بوصف يكون ممكنا في العقل، ومرفوض عادة.

**3- الغلو**: هو الإفراط في وصف الشيء بما هو مرفوض عقلا وعادة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول؛ إن المبالغة أداة من أدوات الاتصال تعتمد على توظيف الألفاظ الزائدة على الحاجة بقصد تقوية المعنى، والبلوغ به مبلغ الشرف والرفعة في المدح.

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور، ج8 ص420.

[2]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ط5/(1401هـ-2981م)، ج2 ص55.

[3]- الصناعتين، أبو الهلال العسكري، ص403.

[4]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص314.

[5]- يراجع البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بكري الشيخ، ج3 ص27.

**-وظائف المبالغة في تفسير البيضاوي:**

لقد تناول البيضاوي هذه الأداة وبيّن وظائفها البلاغية، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

**1- المبالغة في الشح:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**﴾[1]، والشاهد في قوله: (لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا)، يقول البيضاوي: "لو كان لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون أحداً ما يوازي نقيرا، وهو النقرة في ظهر النواة. وهذا هو الإغراق في بيان شحهم، فإنهم إن بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا فقراء أذلاء متفاقرين"[2].

**سابعا: تأكيد المدح بما يشبه الذم:** يرجع الفضل في إطلاق مصطلح تأكيد المدح بما يشبه الذم إلى ابن المعتز، وقد سار على نهجه كل من أتى بعده، وهو أسلوب بلاغي يعتمد على مفاجأة السامع بما لا يتوقعه، حيث يؤكد صفة المدح عن طريق تعبير يوهم بأنه أراد تأكيد صفة ذم[3]، ويأتي هذا الأسلوب على ضربين وهما[4]:

**أحدهما**: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها.

**والثاني**: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا، فإذا نطق المتكلم بـ(إلا) أو نحوها، توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أنّ ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا، وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد مدح.

**-الوظائف البلاغية:**

وقد تناول البيضاوي هذا النوع من المحسن المعنوي البديعي، وبيّن وظائفه الجمالية في تفسيره، ومن ذلك:

---

[1]- سورة النساء الآية53.

[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص79.

[3]- يراجع البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، حسن إسماعيل عبد الرزاق، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة 2006م، ص271، المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص600.

[4]- يراجع الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص383، 384.

**1- الوعيد:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلباً لمرضاتك، ثم فزعوا إلى الله سبحانه وتعالى فقالوا: (رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً) أفض علينا صبراً يغمرنا كما يفرغ الماء، أو صبّ علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون"[2]، ويشير البيضاوي إلى أن في هذه الآية محسن من محسنات البديع وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله: (وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا). أي: بعد صفة النقم وهو من صفة الذم، اتضح بعد الاستثناء بـ(إلا) صفة المدح التي فيها خير الأعمال.

وهذا ما صرح به جماعة من أهل التفسير في كتبهم، فمن ذلك الزمخشري إذ قال: "وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أرادوا: وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان"[3].

وقد وضّح ذلك الشوكاني فقال: "لست تعيب علينا وتنكر منّا إلّا أن آمنّا بآيات ربّنا لما جاءتنا، مع أنّ هذا هو الشّرف العظيم والخير الكامل، ومثله لا يكون موضعا للعيب ومكانا للإنكار، بل هو حقيق بالثّناء الحسن والاستحسان البالغ، ثمّ تركوا خطابه، وقطعوا الكلام معه، والتفتوا إلى خطاب الجناب العليّ، مفوّضين الأمر إليه، طالبين منه عزّ وجلّ أن يثبّتهم على هذه المحنة بالصّبر.

يتضح من خلال ما سبق أن في الآية أداة من أدوات البديع وهي تأكيد المدح بما يشبه الذم، والغرض من هذا النوع للوعيد.

---

[1]- سورة الأعراف الآية126.

[2]- تفسير البيضاوي، ج3 ص29.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص141، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص595، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج1 ص503.

**2- الإشعار:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**طه مَا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشى**﴾[1]، قال البيضاوي أي: "(ما أنزلنا عليك القرآن) لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلغ، أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق. والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم أشقاهم، ولعله عدل إليه للإشعار بأنه أنزل عليه ليسعد"[2]، ومفاد ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل عليه القرآن ليسعد في حياته، وهذا مدح للنبي صلى الله عليه وسلّم.

وقال الزمخشري: "ما نزل عليك القرآن (لِتَشْقى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ﴾[3]، والشقاء يجيء في معنى التعب"[4]، ووجه آخر ذكره أبو السعود فقال: "فإنه استئناف مَسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب، فإن الشقاءَ شائعٌ في ذلك المعنى ومنه أشقى من رائض مُهْرٍ أي ما أنزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العُتاةِ ومحاورة الطغاةِ وفرط التأسّف على كفرهم به والتحسرّ على (أن يؤمنوا)، كقوله له عز وجل: (فَلَعَلَّكَ باخع نَّفْسَكَ على آثارهم)، بل للتبليغ والتذكير وقد فعلتَ فلا عليك إن لم يؤمنوا به بعد ذلك أو لصرفه صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة"[5]، ونفس الطرح قال به الشوكاني[6].

نستنتج من الأقوال السابقة أن وظيفة الاستثناء في الآية المذكورة كانت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وإشعارا وتأكيدا بأن المشقة والتعب سيكون لك سعادة، وعليه فإنّ في الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم، ومن أبرز وظائفه البلاغية التسلية، والإشعار.

---

[1]- سورة طه الآيات1، 2، 3.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص22.

[3]- سورة الكهف الآية6.

[4]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص49.

[5]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص3.

[6]- يراجع فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص420.

**ثامنا: المذهب الكلامي:** ويراد به اتباع طريقة علماء التوحيد والكلام في إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة. قال الحموي: "أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه، بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها إلى علم الكلام، إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة[1]، وقال القزويني: "هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام"[2]، وقال الهاشمي: "أن يورد المتكلم على صحة دعواه حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب[3]، ومفاد ذلك "أن يدلل المتكلم على مطلوبه بمقدمات يستلزم التسليم بها"[4]، أي: التسليم بهذا المطلوب.

**-الوظائف البلاغية:**

لقد تناول البيضاوي هذا المحسن المعنوي البديعي وبيّن غرضه ووظائفه في تفسيره بما جاء في الذكر الحكيم، ومن أمثلته ما يلي:

## 1- التنبيه:

ومنه قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا**﴾[5]، قال البيضاوي: "وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله، وحث على البحث والنظر فيه"[6]، يشير البيضاوي إلى أن هذه الآية جاءت بأدلة عقلية وبراهين قطعية وهذا في قوله: ( لَفَسَدَتَا)، وهذا هو الاحتجاج النظري أو المذهب الكلامي.

وقد أشار إلى هذا الغرض أبو حيان إذ قال: "هذا النّوع عند علماء البيان يسمّى الاحتجاج النّظريّ: وهو أنْ يذكر الْمتكلّم معْنى يسْتدلّ عليْه بضروب من المعقول"[7]، وقد وضّح البقاعي في تفسيره لهذه الآية حيث قال: "ولما كان الجواب قطعاً: لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف،

---

1- خزانة الأدب، الحموي، ج1 ص364.

2- تلخيص المفتاح، القزويني، ص188.

3- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ص305.

4- المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص593.

5- سورة الأنبياء الآية22.

6- تفسير البيضاوي، ج1 ص117.

7- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج3 ص395.

ولا شيء غيره سبحانه يستحق وصف الإلهية، أقام البرهان القطعي على صحة نفي إله غيره ببرهان التمانع، وهو أشد برهان لأهل الكلام فقال: (لو كان فيهما)، أي: السماوات والأرض، أي: في تدبيرهما"[1]، وتبعه صاحب السراج المنير في تفسيره لهذه الآية أيضا[2].

وقال أبو السعود في تفسير الآية الكريمة: "لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييرا وتبديلا وإيجادا وإعداما وإحياء وإماتة فبقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعيّن بعلل متعددة، وإما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الإلهية قطعا. واعلم أن جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما أنه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما، وإلا فالبرهان يقضي باستحالة التعدد على الإطلاق، فإنه لو تعدد الإله فإنْ توافق الكلّ في المراد تطاردت عليه القدر وإن تخالفت"[3].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية الكريمة؛ وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن في الآية مذهب كلامي، وهو احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام، وله طرق متعددة كما هو مبين في محله. ومن أبرز الوظائف البلاغية في هذا المحسن البديعي المبالغة، والتهكم، والتحقير.

**2- التعليل:**

ومنه قوله تعالى: **﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[4]، يقول البيضاوي: "جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه، أي: لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالإجماع والاستقراء

---

[1]- نظم الدرر، البقاعي، ج12 ص403.

[2]- يراجع السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج2 ص500.

[3]- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص61.

[4]- سورة المؤمنون الآية91.

وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد"[1]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية مذهب كلامي في قوله (إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ)، وتأكيد الكلام أيضا بذكر حرف الجر الزائد في قوله تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ)، وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)؛ أي: ما اتخذ ولدًا، وما كان معه إله، تأكيدًا وتثبيتًا للنفي.

وقد وضّح هذا الكلام الشوكاني إذ قال: "(مِنْ) في الموضعين زائدة لتأكيد النّفي. ثمّ بيّن سبحانه ما يستلزمه ما يدّعيه الكفار من إثبات الشّريك، فقال: (إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ) وفي الكلام حذف تقديره: لو كان مع الله آلهة لانفرد كلّ إله بخلقه، واستبدّ به، وامتاز ملكه عن ملك الآخر، ووقع بينهم التّطالب والتّحارب والتّغالب (وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ) أي: غلب القويّ على الضّعيف، وقهره، وأخذ ملكه، كعادة الملوك من بني آدم، وحينئذ فذلك الضّعيف المغلوب لا يستحقّ أن يكون إلها، وإذا تقرّر عدم إمكان المشاركة في ذلك، وأنّه لا يقوم به إلّا واحد؛ تعيّن أن يكون هذا الواحد هو اللّه سبحانه، وهذا الدّليل كما دلّ على نفي الشّريك فإنّه يدلّ على نفي الولد، لأن للّه عزّ وجلّ عالم الغيب والشّهادة"[2]، وهذا ما أشار إليه كل من الزمخشري، والرازي، وتبعهما النسفي، وأبو السعود، والقاسمي[3].

ومما سبق يمكن القول إن المفسرين قد أشاروا إلى هذه الآية وبيّنوا وظيفتها البلاغية وهي تأكيد النفي وإقامة الحجة والبرهان.

**تاسعا: أسلوب الحكيم:** وهو أحد المحسنات المعنوية في علم البديع، ويعني عند البلاغيين "أن تتلقى المخاطب بغير ما يترقبه، وتصرف حديثه إلى وجهة أخرى لم يقصدها"[4]، ويقول الجرجاني عنه: "هو تصديق كلام الغير وحمله على وجه آخر"[5]. وقال الخطيب القزويني: "أن تقع

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج4 ص94.

[2]- فتح القدير، الشوكاني، ج3 ص587.

[3]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص202، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج23 ص290، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص479، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص148، محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج7 ص183.

[4]- المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص423.

[5]- الإشارات والتنبيهات، محمد الجرجاني، ص287.

صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت تلك الصفة في الكلام لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت الحكم له أو في انتفائه عنه"[1].

ووجه آخر ذكره ابن الإصبع فقال: "وهو أن يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم"[2]، والملاحظ أن هذا النوع من الكلام كان يستعمل للتطرف أو التخلص من إحراج السائل، أو التهكم والإظهار والتنبيه.

**-الوظائف البلاغية:**

لقد تناول البيضاوي هذا النوع البديعي في تفسيره وبيّن وظيفته الجمالية والبلاغية، ومن أمثلة ذلك:

## 1- التنبيه:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[3]، قال البيضاوي أي: "عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم، تنبيهاً على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذوي رأي، وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر"[4]. ويشير البيضاوي إلى قوله تعالى: (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)، أنّ فيه أسلوب حكيم، وهذا بقوله: عدلوا عن الجواب، أي: وتنبيها على أنّ كونه مرسلا أمر واضح مكشوف لا يحتاج إلى السؤال عنه.

وقد أشار إلى هذا الغرض الزمخشري إذ قال: "ليس إخباراً عن وجوب الإيمان به، بل عن امتثال الواجب والعمل به، ونحن قد امتثلنا"[5]، وكذلك ذكر نحوه النسفي إذ قال: "وإنما صار هذا جوابا لهم لأنهم سألهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مسلّماً، كأنهم قالوا العلم

---

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص532.

[2]- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ص599.

[3]- سورة الاعراف الآية75.

[4]- تفسير البيضاوي، ج3 ص20.

[5]- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص122.

بإرساله وبما أرسل به لا شبهة فيه وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم إنا به مؤمنون"[1].
وقال أبو حيان: "جواب للمستضعفين وعدولهم عن قولهم هو مرسل إلى قولهم إنّا بما أرسل به مؤمنون في غاية الحسن إذ أمر رسالته معلوم واضح مسلّم لا يدخله ريب لما أتى به من هذا المعجز الخارق العظيم فلا يحتاج أن يسأل عن رسالته ولا أن يستفهم عن العلم بإرساله فأخبروا بأنّهم مؤمنون بما أرسل به"[2]، والكلام نفسه قاله أبو السعود، والشوكاني[3]، بأن، في الآية الكريمة أسلوب الحكيم، والغرض منه لتأكيد.

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية؛ وعلى ما أشار إليه الإمام البيضاوي، فإن في الآية أسلوب حكيم، وهو العدول عن الجواب، وكانت وظيفته الجمالية هنا الإظهار والتنبيه.

**2- الاهتمام:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[4]، وقال البيضاوي: "سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم، فإن اعتداد النّفقة باعتباره، ولأنه كان في سؤال عمرو وإن لم يكن مذكوراً في الآية، واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما أنفقتم من خير"[5]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية أسلوب حكيم، وهذا بقوله كان سؤالهم عما ينفقونه، فأجيبوا بمصارف الإنفاق.

وقد وضّح هذا الكلام من قبل الزمخشري بقوله: "فإن قلت: كيف طابق الجواب السؤال في قوله: (قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ)، وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف؟ قلت: قد تضمن قوله: (ما أنفقتم منْ خيْر) بيان ما ينفقونه وهو كل خير، وبنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأنّ النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها"[6].

[1]- مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص581.
[2]- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5 ص72.
[3]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص245، فتح القدير، الشوكاني، ج2 ص250.
[4]- سورة البقرة الآية215.
[5]- تفسير البيضاوي، ج1 ص136.
[6]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص257.

وذكر العلامة الطاهر بن عاشور أن هذه الآية ليست من أسلوب الحكيم، إذ قال: "ببيان مصارف الإنفاق الحقّ وعرف هذا الجنس بمعرفة أفراده، فليس في هذا الجواب ارتكاب الأسلوب الحكيم كما قيل، إذ لا يعقل أن يسألوا عن المال المنفق بمعنى السّؤال عن النّوع الّذي ينفق من ذهب أم من ورق أم من طعام، لأنّ هذا لا تتعلّق بالسّؤال عنه أغراض العقلاء، إذ هم يعلمون أنّ المقصد من الإنفاق إيصال النّفع للمنفق عليه، فيتعيّن أنّ السّؤال عن كيفيّات الإنفاق ومواقعه، ولا يريبكم في هذا أنّ السّؤال هنا وقع ب(ما) وهي يسأل بها عن الجنس لا عن العوارض، فإنّ ذلك اصطلاح منطقيّ لتقريب ما ترجموه من تقسيمات مبنيّة على اللّغة اليونانيّة وأخذ به السّكّاكيّ، لأنّه يحفل باصطلاح أهل المنطق وذلك لا يشهد له الاستعمال العربيّ"[1]، وعليه فإن الطاهر بن عاشور قد خالف جمهور المفسرين، ورغم هذا الاختلاف بين المفسرين والطاهر بن عاشور في أسلوب هذه الآية، إلا أن الإمام البيضاوي قد مال إلى هذا الأسلوب، وبين أن في الآية أسلوب الحكيم، وهو الإجابة عن بيان المصرف بدل الإنفاق. والحجة في ذلك أن الوجه البلاغي في هذه الأداة هو الإشعار والاهتمام.

وخلاصة القول إن أسلوب الحكيم هو الرد على المتكلم بغير ما يتوقع، ولكنه بهذا يكون قد أجابه بطريقة غير مباشرة، وهذا ما يعزز وظيفة هذه الأداة التي فيها الطرافة والإبداع.

### عاشرا: التقسيم:

**–لغة:** قال ابن فارس: "القاف والسّين والميم أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على جمال وحسْن والآخر على تجزئة شيء"[2]، أي: قسمت الشيء إذا جزأته.

**–اصطلاحا:** يعرفه أبو هلال العسكري بقوله: "هو أن تقسم الكلام قسمة مستوية، تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه"[3]، وعرفه ابن الأثير بقوله: "وإنما نريد بالتقسيم ههنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسم واحد، وإذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه، ولم يشارك غيره، فتارة يكون التقسيم بلفظة إما، وتارة بلفظة بين،

---

[1]– التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج2 ص317.

[2]– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج5 ص86.

[3]– الصناعتين، أبو الهلال العسكري، ص375.

كقولنا: بين كذا وكذا، وتارة بلفظة منهم، كقولنا: منهم كذا ومنهم كذا، وتارة بأن يذكر العدد المراد أولًا بالذكر، ثم يقسم، كقولنا: فانشعب القوم شعبا أربعا، فشعبة ذهبت يمينا، وشعبة ذهبت شمالا وشعبة وقفت بمكانها، وشعبة رجعت إلى ورائها"[1]، هذا في التقسيم عموما، أما في التقسيم المفرد فيقول الرازي: "وأما التقسيم المفرد فهو أن تذكر قسمة ذات جزءين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من الأقسام ما يليق به"[2].

وأطلق عليه ابن أبي الإصبع اسم (صحة الأقسام) قائلا: "صحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئاً، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً**﴾[3]، وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين"[4].

والتعريف المتفق عليه عند البلاغيين، هو ما ذكره القزويني بقوله: "هو ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل من أفراد هذا المتعدد إليه على جهة التعيين"[5]، وهو يشبه اللف والنشر، ولكنه يفترق عنه في أن التقسيم يكون بالتعيين، أما اللفّ والنشر فيكون بلا تعيين، ويعتمد فيه على ذكاء المخاطب وفطنته.

**أنواع التقسيم:** يمكن تفريع التقسيم إلى نوعين أساسيين:

**الأول:** أن تذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل واحد منها ما يليق به.

**الثاني:** أن تستوفى أقسام الشيء بالذكر، وهو النوع الكثير في الكلام.

---

[1]- المثل السائر، ابن الأثير، ج3 ص166.

[2]- نهاية الإجاز، فخر الدين الرازي، ص149

[3]- سورة الرعد الآية12.

[4]- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ص173.

[5]- تلخيص المفتاح، القزويني، ص183.

-الوظائف البلاغية:

وأمثلة هذه الأداة في القرآن الكريم موجودة، سنورد بعضا منها وهو ما ذكره البيضاوي في تفسيره وبين وظائفه الجمالية على النحو الآتي:

## 1- التخصيص:

وهي الوظيفة التي يقوم فيها المتكلم بتخصيص شيء دون غيره لاحتمال قيام آخر به، ويكون النوع البديعي وسيلته للتخصيص، كقوله تعالى: ﴿**فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُون وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض، وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشى العين إذا نقص نورها، والظهيرة التي هي وسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر"[2]، ويشير البيضاوي أن في هاتين الآيتين أداة حسن التقسيم قصد به تخصيص وتحديد أوقات الصلاة.

وهذا ما صرح به جماعة من أهل التفسير في كتبهم، فمن ذلك الزمخشري إذ قال: "وقيل لابن عباس رضى الله عنهما: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية: (حِينَ تُمْسُونَ) صلاتا المغرب والعشاء و(تُصْبِحُونَ) صلاة الفجر وَ(عَشِيًّا) صلاة العصر. و(تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر"[3]. وكذلك ذكر نحوه الرازي، والنسفي، وأبو حيان، وصاحب تفسير السراج المنير[4].

نستنتج من أقوال المفسرين أن في الآيات الكريمة حسن التقسيم ووظيفته البلاغية التخصيص.

---

[1]- سورة الروم الآيتان17، 18.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص203.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص472.

[4]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج25 ص86، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص694، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج8 ص380، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج3 ص160.

## 2- تعميم البشارة:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "فعبر عنه بالماضي لتحققه، أو أورثناه من الأمم السالفة، والعطف على (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ)، (وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) اعتراض لبيان كيفية التوريث. (الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا) يعني: علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم، أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ بالتقصير في العمل به. وَمِنهُمْ مُقْتَصِدٌ يعمل به في غالب الأوقات. (وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) بضم التعليم والإرشاد إلى العمل، وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم"[2]، ويشير البيضاوي أنّ في هذه الآية قسمة صحيحة، لأنها لا تخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة، إما عاص ظالم لنفسه، وإما مطيع مبادر إلى الخيرات وإما مقتصد بينهما.

وقد وضّح هذا الغرض الزمخشري من قبل إذ قال: "ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله، ومقتصد: هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا، وسابق من السابقين"[3]، ويرى الرازي في ذكر هذه الأسماء الثّلاثة أنّ المخاطبين في القرآن ثلاثة أصناف، فقال: "الظّالم المصرّ على المعصية، والمقتصد هو النّادم والتّائب، والسّابق هو مقبول التوبة"[4]، وقال القاسمي: "ثم بيّن انقسامهم في العمل به إلى ثلاثة، بقوله تعالى: (فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ) أي بالإثم والعصيان (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) أي: في العمل، ليس من المجرمين ولا من السابقين، (وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)"[5].

---

[1]- سورة فاطر الآية32.

[2]- تفسير البيضاوي، ج4 ص259.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص612.

[4]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج26 ص238.

[5]- محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، ج8 ص198.

وذكر هذا الوجه العلامة ابن عاشور حيث قال: "وفي ذكر الخيرات في القسم الآخر دلالة على أنّها مرادة في القسمين الأوّلين فيؤوّل إلى معنى ظالم لنفسه في الخيرات ومقتصد في الخيرات أيضا"[1].

والملاحظ في هذه الآية الكريمة؛ ومن خلال شرح المفسرين لها، أن هناك اتفاق بين المفسرين في تقسم هذه الآية إلى ثلاثة أقسام.

والسّمة البلاغية التي أداها هذا التقسيم هو البشارة، لأن هذه البشارة أهمّ عند النّبي صلّى الله عليه وسلّم من الإخبار بأنّ القرآن حقّ مصدّق لما بين يديه، ولأنّ هذه البشارة لم تكن معلومة عنده فوقعها أهمّ.

## 3- التجدد والاختيار والاستمرار:

ومنه قوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء. (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) من غير لزوم ومجال اعتراض. (يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً) بدل (من يَخْلُقُ) بدل البعض، والمعنى: يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض إما صنفاً واحداً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى أو الصنفين جميعاً ويعقم آخرين، ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الإنسان والإناث كذلك، أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهن"[3]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية تقسيم على حسب النعمة والبلية، لأن أحوال العباد في أبنائهم أربعة أصناف مختلفة على مقتضى المشيئة وهي:

**القسم الأول**: يهب لمن يشاء إناثا.

**القسم الثاني**: يهب لمن يشاء ذكورا.

---

1- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج22 ص310.

2- سورة الشورى الآيتان49، 50.

3- تفسير البيضاوي، ج5 ص84.

**القسم الثالث:** ذكورا وإناثا.

**القسم الرابع:** يجعل من يشاء عقيما.

فهذه هي الأربعة أقسام لا خامس لها.

وفي ذلك يقول الزمخشري: "أنّ له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور، وبعضا بالصنفين جميعا، ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط"[1]، وقد ذكر الرازي هذا الرأي عند تفسيره لهذه الآية فقال: "ثمّ ذكر من أقسام تصرّف اللّه في العالم أنّه يخصّ البعض بالأولاد الإناث والبعض بالذّكور والبعض بهما والبعض بأن يجعله محروما من الكلّ، وهو المراد من قوله: (وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً)"[2]، وتبعه في رأيه هذا، النسفي، وصاحب تفسير السراج المنير، وأبو السعود[3]، بأن في الآية محسن بديعي وهو التقسيم، والغرض من هذا التقسيم هو الاختيار والتجدّد.

ومن خلال ما سبق يتضح من أقوال المفسرين أن في الآية وظيفة بلاغية وهي التجدد والاختيار.

## 4- الإثبات والدليل والتأييد:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[4]، يقول البيضاوي: "حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب، ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً...(لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بيْنَ ذلِكَ) وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين لا ننتقل من مكان إلى مكان، ولا

---

[1]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص232.

[2]- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج27 ص609.

[3]- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج3 ص261، السراج المنير، الخطيب الشربيني، ج3 ص551، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج8 ص36.

[4]- سورة مريم الآية64.

نتزل في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته"[1]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يوضح هذا التقسيم في هذه الآية الكريمة، حيث بين أقسام الأزمنة الثلاثة:

- ما بين أيدينا (الحاضر).
- وما خلفنا (الماضي).
- وما بين ذلك (المستقبل).

وقد وضّح الرازي هذه الصورة فقال: "هو المدبّر لنا في كلّ الأوقات الماضي والمستقبل وما بينهما أو الدّنيا والآخرة وما بينهما فإنّه يعلم إصلاح التّدبير مستقبلا وماضيا وما بينهما والغرض أنّ أمرنا موكول إلى اللّه تعالى يتصرّف فينا بحسب مشيئته وإرادته وحكمته لا اعتراض لأحد عليه فيه"[2]، وبهذا نستنتج ونقول إنّ البيضاوي قد استعان بهذه الأداة في تفسيره لبعض الآيات بغية إقناع السامع والتأثير فيه، والوجه البلاغي هنا الاستبطاء.

## حادي عشر: الاستطراد:

**ماهية الاستطراد:** هو نوع من علم البلاغة دقيق المجرى، غزير الفوائد، يستعمله الفصحاء، ويعول عليه أكثر البلغاء، وهو قريب من الاعتراض، خلا أن الاعتراض منه ما يقبح، ويحسن، ويتوسط، بخلاف الاستطراد فإنه حسن كله.

**–لغة:** قال ابن فارس: "الطّاء والرّاء والدّال أصل واحد صحيح يدلّ على إبعاد، واطّرد الشّيء اطّرادا، إذا تابع بعضه بعضا، واطّرد الأمر: استقام"[3]، وقال ابن منظور: "اطرد الشيء: تبع بعضه بعضا وجرى. واطرد الأمر: استقام. واطردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضا. واطرد الكلام إذا تتابع. واطرد الماء إذا تتابع سيلانه"[4]، ويفهم من التعريف اللغوي أن الاطراد هو التتابع في اتساق وانتظام.

---

1- تفسير البيضاوي، ج4 ص15.

2- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج21 ص554.

3- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج3 ص455.

4- لسان العرب، ابن منظور، ج3 ص268.

**-اصطلاحا:** عرفه أبو الهلال العسكري فقال: "أن يأخذ المتكلم في معنى، فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سببا إليه"[1]، وقال ابن رشيق: "وهو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً"[2]. أمّا العلوي فقال: "أن يشرع المتكلم في شيء من فنون الكلام، ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره، ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل، فإن تمادى فهو الخروج، وإن عاد فهو الاستطراد"[3].

وذكره ابن أبي الإصبع بقوله: "هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحاً أو قدحاً أو وصفاً أو غير ذلك"[4].
أما القزويني فقال: "هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني"[5]، ومفاد ذلك أن الانتقال ليس من أجل التوصل إلى المعنى الآخر.

نستنتج من هذه الأقوال السابقة أن الاستطراد هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لمناسبة، ثم الرجوع إلى المعنى الأول. وبهذا يتضح الفرق بينه وبين حسن التخلص، فالاستطراد يعاد فيه ثانية إلى المعنى الذي انتقل عنه، أما التخلص فهو انتقال بلا عودة كما أن الاستطراد يكون الانتقال فيه مفاجئا للمخاطب، أما الانتقال في التخلص فلا مفاجئة فيه، لأن المخاطب يترقبه وينتظره.

**الوظائف البلاغية:**

لقد ذكر البيضاوي هذا الفن في تفسيره وبين وظائفه الجمالية والبلاغية، ومن أمثلة ذلك:

**1- المبالغة:**

ومنه قوله تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ**

---

1- الصناعتين، أبو الهلال العسكري، ص414.
2- العمدة، ابن رشيق، ج2 ص39.
3- الطراز، العلوي، ج3 ص8.
4- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع، ص131.
5- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص349.

**الْفاسِقُونَ﴾**[1]، والشاهد في قوله: (وَأَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ)، يقول البيضاوي: "المتمردون في الكفر، وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد"[2]. وقد أورد هذا الكلام الزمخشري من قبل حيث قال: "فإن قلت: ما موقع الجملتين أعنى: (مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) و(لَنْ يَضُرُّوكُمْ) ؟ قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإنّ من شأنه كيت وكيت، ولذلك جاءا من غير عاطف"[3]ن ولم يخرج عن هذا الكلام الرازي[4]، وأشار إلى هذا الغرض أيضا الشوكاني بقوله: "الخارجون عن طريق الحقّ، المتمرّدون في باطلهم، المكذبون لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولما جاء به، فيكون هذا التّفصيل على هذا كلاما مستأنفا، جوابا عن سؤال مقدّر، كأنّه قيل: هل منهم من آمن فاستحقّ ما وعده اللّه؟ قوله: لن يضرّوكم إلّا أذى"[5].

من خلال ما سبق يتضح أن في الآية الكريمة استطراد، ووظيفته البلاغية هنا المبالغة في الإخبار.

## 2- النهي:

ومثاله قوله تعالى: **﴿فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾**[6]، والشاهد قوله: (وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ)، يقول البيضاوي: "نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الإنزال على سبيل الاستطراد"[7]، والملاحظ هنا أن

---

[1]- سورة آل عمران الآية110.
[2]- تفسير البيضاوي، ج2 ص33.
[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج1 ص402
[4]- يراجع مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج8 ص326.
[5]- فتح القدير، الشوكاني، ج1 ص425.
[6]- سورة طه الآية114.
[7]- تفسير البيضاوي، ج4 ص40.

البيضاوي ينقل هذا الكلام نقلا تاما عن الزمخشري مع تغيير بعض الألفاظ، وتبعه النسفي، وأبو السعود[1].

والذي توصلنا إليه بعد الوقوف على شرح هؤلاء المفسرين هو أن في الآية استطراد ووظيفته النهي، حيث أنه سبحانه لما بيّن للعباد عظيم نعمته عليهم، بإنزال القرآن، نزه نفسه عن مماثلة مخلوقاته في شيء من الأشياء؛ أي: جلّ الله عن إلحاد الملحدين، وعما يقول المشركون في صفاته، فإنه الملك الذي بيده الثواب والعقاب، وإنه الحق؛ أي: ذو الحق، ولا يخفى ما في هذا من طلب الإقبال على دراسة القرآن، وبيان أن قواعده وزواجره سياسات إلهية، فيها صلاح الدارين، لا يحيد عنها إلا من خذله الله، وأن ما تضمنه من الوعد والوعيد حق كله.

### 3- الحث:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[2]، والشاهد قوله تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً)، قال البيضاوي أي: "بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين، وتحري الحاجات حثاً على تحري الأفضل منها بعد الحث على الإنفاق، وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه"[3]، ويشير البيضاوي أن سياق الآية يتحدث عن الإنفاق في سبيل الله، ثم ذكر القتال استطرادا، ثم عاد لذكر الإنفاق والحث عليه من جديد، وكانت وظيفته البلاغية هنا أيضا الترغيب والحث على الإنفاق.

---

[1]- يراجع الكشّاف، الزمخشري، ج3 ص90، مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج2 ص385، إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج6 ص44.

[2]- سورة الحديد الآية10.

[3]- تفسير البيضاوي، ج5 ص186.

## 4- التنبيه:

ومثاله قوله تعالى: ﴿**يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[1]، يقول البيضاوي: "إنزال اللباس. من آياتِ اللَّه الدالة على فضله ورحمته"[2]، ويفهم من كلام البيضاوي أن في الآية: (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) استطراد قصد به التنبيه على أن التقوى أهم من اللباس الذي يستر العورة. وهذا ما أشار إليه الزمخشري بقوله: "هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى"[3]، وتبعهما النسفي، وأبو حيان[4].

وخلاصة القول أنّ البلاغة الوظيفية للاستطراد يحققها عنصر المفاجأة أو المباغتة، فبينما المخاطب مشغول بالمعنى المسوق له الكلام؛ إذ بالمتكلم يفاجئه بالمعنى الآخر الذي يستطرد إليه، كما تكمن الوظيفة الجمالية للاستطراد أيضا إلى دفع الملل أو السأم عن السامع وخاصة عندما يطول الكلام في بيان الغرض المقصود منه.

---

1- سورة الاعراف الآية26.

2- تفسير البيضاوي، ج3 ص9.

3- الكشّاف، الزمخشري، ج2 ص97.

4- يراجع مدارك التنزيل، أبو البركات النسفي، ج1 ص562، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج5 ص29.

## المبحث الثاني: المحسنات اللفظية ووظائفها في تفسير البيضاوي

**-مفهوم المحسنات اللفظية:** وهي أداة من أدوات علم البديع، حيث هي "الراجعة إلى تحسين اللّفظ أولا وبالذات، وإن كان بعضها يفيد تحسين المعنى"[1]، والوظيفة الأساسية فيها هي الزخرفة اللفظية قد تفيد أحيانا المعنى، لأنها تتعلق بتحسين اللفظ، وعلامتها أنه لو غير اللفظ إلى ما يرادفه انتفى الحسن وزال، مثل الجناس، والسجع، ورد العجز على الصدر، والاتزان...وغير ذلك، وهي في كتب البلاغة أقل بكثير من المحسنات المعنوية.

وقد ذكر هذا صاحب المعجم المفصل في اللغة بقوله: "وهي وجوه تحسين الكلام من ناحية اللفظ كالجناس والسجع والموازنة والتشريع والاقتباس ولزوم ما يلزم ورد العجز على الصدر وغيرها"[2].

**أنواع المحسنات اللفظية ووظائفها في تفسير البيضاوي:**

عند استقرائنا لتفسير البيضاوي لم نجد من هذه الأدوات إلا السجع، الذي سماه البيضاوي بالفواصل.

**-السجع:**

**-ماهية السجع:** يعد السجع أبرز المحسنات اللفظية وأكثرها نيلا لعناية البلاغيين قديما وحديثا، وقد ظهرت هذه العناية وتجلت في كثرة المؤلفات التي حرصت على دراسته، وإلقاء الضوء على أقسامه المختلفة، وإبراز وظيفته الفنية والجمالية، وأثره في التعبير الأدبي.

كما يعد في ذات الوقت من أكثر هذه المحسنات إثارة للجدل واستحواذا على اهتمام الباحثين والدارسين قديما وحديثا، وقد توزعت آراء هؤلاء الباحثين بين إقراره وإنكاره، وإطلاقه وتقييده.

---

[1]- خلاصة المعاني، حسن بن عثمان، تحقيق عبد القادر حسين، الناشرون العرب1989م، ص404.

[2]- المعجم المفصل في اللغة والأدب (نحو، صرف، بلاغة، إملاء)، إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، دار العلم للملايين ط1987/1م، ص1124.

وقد تعددت مسمّيات هذا اللّون البلاغي على ألسنة علماء البلاغة، ومن أبرز هذه المسمّيات: السجع والتسجيع.

**-السجع في اللغة:** يرى ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن الثلاثي (سَجَعَ): "السّين والجيم والعين: أصل يدلّ على صوت متوازن، من ذلك السّجع في الكلام، وهو أن يؤتى به وله فواصل كقوافي الشّعر، كقولهم: من قلَّ ذلَّ، ومن أَمرَ فلَّ ، وكقولِهم: لَا ماءكِ أَبقَيتِ، ولَا دَرَنَكِ أَنقَيتِ. ويقالُ سَجَعَتِ الحمامة، إِذا هدرَت"[1]. وجاء في لسان العرب: "سجع يسجع سجعا: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا، والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع؛ وكلام مسجع. وسجع يسجع سجعا وسجع تسجيعا: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجاعة وهو من الاستواء والاستقامة والاشتباه كأن كل كلمة تشبه صاحبتها"[2].

وبناء على هذه الأقوال فإن مادة (سجع) تدل على الاستواء والاستقامة والمشابهة، أو الفواصل.

**-السجع في الاصطلاح:** وسمّى الرماني السجع بالفواصل حيث قال: "والفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها. وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة، إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة"[3]، وقد وضّح الرماني الوظيفة البلاغية للفواصل فقال: "وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها ، وإنما أخذ السجع في الكلام من سجع الحمامة. وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة ، كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة ، فإذا كان المعنى لما ستكلف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه لم يعتد به ، فصار بمنزلة ما ليس فيه إلا الأصوات المشاكلة"[4].

---

[1]- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج3 ص135.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، ج8 ص150.

[3]- النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص97.

[4]- يراجع النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص97.

أمّا أبو الهلال العسكري فلم يفرق بين السجع والفواصل حيث قال: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلا عما تزاوج في الفواصل منه"[1]، وعرفه الخفاجي بقوله: "السجع محمود إذا وقع سهلا مثيرا بلا كلفة ولا مشقة وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه"[2]. وقال العلوي: "الكلام المسجع أفصح وأبلغ من غير المسجع، فإتيان ما ليس مسجوعا في القرآن يؤذن مع كونه غير مسجوع أنه في غاية الإعجاز مع عدم السجع وفى هذه دلالة على إعجازه من كل الوجوه، وقد ورد فيه التسجيع في الطويل، والقصير، والمتوسط"[3]، وزاد القزويني: "وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[4].

ومن خلال ما سبق نجد أن السجع موجود في القرآن الكريم مع الأخذ بعين الاعتبار أن من السمات الفاصلة بين السجع في النثر والفاصلة في القرآن هو أن الأخيرة تركز على المعنى والتناغم والعلاقة بمضمون الآية.

**وظائف السجع:** نبه البلاغيون على أن السجع لا يحقق وظائفه البلاغية إلا إذا كانت مفرداته فصيحة خفيفة على الأسماع، وألا تأتي على الأسماع، وألا تأتي على حساب المعاني، بل تكون تابعة لها، وأن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى جديد، كما اشترطوا في السجع أن يكون بعيدا عن التكلف، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: "لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، وتجد عنه حولا"[5].

---

[1] - الصناعتين، أبو الهلال العسكري، ص260.

[2] - سر الفصاحة، ابن الخفاجي، ص171.

[3] - الطراز، العلوي، ج3 ص17.

[4] - الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص362.

[5] - أسرار البلاغة، الجرجاني، ص11.

ووظيفته البلاغية أنه يكسب الكلام حسنا وجمالا، ويمنحه الفصاحة والبيان، وبواسطته يصبح النثر مشابها للشعر، من حيث حلاوة الإيقاع، وعذوبة الموسيقى، وسلاسة المخارج والمقاطع.

وقد أشار البلاغيون إلى بلاغته في الكلام، واختلفوا في وقوعه في القرآن، كما ذمه بعضهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ذمّ سجع الكهان حينما أنكر على بعضهم استعمال السجع في كلامه، فقال صلى الله عليه وسلم: "أسجعا كسجع الكهان؟"[1]، وقال ابن الأثير: "لو كره النبي –صلى الله عليه وسلم– السجع مطلقا لقال: (أسجعا؟)، ثم سكت، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل لم كان، فلمّا قال: "أسجعًا كسجع الكهان" صار المعنى معلقًا على أمر، وهو إنكار الفعل لم كان على هذا الوجه، فعلم أنه إنما ذمّ من السجع ما كان مثل سجع الكهان، لا غير، وأنه لم يذمّ السجع على الإطلاق، وقد ورد في القرآن الكريم، وهو –صلى الله عليه وسلم– قد نطق به في كثير من كلامه، حتى إنه غيَّر الكلمة عن وجهها اتباعًا لها بأخواتها من أجل السجع"[2]. ويرى أكثر البلاغيين وقوع السجع في القرآن الكريم، وأطلقوا عليه بالفواصل، وهي ذلك اللفظ التي ختمت به الآية[3]، لتمييز أسلوب القرآن عن غيره من أساليب البشر.

وقال الزركشي: "السّجع هو الّذي يقصد في نفسه ثمّ يحيل المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة فينفسها"[4]، وقال أيضا: "اعلم أنّ من المواضع الّتي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشّيء فيها بما يشاكله فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أوّلا وإلّا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك لكنّ منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتّأمّل للّبيب"[5].

---

[1]– الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج2 ص263.

[2]– المثل السائر، ابن الأثير، ج1 ص211.

[3]– إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، سناء عباس، ص225.

[4]– البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1 ص54.

[5]– المصدر نفسه، ج1 ص78.

يتضح مما سبق أن السجع موجود في القرآن الكريم مع الأخذ بعين الاعتبار أن من السمات الفاصلة بين السجع في النثر والفاصلة في القرآن، حيث إن السجع لا يكون إلا في جملتين أو أكثر، فإذا توافقت كلمتان في جملة واحدة فلا يسمى سجعا. أما الفاصلة فترتكز على المعنى والتناغم والعلاقة بمضمون الآية.

## -أنواع السجع:

**1- السجع المطرّف:** وهو "أن الفاصلتان إن اختلفتا في الوزن فهو السجع المطرّف"[1]، أي: اتفاق الفاصلتين في حروف السجع، واختلافهما في الصيغة الصرفية. أو هو ما اتفقت أعجاز فواصله في نوع الحروف فقط، واختلفت في عددها ووزنها[2]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾[3].

ولعل أبرز ما يلاحظ في الآيات الكريمة أنها اشتملت على فواصل مختلفة في الوزن ولكنها متفقة في الحرف الأخير.

**2- المتوازي:** وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية مع اختلاف ما عداهما في[4]:

- الوزن والتقفية.
- في الوزن فقط.
- في التقفية فقط.

قال القزويني: "فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ، أو أكثر ما فيها، مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية، فهو الترصيع، وإلا فهو السجع المتوازي"[5]، ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**﴾[6].

فالفواصل الثلاث: فجر وعشر ووتر ويسر متفقة في الوزن دون باقي ألفاظ القرينتين.

---

[1]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص296.

[2]- البلاغة العربية -علم البديع، بكري الشيخ، ص128.

[3]- سورة عبس الآيات1، 2، 3.

[4]- يراجع المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص646، البلاغة العربية -علم البديع، بكري الشيخ، ص128.

[5]- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص425.

[6]- سورة الفجر الآيات1، 2، 3.

وأيضا قوله تعالى: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ**﴾[1].فبين (مرفوعة) و(موضوعة) سجع متواز؛ وذلك لاتفاق الكلمتين في الوزن والحرف الأخير.

**3- المرصع:** وهو ما اتفقت فيه ألفاظ القرينتين أو أكثرهما في الوزن والتقفية[2]، أو "هو الذي تقابل فيه كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها"[3]. أي: تقابل كل لفظة بلفظة تتفق معها وزنا ورويا.

ومثاله أيضا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾[4]، والشاهد قوله تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) و(إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)، سجع مرصع، لأن جميع الألفاظ في الجملتين على وزن صرفي واحد، وعلى حرف واحد في آخرها، وهو (الميم).

**- وظائف السجع البلاغية في تفسير البيضاوي:** لم نقف عند تفحصنا تفسير البيضاوي على ما يدل على السجع، وإنما كان يشير إلى الفاصلة القرآنية وإلى الدقة في أداء المفردات المنسجمة، حرصا منه على قدسية القرآن وتنزيهه، وأن لا يلحقه أي قياس يجري على الشعر والنثر البشري.

والهدف الذي أراده الإمام البيضاوي هو إبلاغ الناس المعنى المقصود، وإبراز الوظيفة البلاغية والسر الكامن في القرآن الكريم، ومن الوظائف التي تناولها البيضاوي في تفسيره لبعض الآيات الكريمة ما يلي:

1- **إيهام التخصيص:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**﴾[5]، والشاهد في قوله تعالى: (وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)، يقول البيضاوي: "حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام، أو حرموا ما أحل الله لهم، وتقديم

---

[1]- سورة الغاشية الآيات13، 14.

[2]- يراجع المفصل في علوم البلاغة، عيسى العاكوب، ص646، البلاغة العربية –علم البديع، بكري الشيخ، ص128.

[3]- علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، ص107.

[4]- سورة الانفطار الآيتان13، 14.

[5]- سورة النحل الآية72.

الصلة على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة، أو للمحافظة على الفواصل"[1]، وتبعه في الرأي أبو السعود[2].

**2- المبالغة:**

ومثاله قوله تعالى: ﴿**قالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ**﴾[3]، والشاهد قوله تعالى: (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ)، يقول البيضاوي: "والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل"[4]، وأومأ إلى هذا القول أيضا صاحب السراج المنير، فقال: "والتغيير من الجملة الفعلية إلى الاسمية للمبالغة"[5]، فالجملة الاسمية أبلغ من: (أم كذبت فيه) وهذا لمراعاة الفواصل.

يفهم من كلام المفسرين أن في الآية مراعاة للفاصلة، ووظيفتها البلاغية المبالغة، ومن أمثلة هذه الوظيفة التي ذكرها البيضاوي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾[6]، أي: "فلا يضيع أجورهم ولا يدع صلاحهم، ولعله قدم الرؤوف وهو أبلغ محافظة على الفواصل"[7]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾[8]، والشاهد قوله تعالى: (**رَؤُفٌ رَحِيمٌ**)، يقول البيضاوي: "قدم الأبلغ منهما وهو (الرؤوف) لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل"[9].

---

[1]- تفسير البيضاوي، ج3 ص234.

[2]- يراجع إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج5 ص128.

[3]- سورة النمل الآية27.

[4]- تفسير البيضاوي، ج4 ص159.

[5]- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، هبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق ط1418/2هـ، ج19 ص282.

[6]- سورة البقرة الآية143.

[7]- تفسير البيضاوي، ج1 ص111.

[8]- سورة التوبة الآية128.

[9]- تفسير البيضاوي، ج3 ص103.

**3- الإشعار:**

ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[1]، يقول البيضاوي: "ولعله لم يقل كافراً ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل، وإشعاراً بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالباً وإنما المؤاخذ به التوغل فيه"[2]. ويوضح صاحب تفسير روح البيان فيقول: "يعتبر ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي ويجعل كل واحد من مدخولي اما قيد اله فيحصل بالتقييد بكل منهما قسم منه أي: مقسوما إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل، أي: رؤوس الآي والاشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما وإنما المؤاخذ عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم"[3].

وأشار إلى هذا الغرض أيضا الألوسي فقال: "إمّا شاكرا فمثاب وإمّا كفورا فمعاقب وإيراد الكفور بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل والإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما، وإنما المؤاخذ عليه الكفر المفرط"[4].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه الآية، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، فإن في الآية الكريمة مراعاة الفواصل، والوظيفة البلاغية هنا الإشعار والمبالغة.

ومن أمثلة هذه الوظيفة أيضا قوله تعالى: ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾[5]، يقول البيضاوي: "وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي"[6].

---

[1]- سورة الإنسان الآية3.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص269.

[3]- روح البيان، إسماعيل حقي، ج10 ص261.

[4]- روح المعاني، الألوسي، ج15 ص169.

[5]- سورة النحل الآية5.

[6]- تفسير البيضاوي، ج3 ص220.

### 4- الإيجاز والاختصار:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[1]، يقول البيضاوي: "وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل"[2]، ويشير البيضاوي في هذه الآية أن حذف الكاف من قلاك، لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل.

وقد أشار إلى هذا الغرض أبو حيان، إذ قال: "وحذف المفعول اختصارا في قلى، وفي فآوى وفي فهدى، وفي فأغنى، إذ يعلم أنّه ضمير المخاطب، وهو الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ"[3]، وقال أبو السعود: "وما أبغضك وحذف المفعول إما للاستغناء عنه بذكرِه من قبل أو للقصد إلى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أنَّ فيه مراعاة للفواصل"[4]، وكذلك ذكر نحوه الشوكاني إذ قال: "وما قلى، ولم يقل وما قلاك لموافقة رؤوس الآي"[5]، وتبعهم الألوسي، ووهبة الزحيلي[6].

والملاحظ في هذه الآيات الكريمة؛ ومن خلال شرح المفسرين لها، والذي فهمناه أن الحذف وظيفته هنا مراعاة الفواصل.

### 5- التنبيه وإثارة الاهتمام:

والمقصود هنا إيقاظ السامع أو المتلقي وجلب اهتمامه للاستفسار عن الغرض، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[7]، يقول البيضاوي: "وإنما جيء ب (يَقْتُلُونَ) موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها واستفظاعاً للقتل وتنبيهاً على أن ذلك من ديدنهم ماضياً ومستقبلاً ومحافظة على رؤوس الآي"[8]، ويوضح ذلك أبو السعود فيقول: "وإنما أُوثر عليه

---

1- سورة الضحى الآيات1، 2، 3.

2- تفسير البيضاوي، ج5 ص319.

3- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج10 ص496.

4- إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج9 ص169.

5- فتح القدير، الشوكاني، ج5 ص556.

6- يراجع روح المعاني، الألوسي، ج15 ص375، التفسير المنير، الزحيلي، ج30 ص281.

7- سورة المائدة الآية70.

8- تفسير البيضاوي، ج2 ص137.

صيغة المضارعِ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على أن ذلك دَيْدنُهم المستمرُّ وللمحافظة على رءوس الآي الكريمة وتقديم (فريقاً) في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع إلى ما فعلوا به"[1]، يفهم من كلام المفسيرين وخاصة البيضاوي؛ أن في الآية فاصلة قرآنية وظيفتها البلاغية التنبيه وتشويق السامع.

ومن أمثلة هذه الوظيفة أيضا قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[2]، يقول البيضاوي: "والظاهر من هذا الإنفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل، وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤوس الآي"[3]، وإذا حللنا كلام البيضاوي نجده يبين لنا أن في الآية تقديم المفعول العائد وهو المحذوف (إياه) ووظيفة التقديم للمحافظة على رؤوس الآي.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ**﴾[4]، قال البضاوي أي: "بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر، وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله: (الْجَوارِ الْكُنَّسِ) أي: السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش إذا دخل كناسه، وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر. (وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ) أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر. وَ(الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ) أي: أضاء غبرته عند إقبال روح ونسيم"[5]، وإذا حللنا كلام البيضاوي وجدناه يوضح وظيفة بلاغية مهمة في هذه الآيات الكريمة وهي: الجرس الموسيقي المنبعث من السجع ومن المعاني المتناسبة الذي يضفي جمالا على النص القرآني.

ولعلّ أن مِثل هذا البناء الفني يدفع إلى التأمل، وينبه المتلقي إلى البحث عن المعاني الجليلة وراءه، لأن فيه إثارة تدفع إلى الملاحقة كفعل الجمال في كل نفس، وفي ذلك يكمن الغرض البلاغي وهو الاهتمام.

---

[1] - إرشاد العقل السليم، أبو السعود العمادي، ج3 ص63.

[2] - سورة البقرة الآية3.

[3] - تفسير البيضاوي، ج1 ص39.

[4] - سورة التكوير الآيات15، 16، 17، 18.

[5] - تفسير البيضاوي، ج5 ص290.

## 6- التعليم:

والمقصود بهذه الوظيفة أن الله تعالى يجعل السياق اللفظي في ثوبه البديعي لغرض وضع تعليمات محددة، ومفهومات معينة، يريد أن تكون قواعد ثابتة، وحقائق راسخة، وأصولا يعتمد عليها كقوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾[1]، يقول البيضاوي في هذه الآية الكريمة: "أنه يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للألوهية"[2]، وقد بين هذا الغرض الزمخشري أيضا حينما تساءل عن هذه السورة الكريمة فقال: "فقوله (هُوَ اللَّهُ) إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء وفاطرها، وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم، لأن الخلق يستدعى القدرة والعلم، لكونه واقعا على غاية إحكام واتساق وانتظام. وفي ذلك وصفه بأنه حي سميع بصير. وقوله (أَحَدٌ) وصف بالوحدانية ونفى الشركاء. وقوله (الصَّمَدُ) وصف بأنه ليس إلا محتاجا إليه، وإذا لم يكن إلا محتاجا إليه: فهو غنى. وفي كونه غنيا مع كونه عالما: أنه عدل غير فاعل للقبائح، لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه"[3]، وقد ذكر هذا صاحب تفسير حدائق الروح والريحان عند تفسيره لهذه السورة الكريمة فقال: "تأخير اسم كان عن خبرها في قوله: (كُفُوًا أَحَدٌ)؛ لمراعاة الفواصل"[4].

وبناء على ما تقدم من شرح لهذه السورة الكريمة، وعلى ما أشار إليه البيضاوي، أن الجرس الموسيقي، والإطار الأخاذ لهذه السورة، والمنبعث من السجع وتنسيق الصفات، غرضها جميعا تعليمنا حقيقة ثابتة وهي وحدانية الله التي لا شريك له فيها.

وخلاصة القول إن الفاصلة أعم من السجع، لأن إيثار التعبير بالفواصل القرآنية فيه خروج من هذا الخلاف الشكلي حول إطلاق كلمة السجع على الفاصلة القرآنية، كما أنها تطلق على أواخر الآي، سواء اتفقت الأحرف أم اختلفت.

---

[1]- سورة الإخلاص الآيات1، 2، 3، 4.

[2]- تفسير البيضاوي، ج5 ص347.

[3]- الكشّاف، الزمخشري، ج4 ص817.

[4]- تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهرري، ج32 ص450.

وفي ذلك يقول الرماني: "الفواصل حرف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والأسجاع عيب؛ وذلك لأن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة؛ إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب"[1].

وبهذا نستنتج أنّ الوظائف التي تضطلع بها الفاصلة القرآنية تكون في تحسين الكلام وإراحة النفس عند التلاوة، فيسكت القارئ وقد كمل المعنى أو قارب الكمال، بحيث يشهد الذوق بذلك ويدركه، كما تساعده الفاصلة على ذلك، مع اختصاصها بإحكام الربط ودقة النظم وجمال التلاؤم.

[1]- حول الإعجاز البلاغي للقرآن –قضايا ومباحث، حسن طبل، مكتبة الإيمان المنصورة القاهرة ط2005/1م، ص59.

# خاتمة

# خاتمة

لقد شغل علم التفسير أذهان المسلمين، ومنذ الوهلة الأولى عكف العلماء على شرح وتفسير القرآن الكريم، ووضعوا آليات وشروطا؛ ومن ذلك امتلاك ناصية اللغة العربية في تفسير ألفاظه وتراكيبه ومعانيه.

وفي هذه الأثناء نضجت أدوات علم البلاغة من جملة العلوم التي يحتاجها المفسّر، إذ بها تفهم معاني الآيات ومدلولات المفردات والجمل، وخاصّة أدوات علم المعاني التي انفصلت عن النّحو، لتتبيّن جماليّة الكلام ووظائفه النفيسة، والفروق اللطيفة الخفيّة بين كل آية وأخرى.

**وبعد دراستي لهذا الموضوع توصلت إلى النتائج الآتية:**

لقد أصبح لدى العلماء قناعة بأنّ علم البلاغة من الآليات التفسيرية للقرآن الكريم، وقد أدركوا مدى أثر الدرس البلاغي في اكتساب العلوم الشرعيّة عامّة، وفي تفسير القرآن خاصّة، لأنّ أفق العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه؛ علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، التي بها يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى.

يعدّ تفسير البيضاوي موسوعة ضخمة لما اشتمل عليه من غزارة التفسير، وذكره لحكم رائعة، واستشهاده بعظات مؤثرة، كما استطاع القاضي البيضاوي أن يجعل الأدوات البلاغية خادمة للنّص القرآني، لإظهار جمال العبارة القرآنيّة، وكشف أسرار الآيات القرآنية، وموافقتها للمقام.

عمل البيضاوي على تذليل وتطويع اللغة للتفسير، وتحليل الألفاظ المبهمة وربطها بمعانيها، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، حتى ألجأه ذلك إلى الاستطراد والتّوسّع في شرح الآية الواحدة توسّعا عظيما، وهذا ممّا يبيّن أنّه استفاد من كل العلماء، في العديد من الميادين، فقد استفاد من المفسرين، ومن اللغويّين ومن النّحويّين، ومن البلاغيّين السّابقين له استفادة كبيرة، فكان موافقا لهم تارة ومخالفا تارة، أو ناقلا لأرائهم دون ذكر موقفه تارة أخرى، ويظهر هذا جليا في تشابه كثير من العبارات والتحليلات التي يوردها في تفسيره، مما ساعده على توسيع كثير من المعاني بشتى المدلولات.

أظهر البيضاوي بذوقه الأدبي وحسّه الفنّي، أنّ البلاغة الحقّة هي التي تلتصق بالنّص، ومن ثمّ جاءت دراسته لأدوات البلاغة تطبيقا تتحاور مع النّص القرآني، وتستكشف مراميه وتجلّيّاته، ممّا يثبت تمكّن البيضاوي من أساليب العربيّة وفنونها، لأنّه كان كثيرا ما ينظر بين أساليب العربية والأسلوب القرآني، وسبب هذا التفوق أنه كان يرفض بعض الأوجه التي حمل بعض النحاة أو المفسرون عليها آيات القرآن الكريم، فكثيرا ما كان يرفض أوجها ذكرها الزمخشري والرازي والنسفي وغيرهم؛ معللا ذلك بأنه تركيب غير فصيح يتنزه القرآن عنه، أو لأن هذا الوجه من الضرورة الشاذة فلا يكون من القرآن الكريم، إذ ينبغي أن يحمل القرآن الكريم على أحسن الأوجه وأفصحها.

اعتنى البيضاوي بعلمي المعاني والبيان أكثر من اهتمامه بعلم البديع، حيث اهتم بالتطبيقات البلاغية واسعة النطاق لأدوات علم المعاني، فهو عندما يتناول الآية يقوم بجهد استقصائي للأسرار والوظائف البلاغية البارزة في النص من حيث ألفاظه وجمله، وصوره البيانية؛ متأمّلا في حسنها وجمالها، وفي دقة اختيارها واستقرارها في موقعها، وفي قوة دلالتها على المعاني؛ القريبة منها والبعيدة، حيث يفسر ويحلل ويوضح ويعلل، ثم يختم بوظيفة بلاغية.

وممّا تبيّن من خلال البحث في كتاب التفسير للبيضاوي والنظر فيه أنه لم يبق على وتيرة واحدة في تفصيله للمعاني وذكره لأدوات البلاغة، بل نجده تارة يسهب في الشرح والتفصيل، وتارة أخرى يتطرق إليها دون إسهاب، فكان يتناول بعض الأدوات البلاغية لتوضيح آيات القرآن الكريم ولتوجيه المعاني المختلفة التي تضمنتها دون أن يستطرد فيها، كإثباته أنّ الخبر قد يخرج عن وظيفته الأصلية إلى وظيفة الأمر أو النهي، ويكون ذلك أبلغ من إخراج الأمر أو النهي بوظيفتيهما الأصلية.

ولا تعتبر الأدوات البلاغية عنده غاية في حد ذاتها؛ وإنما هي وسائل للوصول إلى الغاية الأسمى، وهي المتمثلة في الكشف عن جماليات الإعجاز القرآني خاصة، وفنيات القول العربي عامة.

نجد البيضاوي قد اهتمّ بعلم المعاني اهتماما كثيرا، لأنه من الأدوات المهمّة التي يحتاجها مفسّر القرآن لمعرفة المراد من الآيات، ولأنه العلم الذي يبحث في الجملة وما يطرأ عليها من

تقديم وتأخير، أو حذف وذكر، أو تعريف وتنكير، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب، كما راعى البيضاوي في هذا العلم قواعد النحو ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقد استعان بهذه الأدوات البلاغية من أجل الكشف عن جمالية الإعجاز في القرآن الكريم، كما حاول أن يخرج بهذه الأدوات البلاغية من معناها الخاص، وتوظيفها في إيضاح جماليات القرآن، خدمة لمسألة الإعجاز للقرآن الكريم وأسراره ووجوهه.

في مبحث الخبر يتفق البيضاوي مع البلاغيين والمفسرين في قضايا الخبر، وإمكانية خروج الخبر عن وظيفته الأساسيّة وهي الإخبار إلى وظائف أخرى بحسب السياق وقرائن الأحوال، وكذلك أنواع الإنشاء التي من أهمّها، الأمر والنّهي والاستفهام، حيث وُظّفت في سيّاقات لا يقوم الخبر مقامها، مُحدِثا بذلك إثارات مناسبة عند المتلقي تجعله أكثر عناية وأقرب صلة بالخطاب، وأكثر إقناعا وتأثيرا.

إنّ البيضاوي جعل الاستفهام من أكبر الأدوات في تفسيره، وقد بذل جهدا كبيرا للكشف عن الوظائف البلاغية، وذكر فروقا دقيقة بَين هذه الوظائف، كالفرق بين التقرير بمعنى التثبيت، والتحقيق بمعنى حمل المتكلّم على الإقرار، كما نجده يذكر أحيانا أكثر من وظيفة للاستفهام في الآية القرآنية التي تفهم من خلال السياق وقرائن الأحوال.

استعان البيضاوي في تفسيره بأداة التقديم والتأخير، لأنها إحدى أركان علم المعاني؛ ولأنّ المعنى مرتبط بقضية التقديم والتأخير ارتباطا كبيرا، فلكل جملة مقام يناسبها، فمقام الجملة الفعلية مجرد الإخبار عن القيام، ومقام الجملة الاسمية تأكيد الإخبار عن القيام مع إفادة التخصيص، كما نجد هنا تنوّع اهتمامات المفسّرين والبلاغيّين في الوظائف البلاغيّة، ففي ظاهرة التقديم والتأخير نرى البيضاوي والزمخشري يهتمّان بالمسند إليه، والمسند، ومتعلّقات الفعل. وأبو حيان وأبو السعود يهتمّان بتقديم المعاني، والبلاغيّون يهتمّون في الغالب بالتقديم الذي يختص به دلالة الألفاظ على المعاني، أي: بدلالة الجملة على معناها، أكثر ممّا يهتمون بالتقديم الذي يختص بدرجة التقدّم في الذكر، لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ومن هذه الوظائف التي تمخّضت عنها ظاهرة التقديم: التشويق إلى ذكر المؤخر، والتخصيص، والتأكيد وتقوية الحكم، وتعجيل المسرة، والتحقير، والفخر، والتعظيم، ومراعاة الفواصل، ومراعاة النسق الصوتي، إلي غير ذلك من

الوظائف البلاغية، ولأنّها وسيلة في إرساء الأخبار البلاغية والبيانيّة، وسرّ من أسرار الإعجاز القرآني.

استعان البيضاوي بأداة التعريف والتنكير، لأنّها تقتضي أحوال المخاطبين ويقصد بها المتكلم، وهي الأثر البارز في التعبير القرآني، إذ شكّل التعريف بأنواعه من تعريف بالعلميّة، أو الإشارة، أو الاسم الموصول، أو بأل التعريف، أو بالإضافة ظاهرة حملت عدّة وظائف أهمّها، التعظيم، والكمال والعموم، في حين أسهم التنكير في مقابله في تحقيق عدّة وظائف أهمّها، التعظيم والتنكير والتنويع وغيرها.

عُني البيضاوي بعلم البيان وبيّن مصطلحاته المختلفة ووظائفه البلاغيّة، التي من شأنها التأثير في النّفوس، وهو العلم الذي بواسطته أن تؤدّي المعنى الواحد بطرائق مختلفة من اللفظ، بعضها أوضح من بعض كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، وهذه الأدوات هي التي تبعث الجمال في النّفس، والإعجاب في الشعور، وهي الوسيلة الفنّية التي يُعبّر بها عن المعنى، فيكتسب من خلالها جمالا يستحسنه المتلقي.

وظّف البيضاوي أداة التشبيه لما لها من أهميّة بالغة في بيان أثرها في تفسير القرآن، وإظهار إعجاز القرآن البلاغي، ولما فيها من جمال فني، وإبداع في التعبير، وإيقاظ للعقول، وتحريك للوجدان، وأنّها تزيد من إقناع المتلقي بإحضار صورة للمعنى، لأنّ هذه الأداة قائمة على الربط والمقارنة بين شيئين تجمعهما صفة أو مجموعة من الصفات المشتركة، والغرض من ذلك المبالغة، والطرافة، وإضفاء صفة الجمال على التعبير.

إنّ من أهمّ السّمات التي ميّزت تناول البيضاوي للتشبيه؛ إلحاحه على الجانب الحسّي للصورة التشبيهيّة، حيث ترتبط بلاغة التشبيه وغيره من الصّور عنده بقدرته على التصوير أو التقديم الحسي للمعنى، كما أنّ هذا التصوير الحسّي وسيلة للتوكيد والمبالغة في نقل المعنى، وحمل المخاطَب على الاقتناع بفكرة من الأفكار، وكان التشبيه عند البيضاوي أحد الأدوات البارزة في تفسيره، ولا سيّما التشبيه التمثيلي؛ كما أنّه بمثابة الدّليل الذي يُؤيّد دعوى المتكلّم، ومن ذلك تشبيه أعمال الكفار بالسّراب الذي ينخدع به العطشان، ولا يحصل منه على فائدة.

أشار البيضاوي إلى أنّ خروج المتكلم من الحقيقة إلى المجاز، يحقق وظائفَ كثيرة أهمّها، تنبيه الأذهان، والتشويق إلى سماع بقية الكلام، وتوكيد المعنى وترسيخه في النّفس، والتوسّع،

والإيجاز، فالتوسّع يعني الزيادة في المعاني الجديدة، كما أظهر الوظيفة البلاغية للمجاز العقلي في التعبير القرآني، وما يؤدّيه من المبالغة في المعنى المراد.

ومن هنا، نجد البيضاوي يتّفق مع المفسّرين والبلاغيين على أنّ القرينة هي الدّليل الذي يساعد العقل على فهم المراد من الكلام، لأنّ هدف المتكلّم هو إزالة اللَّبس عن الكلام في حالة خروجه من الحقيقة إلى المجاز، ولا يتحقق ذلك إلا باستخدام أنواع القرائن التي يكون بعضها متعلّقا بالسيّاق العام للنّص، أو أشياء خارجة عن النّص، ولكنّها ضروريّة في فهم المراد.

بيّن البيضاوي في تفسيره أنّ الاستعارة تعتبر عنصرا من عناصر الجمال في القرآن الكريم، وأنّها وسيلة من الوسائل المهمّة في أداء المعاني والأغراض الدينيّة المختلفة، وأنّها من أدق أدوات البيان تعبيرا، وأكثرها تأثيرا، وأجملها تصويرا، وأكملها تأديّة للمعنى، وقد اتّفق البيضاوي مع البلاغيّين على وظيفتها البلاغيّة، وذهب إلى أنّها أرقى منزلة من التشبيه، لأنّ التشبيه يحافظ على استقلال طرفيه، أمّا الاستعارة فتدمج طرفي الصورة مُحدِثة نوعا من التفاعل الحي بينهما، وأنّها مبنِيّة على ادِّعاء أنّ المشبّه هو عين المشبّه به، وفي ذلك من المبالغة التي يتطلّبُها الكلام الجميل، كما كانت له جهود واضحة في إبراز الاستعارة بصورة بيانية مؤثّرة في النفوس، علما بأنّه كان كثيرا يقول أنّ في الآية استعارة دون تحديد نوعها، وأحيانا يذكرها ويشير إلى أنّ فيها تمثيلا، دون التوسع من الشرح أو ذكر وظيفتها البلاغية بل كان يُفهم من خلال سياق الكلام.

في مبحث الكناية نجد البيضاوي يتّفق مع البلاغيّين في تعريف مصطلح الكناية بأنّها الدّلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه، كقولك الطويل النجاد للطويل، وكثير الرماد للمضياف، كما تعرّض للكناية في تفسيره لبعض الآيات بما يطابق تعريفها الاصطلاحي، وكشف عن الوظيفة البلاغية للكناية عند تفسيره للآيات القرآنية، لأنها تُضفي على المعنى جمالا وتزيده قوة، وتتحقق بها مقاصد وأهداف ووظائف بلاغية فريدة، كتجسيد المعاني وإبرازها في صورة محسوسة تزخر بالحياة والحركة، وتخرج المعنى من العموم إلى الغموض، ولأنها أبلغ من الحقيقة والتصريح، حيث الكلام المقرون بدليله أقوى من الكلام الذي ليس له دليل ولا برهان، كما اعتبرها البيضاوي طريقا من طرق الإيجاز والاختصار، ووسيلة للإقناع والتأثير.

أشار البيضاوي إلى أدوات علم البديع بإيجاز واختصار، وبيّن أنّها تابعة لعلمي "المعاني والبيان"؛ فبعدما بيّن في تفسيره أداء حق المعاني في نظم الكلام، وبيّن أداء حق البيان في التّعبير

عن المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، تأتي أدوات علم البديع للقيام بوظيفة التحسين والتزيين من جهة الألفاظ والمعاني، وأظهر أنّ أدوات علم البديع من واجبات البلاغة ومن مستدعيات مقتضى الحال وسياق الكلام، لأنّ من وظيفة البديع تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهي وظيفة بلاغية مُهمّة في توصيل الكلام إلى المخاطبين في أفضل صورة، وأجمل تعبير.

وكان يشير البيضاوي في تفسيره إلى الفاصلة القرآنية وإلى الدّقة في أداء المفردات المنسجمة، حِرصا منه على قدسية القرآن وتنزيهه، وأن لا يلحقه أي قيّاس يجري على الشّعر والنّثر البشري.

وممّا تبيّن لنا خلال هذا البحث أن تفسير البيضاوي غني بالمادة البلاغية، ولهذا فلا بد للدارسين من الغوص في أعماقه والمقارنة الجادّة بينه وبين غيره، كما يعد تفسير البيضاوي منبعا ومصدرا غنيا بالدراسات التطبيقية التي تُوفّر مجالا عذبا مملوءا بالأمثلة والشواهد البلاغية المشروحة، المقرونة بالتحليل والتعليل وذلك بتوظيف أدوات علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، مما يمنحنا منهلا للدرس البلاغي التعليمي الذي لا يزال يبحث عن الشواهد التطبيقية.

إنّ المتصفح لكتاب التفسير للإمام البيضاوي يجده حقلا واسعا من حقول الدراسات اللغوية عامة، والبلاغية خاصة، فقد كانت مساهماته ثرية، وجهوده معتبرة في هذا الميدان، نوّه بها القدماء والمحدثون، وهو يلتقي في كثير من تحليلاته للنصوص بما تقوم به المدارس اللسانية الحديثة، ولهذا علينا النظر في جهوده من منظور اللسانيات الحديثة، للوقوف على آرائه ومن ثمة تطبيقها على الدرس اللغوي الحديث.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد قدمنا ولو قليلا، وأن نلتمس العذر عن كل خطأ أو سهو أو تقصير، لأنه لا يخلو بحث من نقص وحسبي الجهد الصادق.

ونسأل الله العلي القدير أن يوفقنا في القول والعمل، وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد، آمين.

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة المصادر والمراجع


-**القرآن الكريم** برواية حفص عن عاصم.

1- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن الكريم، عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي للطباعة بيروت لبنان ط1981/1م.

2- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة ط1405/3هـ .

3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

4- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت (1385هـ-1965م).

5- أساليب البيان في علوم البلاغة، فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع عمان ط2010/3م.

6- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الأوسي، جامعة بغداد بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع بغداد1988م.

7- أساليب المعاني في القرآن، جعفر السيد، مؤسسة بوستان ط1428/1هـ.

8- أسباب النزول، علي بن احمد الواحدي النيسابوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ط1959/1م.

9- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع عمان1997م.

10- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، صححها السيد محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت.

11- الأسس النفسية للأساليب البلاغية، ناجي عبد المجيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ط1984/1م.

12- أسلوب الحذف في القرآن الكريم، أحلام موسى حيدر الزهاوي، رسالة دكتوراه كلية الآداب الجامعة المستنصرية1999م.

13- أسلوب القسم واجتماعه مع الشرط في رحاب القرآن الكريم، علي أبو القاسم عون، منشورات جامعة الفاتح مطابع ديتار مبرق1992م.

14- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين بن عبد السلام الشافعي، دار الطباعة العامرة اسطنبول1312هـ.

15- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت.

16- الإعجاز البياني في ترتيب القرآن الكريم وسوره، أحمد يوسف القاسم، مطبعة الأزهر مصر ط1/(1399هـ-1979م).

17- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف مصر1971م.

18- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى مصر ط1389/8هـ.

19- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت.

20- الإعجاز في دراسات السابقين -دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي بيروت ط1974/1م.

21- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت ط1979/4م.

22- الأقصى القريب في علم البيان، محمد بن أحمد أبو عبد الله التنوخي، مطبعة السعادة مصر ط1327/1هـ.

23- الإكسير في علم التفسير، الطوفي البغدادي، تحقيق عبد القادر حسين، دار الأوزاعي1989م.

24- أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله علي بن حمزة العلوي الحسين، دار المعرفة بيروت.

25- الأمثال في النثر العربي القديم، عبد المجيد عابدين، دار مصر للطباعة والنشر القاهرة ط1956/1م.

26- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط1961/4م.

27- أنوار التنزيل في أسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1988/1م.

28- أنوار الربيع في أنواع البديع، علي حيدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النجف ط1/(1388هـ-1968م).

29- اهتمام مفسري القرآن الحادي عشر بتفسير البيضاوي أسبابه ومظاهره، محمد إدريس، رسالة ماجستير جامعة أم القرى السعودية.

30- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني بيروت ط1975/4م.

31- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب بيروت ط1989/3م.

32- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت1420هـ.

33- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، مطابع النصر الحديثة الرياض المملكة العربية السعودية ط1329/1هـ.

34- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، مطبعة مكتبة المعارف بيروت ط1977/2م.

35- بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

36- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، القاهرة مطبعة السعادة مصر ط1348/1هـ.

37- بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة القاهرة ط1957/1م.

38- البديع في البديع، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، دار الجيل ط1/(1410هـ-1990م).

39- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم بن الزملكاني، تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد (1394هـ-1974م).

40- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، مطابع جامعة محمد بن سعود الإسلامية الرياض ط1/1988م.

41- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت ط3/(1408هـ-1988م).

42- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب.

43- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ط2/1979م.

44- البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي القاهرة (1412هـ-1992م)،

45- بلاغة التراكيب -دراسة في علم المعاني، توفيق الفيل، مكتبة الآداب القاهرة.

46- البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم البديع، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين.

47- البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم البيان، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين.

48- البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم المعاني، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين.

49- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير عمان ط1/1993م.

50- البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت ط1(1425هـ-2004م).

51- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي مصر.

52- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة1965م.

53- البلاغة عند السكاكي، أحمد مطلوب، مكتبة النهضة بغداد ط1/(1384هـ-1964م).

54- البلاغة فنونها وأفنانها -علم المعاني، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع الأردن ط4/(1418هـ-1998م).

55- بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطابي، تصحيح عبد العليم، حيدر أباد الهند (1372هـ-1953م).

56- البيان الحديث في علوم البلاغة والعروض، روز غريب، بيت الحكمة بيروت لبنان ط1969/2م.

57- البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، بدوي طبانة، دار الثقافة بيروت (1406هـ-1986م).

58- البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر مطبعة المدني ط5/(1405هـ-1985م).

59- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني، تحقيق مجموعة من الأساتذة، طبعة الكويت تاريخ الطبع (1965م—2002م).

60- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ط1417/1هـ.

61- تاريخ فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، دمشق1955م.

62- التأسيس في علوم البلاغة، عبد الحميد قاسم النجار، الجامع الإسلامية غزة.

63- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة ط1393/2هـ.

64- التبيان في إعراب القرآن إملاء ما منّ به الرحمن، أبو البقاء عبد الله بن الحسن العكبري، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الجيل بيروت ط1987/2م.

65- التبيان في البيان، شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تحقيق توفيق الفيل، عبد اللطيف لطف الله، الكويت1986م.

66- التبيان في تفسير القرآن، أبة جعفر محمد بن الحسن الطوسي، قدم له الشيخ أغا بزرك، المطبعة العلمية النجف الأشرف (1376هـ-1957م).

67- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة1995م.

68- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر1984م.

69- التسهيل في علوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الفكر لبنان بيروت ط1983/3م.

70- تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام، عبد الله بن زيدي الزبيدي، تحقيق محمد الحرازي، دار البشائر الإسلامية.

71- التصوير البياني -دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، أبو موسى، مكتبة وهبة ط1/(1400هـ-1980م).

72- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق بيروت1982م.

73- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت ط1/(1403هـ-1983م).

74- التفسير أساسياته واتجاهاته، فضل عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع ط2016/1م.

75- التفسير البياني في القرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن  بنت الشاطئ، دار المعارف مصر ط2.

76- تفسير الجلالين، محمد بن أحمد جلال الدين الحلبي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تعليق خالد الحمصي، مكتبة الملاح دمشق.

77- تفسير الراغب الأصبهاني، الراغب الأصبهاني، تحقيق محمد بسيوني، عادل الشدي، كلية الأدب جامعة طنطا ودار الوطن الرياض.

78- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء بن كثير، مطبعة عيسى البابي وشركائه مصر.

89- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض ط1/(1418هـ-1997م).

80- تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي، تحقيق ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض السعودية ط1/(1418هـ-1998م).

81- التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، تحقيق عبد الرحمن محمد، المطبعة المصرية ط1965/3م.

82- تفسير المنار، الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا، دار المنار للنشر مصر ط4/(1373هـ-1954م).

83- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق ط1418/2هـ.

84- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد السيد الكومي، دار الهدى للطباعة الجزائر1980م.

85- تفسير جزء عمّ، الشيخ محمد عبده، مطابع الشعب القاهرة ط.6

86- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين العلوي الهرري، تحقيق هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة ط2001/1م.

87- تفسير سفيان الثوري، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/(1403هـ -1983م).

88- تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد الرياض ط1410/1هـ.

89- تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت (1398هـ-1978م).

90- التفسير والمفسرون، محمد الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة ط2000/7م.

91- التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر1970م.

92- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي أحمد بن الحسين الموسوي العلوي، تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية القاهرة1995م.

93- تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص، سعد الدين التفتازيني، دار البيان بيروت لبنان ط1992/4م،

94- تلخيص المفتاح، القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي ط1932/2م.

95- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى مصر ط1934/2م.
96- تناسق الدرر في تناسب السور وأسرار ترتيب القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام ط1978/2م.
97- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، اختصره محمد علي الصابوني، الدار الوطنية للتوزيع والنشر بغداد ط1990/1م.
98- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مطبعة الاستقامة القاهرة ط1960/1م.
99- تهذيب السعد -ترتيب لكتاب مختصر المعاني، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي مصر ط1950/3م.
100- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت ط2/(1404هـ-1984م).
101- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري، تحقيق أحمد محمد عبد العليم، علي البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
102- جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف مصر ط1954/2م.
103- الجامع الصغير من حديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الشرق الجديد مصر.
104- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير الجزري، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، المجمع العلمي العراقي بغداد ط1956/1م.
105- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية ط1/(1387هـ-1967م).
106- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة بغداد1990م.

107- الجمان في تشبيهات القرآن، البغدادي، تحقيق عدنان زرزور، محمد رضوان الداية، المطبعة العربية الكويت ط1968/1م.

108- الجمل، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق علي توفيق محمد، مؤسسة الرسالة بيروت 1985م.

109- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، ط2007/2م.

110- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي لبنان بيروت ط.12

111- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، محمد الصديق الغماري، مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهما القاهرة 1385هـ.

112- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمى بتفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوق الثعالبي (ت875هـ)، مؤسسة للمطبوعات بيروت لبنان.

113- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مطبعة المدني القاهرة مصر.

114- حاشية الجمل على الجلالين أو الفتوحات الإلهية، سليمان الجمل، المكتبة الإسلامية بيروت.

115- حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح ضمن كتاب شروح التلخيص، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، القاهرة1937م.

116- حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي، الْمسمّاة: عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر بيروت.

117- حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الخطيب الكازروني على تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

118- الحجة في القراءات السبعة، ابن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، بيروت ط3 (1399هـ-1979م).

119- الحجة في القراءات، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (ت403هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني مؤسسة الرسالة ط1404/4هـ.

120- الحدود في النحو رسالتان في اللغة، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن1984م.

121- الحذف بين النحويين والبلاغيين-دراسة تطبيقية ، حيدر حسن عبيد، دار الكتاب العلمية بيروت لبنان ط2003/1م.

122- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العرب بيروت ط1969/3م.

123- خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر تقي الدين الحموي شرح عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال بيروت ط1991/2م.

124- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، محمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة ط2/(1400هـ-1980م).

125- خصائص التراكيب -دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة القاهرةط1/(1416هـ-1996م).

126- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العام بغداد ط1990/4م.

127- خلاصة المعاني، حسن بن عثمان، تحقيق عبد القادر حسين، الناشرون العرب1989م.

128- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، أحمد جمال الدين العمري، مطبعة المدني القاهرة (1406هـ-1986م).

129- الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر ط1/(1403هـ-1983م).

130- دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة مصر ط2/(1408هـ-1987م).

131- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي مصر.

132- دليل مؤلفات الحديث الشريف، محيي الدين عطية، صلاح الدين حفني، محمود خير، رمضان يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت ط1/(1418هـ-1997م).

133- ديوان الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس الأعشى الوائلي، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب القاهرة ط/1950م.

134- ديوان الحماسة، أبو تمام، تحقيق عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد بغداد ط1/1980م.

135- ديوان العجاج، شرح ورواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق عبد الحفيظ السلطاني، مكتبة الأطلس دمشق1971م.

136- ديوان النابغة الذبياني، صنعه ابن السكيت، تحقيق شكري فيصل، دار الفكر دمشق1968م.

137- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر ط4/1984م.

138- ديوان جرير بن عطية الخطفي التميمي، شرح محمد حبيب، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف مصر ط5/1970م.

139- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر (1399هـ-1979م).

140- ديوان لبيد بن أبي ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، مطابع الكويت ط1/1962م.

141- روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي، دار الفكر بيروت لبنان.

142- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت ط1/1415هـ.

143- الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي، تحقيق رضوان بن سقرون، الدار البيضاء المغرب ط1/1985م.

144- روضات الجنات، محمد الأصبهاني، تحقيق أسد الله إسماعيليات، مطبعة مهر استوار قم طهرالي1391هـ.

145- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت ط1/(1385هـ-1965م).

146- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ط3/(1400هـ-1980م).

147- سبق الغايات في نسق الآيات، أشرف علي التهانوي، بهامش الملا عبد الوهاب الكوزاني، مطابع إيران (1313هـ-1893م).

148- سر الروح شرح كتاب الروح، برهان الدين البقاعي، مطبعة السعادة مصر (1326هـ-1900م).

149- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، تحقيق عبد العال الصعيدي، دار الكتب العلمية بيروت ط.2

150- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصر 1954م.

151- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق الأميرية القاهرة1285هـ.

152- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، مكة المكرمة ط1388/1هـ.

153- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، دار إحياء التراث العربي بيروت.

154- شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار، معين الدين الشيرازي، تحقيق محمد القزويني، عباس إقبال، مطبعة المجلس طهران (1368هـ-1949م).

155- شذا العرف في فن الصرف، أحمد حملاوي، المكتبة العصرية بيروت.

156- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر بيروت لبنان.

157- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهري، دار الفكر بيروت لبنان.

158- شرح التلخيص في علوم البلاغة، دويدري محمد هاشم، دار الجيل بيروت ط1402/2هـ.

159- شرح التلخيص، أكمل الدين محمد بن محمود، تحقيق محمد مصطفى رمضان، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ط1983/1م.

160- شرح المختصر على تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، مطبعة السعادة مصر1342هـ.

161- شرح المفصل، موفق الدين بن علي بن يعيش، المطبعة المنيرية مصر.

162- شرح ديوان سقط الزند، أبو العلاء المعري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، إشراف طه حسين، طبع الهيئة المصرية للكتاب1986م.

163- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، مطبعة الحكومة الكويت سلسلة كتب التراث العربي 1962م .

164- شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط1929/1م.

165- شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار إحياء التراث العربي بيروت.

166- شرح كتاب سيبويه، السيرافي، تحقيق رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة مصر1990.

167- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف ط1377/2هـ.

168- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة1977م.

169- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت ط4(1407هـ-1987م).

171- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار القلم بيروت لبنان (1407هـ-1987م).

172- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ط2/(1392هـ-1972م).

173- صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين مخلوف، مطابع مصر ط3/(1337هـ-1955م).

174- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط1/(1417 هـ-1997م).

175- صناعة الكتابة، أسعد علي، فيكتور الكك، بيروت ط3/1977م.

176- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية بيروت1419هـ.

177- الصورة الفنية في القرآن الكريم، ألما سليمان محمد، دار دمشق للطباعة سوريا ط1/1994م.

178- الصورة الفنية في المثل القرآني -دراسة نقدية بلاغية، محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر المطبعة النموذجية بغداد ط1/1981م.

179- ضحى الإسلام، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر1933م.

180- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الحياة بيروت لبنان.

181- طبقات الحفاظ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى القاهرة ط1/(1393هـ-1973م).

182- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، مطبعة الحسينية المصرية.

183- طبقات الشافعية الكبرى، جمال الدين الأسنوي، تحقيق عبد الله الجبور، مطبعة الإرشاد بغداد ط1/(1390هـ-1970م).

184- طبقات الشافعية، شهبة بن قاضي، تحقيق عبد العليم خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند ط1/1989م.

185- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد ، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ط1/(1417هـ-1997م).

186- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، مطبعة المقتطف مصر (1332هـ-1914م) ودار الكتب العلمية بيروت 1982م.
187- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية الأسكندرية مصر ط1/1999م.
188- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، مطبعة القاهرة مصر1337هـ.
189- علم المعاني -البيان -البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت.
190- علم المعاني، قصي سالم علوان، مطبعة جامعة البصرة1985م.
191- علم المعاني، مزيد إسماعيل نعيم، مطبعة ابن خلدون، سوريا دمشق ط1/1982م.
192- علوم البلاغة -البديع -البيان -المعاني، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان2003م.
193- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ط5/(1401هـ-2981م).
194- عناية القاضي وكفاية الراضي، شهاب الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر بيروت لبنان.
عوارف المعارف، شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، مطبعة بيروت ط1/1966م.
195- عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طَبَاطَبَا العلوي، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، شركة فن الطباعة القاهرة1956م.
196- عيون الأخبار، محمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية ط1/1930م.
197- الغاية القصوى في دراية الفتوى، القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق محي الدين علي القرة، مطبعة دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع القاهرة.
198- غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين الآمدي، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث مصر.

199- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسين محمد بن الحسين النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي وأولاده مصر ط1/1967م.

200- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار الرائد العربي بيروت لبنان.

201- الفاصلة في القرآن الكريم، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي دار عمار للنشر عمان ط2/1983م.

202- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، طبع المكتبة السلفية.

203- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي، تحقيق عَبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريَّة للطباعة والنّشر صيدا بيروت (1412هـ-1992م).

204- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط2/1964م.

205- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، مصطفى المراغي، مطبعة محمد أمين رمج وشركاه بيروت (1394هـ-1974م).

206- فصول في البلاغة العربية، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ط1/1983م.

207- فن الالتفات في البلاغة العربية، قاسم فتحي عامر، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الموصل1988م.

208- فن البلاغة، عبد القادر حسين، عالم الكتب ط2 (1405هـ-1984م).

209- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت لبنان ط2/(1417هـ-1997م).

210- في البلاغة والنقد، قصي سالم علوان، دار الفكر للنشر والتوزيع البصرة العراق.

211- في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت.

212- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي بيروت ط7/(1402هـ-1971م).
213- في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/(1416هـ-1995م).
214- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر بيروت.
215- القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، دار المنار القاهرة ط1992/2م.
216- القرآن والصورة الفنية، حفني محمد شرف، دار القاهرة للطباعة والنشر ط1990/1م.
217- قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين السيوطي، تحقيق ودراسة أحمد بن محمد الحمادي، إدارة الشؤون الإسلامية الدوحة قطر ط1994/1م.
218- القرآن القول الفصل في كلام الله وكلام البشر، محمد العفيفي، دار السلاسل للنشر والتوزيع المطبعة العصرية الكويت ط1977/1م.
219- الكافي في علوم البلاغة العربية -المعاني -البيان -البديع، عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الجامعة المفتوحة مصر1993م.
220- الكامل في الدراسات النحوية، محمد محمود هلال، مطبعة السعادة القاهرة ط/1970م.
221- الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة الحلبي ط1/(1356هـ-1937م).
222- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ط3/(1417هـ-1997م)
223- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
224- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون بيروت.
225- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفارقي التهانوي، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر دار الكتاب العربي (1382هـ-1963م).
226- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي وأولاده مصر1968م.

227- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، المطبعة الجعفرية طهران (1387هـ-1927م).
228- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن البغدادي الصوفي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط2/(1375هـ-1955م).
229- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ط1/(1419هـ-1998م).
230- لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت ط1414/3هـ.
231- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي القاهرة 1990م.
232- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين بيروت لبنان ط1977/10م.
233- المبالغة في البلاغة العربية تاريخها وأصولها، علي سرحان القريشي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ط1/(1406هـ-1985م).
234- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الاثير، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي الرياض ط1983/2م.
235- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه فؤاد سزكين، مطبعة الخانجي مصر ط1981/2م.
236- المجاز المرسل والكناية -الأبعاد والمعرفة والجمالية، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع والطباعة لبنان1998م.
237- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت ط1418/1هـ.
238- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1341هـ.

239- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت ط1422/1هـ.

240- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، المطبعة الرحمانية مصر1934م.

241- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب بيروت ط1/(1419هـ-1998م).

242- مدخل إلى البلاغة العربية -علم المعاني -علم البيان -علم البديع، يوسف أبو العندوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع عمّان الأردن ط1/(14027هـ-2007م).

243- مرآة الجنان، عبد الله اليافعي، مطبعة مؤسسة الأعلى للمطبوعات (1390هـ-1970م).

244- المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت (1418هـ-1998م)،

245- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة دار المعارف ط1958/3م.

246- مشاهد القيامة في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق بيروت لبنان.

247- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق حاتم الضامن، سلسلة كتب التراث بغداد ط1975/1م.

248- مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي، محمد عزام، وزارة الثقافة دمشق ط1995/1م.

249- المطول -شروح التلخيص المفتاح، سعد الدين مسعود بن حجر التفتازاني، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ط1/(1422هـ-2001م).

250- المطول على التلخيص، مسعود بن عمر بن سعد التفتازاني، مطبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي1304هـ.

251- معالم التنزيل، محمد الحسين بن مسعود البغوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده ط2/(1375هـ-1955م).

252- معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، حققه عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع جدة ط1984/3م.

253- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت.

254- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب بيروت والدار المصرية للتأليف والترجمة مصر.

255- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي القاهرة.

256- معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة1947م.

257- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي القاهرة1973م.

258- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/(1408هـ-1988م).

259- المعجزة الكبرى للقرآن، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي ودار الحمامي ط1970/1م.

260- معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار المنارة جدة الرباط ط1988/3م.

261- معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق محمد أمين الخفاجي، مطبعة السعادة القاهرة (1323هـ-1906م).

262- معجم الشيوخ، ابن فهد المكي، تحقيق محمد الزاهي، منشورات دار اليمامة للنشر والترجمة المملكة العربية السعودية الرياض سلسلة مؤرخو مكة ط1982/1م.

263- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، عبد العال سالم مكرم، أحمد مختار عمر ط1982/1م.

264- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

265- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ج1983/1م- ج1986/2- ج1987/3م.
266- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان.
معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للطباعة والنشر لبنان بيروت 1990م.
267- المعجم المفصل في اللغة والأدب -نحو -صرف -بلاغة -إملاء، إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، دار العلم للملايين ط1987/1م.
268- معجم المؤلفين -تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي مصر.
269- معجم شواهد العربية، عبد السلام محمد هارون، مطابع مصر ط1/(1392هـ-1974م).
270- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر(1399هـ-1979م).
271- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت لبنان ط1999/1م.
272- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق ط1985/6م.
273- المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الأسدآبادي، دار الكتب المصرية (1380هـ-1960م).
274- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده، دار الكتب العلمية بيروت ط1985/1م.
275- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط2/(1407 هـ-1987م).
276- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بيروت والدار الشامية دمشق ط1412/1هـ.

277- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كلاني دار المعرفة بيروت.

278- المفضليات، المفضل الضبّي، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف مصر ط1964/2م.

279- مقاصد النظر للأشراف على مقاصد السور، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت ط1981/1م.

280- مقالات في نحو العربية، ذهبية بورويس، منشورات مكتبة اقرأ قسنطينة ط2012/1م.

281- المقتضب، أبو العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت ط1963/1م.

282- مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيد، دار الأمان الرباط المغرب ط1989/1م.

283- المقدمة، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث القاهرة2004م.

284- المقرب، علي بن مؤمن بن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني بغداد ط1/(1391هـ-1971م).

285- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق كامل أحمد، دار النهضة العربية بيروت (1405هـ-1985م).

286- من بلاغة القرآن الكريم، محمد علوان ونعمان علوان، الدار العربية للنشر ط1998/2م.

من بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، مطبعة علي التونسي مصر ط1985/2م.

287- من بلاغة النظم القرآني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة مصر ط1/(1413هـ-1992م).

288- من هدي القرآن، أمين الخولي، دار المعرفة مصر ط1959/1م.

289- مناهج تجديد النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، دار المعرفة مصر ط1961/3م.

290- المنظور البلاغي في تفسير التحرير والتنوير، عبده محمد صالح الحكيمي، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة بغداد2000م.

291- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن ابن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية تونس.

292- مهرة الأمثال، الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، تحقيق عبد المجيد قطامش، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت ط1988/2م.

293- موجز البيان في مباحث تخص بالقرآن، جمعية الهداية الإسلامية، رسائل الهداية مطبعة الفيض مصر (1359هـ-1940م).

294- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، دار المعارف مصر ط1972/2م.

295- الميسر في البلاغة العربية، أبو عبد الله بن شعيب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر ط1992/1م.

296- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف مصر ط4.

297- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، إشراف علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.

298- نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، محمد منيف فقيهي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا1959م.

299- نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي -تنظير وتطبيق، رحمن غركان، دار الراني للدراسات والترجمة والنشر ط2008/1م.

300- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط2/(1413هـ-1992م).

301- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي القاهرة ط1978/3م.

302- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني، تحقيق محمد زغلول سلام، محمد خلف الله، دار المعارف مصر ط1968/2م.

303- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المطبعة البهية مصر ط1/1938م.

304- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ط1/1983م.

305- نهاية السول شرح منهاج الوصول، جمال الدين الأسنوي، مطبعة السلفية بالقاهرة1343هـ.

306- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.

307- نيل الأمل في ذيل الدول على ذيل الغمر بأبناء العمر، الباسط الظاهري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طبعة المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1.

308- نيل الاوطار، محمد بن علي الشوكاني، مطبعة البابي الحلبي القاهرة1361هـ.

309- هداية الرحمن للألفاظ وآيات القرآن، أحمد صالح البنداق، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط1/1981م.

310- وجوه التناسب بين سور القرآن -دراسة تطبيقية، ، أنس عبد العليم السعدي، رسالة دكتوراه كلية العلوم الاسلامية جامعة بغداد1995م.

311- الوجيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسأبوري، طبع بهامش التفسير المنير، مطابع مصر للطباعة القاهرة ط1/1315هـ.

312- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة مطبعة المدني القاهرة ط1/1970م.

313- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار عيسى البابي الحلبي القاهرة (1386هـ-1966م).

314- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1/1994م.

315- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن فلكان، تحقيق محي الدين، مكتبة النهضة المصرية.

# الفهرس

## فهرس الموضوعات


مقدمة.................................................أ

**المدخل: الدرس البلاغي بين اللغة والتفسير**..........................2

إسهامات العلماء في الدرس البلاغي..................................7

البيضاوي ومنهجه العلمي.......................................... 25

التعريف بالإمام البيضاوي........................................25

منهج البيضاوي في تفسيره........................................46

**الفصل الأول: أدوات علم المعاني ووظائفها في تفسير البيضاوي** ..............51

تعريف علم المعاني..............................................51

وظائف علم المعاني..............................................53

**المبحث الأول**: الخبر..............................................55

مفهوم الخبر....................................................55

صدق الخبر وكذبه...............................................56

رأي البلاغيين....................................................56

رأي المفسرين....................................................58

أغراض الخبر....................................................59

أضرب الخبر.....................................................59

وظائف الخبر في تفسير البيضاوي..................................61

وظائف مؤكدات الخبر في تفسير البيضاوي...........................71

**المبحث الثاني: الإنشاء**............................................75

ماهية الإنشاء....................................................75

أقسام الإنشاء....................................................77

الأمر............................................................77

وظائف الأمر في تفسير البيضاوي...................................79

الاستفهام........................................................................85

وظائف الاستفهام في تفسير البيضاوي.........................................88

النهي.............................................................................94

وظائف النهي في تفسير البيضاوي.............................................96

النداء............................................................................ 101

وظائف النداء في تفسير البيضاوي.............................................103

التمني............................................................................107

وظائف التمني في تفسير البيضاوي............................................109

**المبحث الثالث: التقديم والتأخير**...........................................112

مفهوم التأخير والتقديم.........................................................112

أسباب التقديم والتأخير.........................................................114

وظائف التقديم والتأخير في تفسير البيضاوي.................................115

**المبحث الرابع: الحذف**.......................................................127

مفهوم الحذف...................................................................112

الخذف بين القدماء والمحدثين...................................................129

شروط الحذف...................................................................131

وظائف الحذف في تفسير البيضاوي............................................136

**المبحث الخامس: التعريف والتنكير**.........................................155

المعرفة...........................................................................155

أدوات التعريف..................................................................156

وظائف التعريف في تفسير البيضاوي..........................................163

النكرة............................................................................169

وظائف التنكير في تفسير البيضاوي...........................................171

**المبحث السادس: الالتفات**...................................................177

مفهوم الالتفات.................................................................177

أغراض الالتفات........................................179
وظائف الالتفات في تفسير البيضاوي..................................181
**الفصل الثاني: أدوات علم البيان ووظائفها في تفسير البيضاوي** ..................196
ماهية علم البيان........................................196
وظائف علم البيان........................................199
**المبحث الأول: التشبيه** ........................................200
مفهوم التشبيه........................................200
أركان التشبيه........................................201
أنواع التشبيه ووظائفه في تفسير البيضاوي..................................203
التشبيه البليغ........................................203
التشبيه التمثيلي........................................208
التشبيه المقلوب........................................216
التشبيه الضمني........................................219
التشبيه التخيلي........................................222
**المبحث الثاني: المجاز**........................................225
مفهوم المجاز........................................225
أهداف المجاز........................................226
أقسام المجاز........................................227
المجاز العقلي........................................227
علاقات المجاز العقلي ووظائفه في تفسير البيضاوي..................................228
المجاز المرسل ........................................240
علاقات المجاز المرسل ووظائفه في تفسير البيضاوي..................................241
**المبحث الثالث: الاستعارة** ........................................255
مفهوم الاستعارة........................................255
أركان الاستعارة........................................257

أنواع الاستعارة ووظائفها في تفسير البيضاوي.................................258
الاستعارة التصريحية.........................................................259
الاستعارة المكنية.............................................................263
الاستعارة الترشيحية..........................................................267
الاستعارة المجردة.............................................................270
الاستعارة التمثيلية............................................................272
**المبحث الرابع: الكناية** ......................................................276
مفهوم الكناية................................................................276
أركان الكناية ................................................................278
أنواع الكناية ووظائفها في تفسير البيضاوي.....................................280
**المبحث الخامس: التعريض**...................................................292
ماهية التعريض...............................................................292
الوظائف البلاغية للتعريض في تفسير البيضاوي..................................296
**الفصل الثالث: أدوات علم البديع ووظائفها في تفسير البيضاوي** ..................306
مفهوم علم البديع.............................................................306
أقسام المحسنات البديعية......................................................307
**المبحث الأول: المحسنات المعنوية ووظائفها في تفسير البيضاوي**....................308
أنواع المحسنات ووظائفها في تفسير البيضاوي...................................308
الطباق......................................................................308
وظائف الطباق في تفسير البيضاوي.............................................310
المقابلة.....................................................................317
وظائف المقابلة في تفسير البيضاوي............................................319
الطي والنشر.................................................................322
وظائف الطي والنشر في تفسير البيضاوي.........................................323
التجريد.....................................................................326

وظائف التجريد في تفسير البيضاوي........................................327
المشاكلة...................................................................329
وظائف المشاكلة في تفسير البيضاوي........................................329
المبالغة....................................................................333
وظائف المبالغة في تفسير البيضاوي.........................................335
تأكيد الذم بما يشبه المدح...................................................335
المذهب الكلامي............................................................338
الوظائف البلاغية............................................................338
أسلوب الحكيم..............................................................340
الوظائف البلاغية............................................................341
التقسيم.....................................................................343
الوظائف البلاغية............................................................345
الاستطراد...................................................................349
الوظائف البلاغية............................................................350
**المبحث الثاني: المحسنات اللفظية ووظائفها في تفسير البيضاوي**..............354
أنواع المحسنات اللفظية ووظائفها.............................................354
السجع......................................................................354
أنواع السجع................................................................358
وظائف السجع في تفسير البيضاوي...........................................359
**خاتمة**......................................................................367
**قائمة المصادر والمراجع**....................................................374
**الفهرس**....................................................................399